

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

الاهل

الى الرحمة والمؤنسة في كل زمانا ومكانا ...
الى الغرباء في الحيا اهلية المعاصرة ...
الفرد تربوا على العقيدة الربانية ...
وسيعود لتربية اللجس الى عالمها ...
واقامة الحجة تمام الدين لدى ...

ألهي يهزه الرسالة

شكر وتقدير

أحمد المولى تبارك وتعالى وأشكره أولاً وآخرها وظاهراً وباطناً على أن جعلني ممن
طلبة العلم ووقفتني لاتمام هذا البحث وذلك لي عقبته •
وأسأله عز وجل بأسمائه الحسنی وصفاته العلیا أن يجعل علي كله خالصاً لوجهه
الکريم •

وأصلي وأسلم على صاحب الخلق العظيم سيدنا محمد القائل : (من لا يشكر الناس
لا يشكر الله) *

وصلاً بهذا الحديث الشريف واعترافاً بالجميل : فأنني أقدم خالص الشكر والتقدير
لفضيلة الشيخ الكبير المفكر الاسلامي المعروف الداعية العالمة الأستاذ محمد قطب -
حفظه الله وبارك فيه ونفع به وختم له بالباقيات الصالحات - على ما أحاطني به من رعاية
ومضاهية ونصح وأرشاد •

فقد أعارني - وفقه الله - سمعه وصبره • ولم يأل في عني جهداً • ولم ييخل علي
بوقت - في الجامعة وخارجها - رغم كثرة مهامه وأعماله • واعتصر - سدد الله خطاه
- ذهنه • واختلس من وقته الثمين ما مكته من قراءة هذه الرسالة عدة مرات • وفتّح
أمامي أبواباً كنت غافلاً عنها • وحل لي مشكلات استعصت علي •

ولن أنسى له - أنال الله بقاءه - أن شاء الله • نصائحه المفيدة وتوجيهاته
السديدة وآداب الجمة وأخلاقه العالية - ومعاملته الكريمة وأسلوبه الحكيم وأحاديثه
المتعة وعاطفته الحارة ولهجته الصادقة ومعاشرته الحسنة وجانبه اللين •

* رواه أحمد في المسند ٩٥/٢

وأبو داود ٣٥٣/٤

والترمذي وقال حديث صحيح •

انظر تحفة الأحوذى للمباركفوري ٨٧/٦ جميعهم عن أبي هريرة
(رضى الله عنه)

وقد كان لهذا كله أكبر الأثر - بعد توفيق الله تعالى - في اخراج هذه الرسالة على هذه الصورة المتواضعة .

فأسأل الله العليّ القدير أن يجزيه غني - وعن المسلمين - أحسن الجزاء وأيسره وأكرمه وأوسعهم وأعظمه ، وأن يجزل له المثوبة في الدارين ، وأن يمتعه بالصحة والمافية ، وأن يشرح له صدره ويضع عنه وزره ويرفع له ذكره - في الحياة وبعد المات - وأن يرفع درجاته في المهديين ، وأن يجمعنا جميعاً تحت لواء سيد الأنبياء والمرسلين - صلى الله عليه وسلم - يوم الدين .

كما لا يفوتني أن أتوجه بخالص الشكر وعظيم الامتنان والتقدير لمشرفي في مرحلة الماجستير معالي الدكتور راشد الراجح - مدير الجامعة - حفظه الله ، الذي استفدت منه خلقاً جماً وعلماً غزيراً وتوجيهاً قيماً ، والذي تتلقى منه هذه الجامعة الفتية كل رعاية وهاية وجهد ، فجزاه الله غني - وعن زملائي طلبة العلم من مختلف أرجاء المعمورة - خير الجزاء .

كما أشكر جميع القائمين على جامعة أم القرى (الزاهرة) وأخص بالذكر جميع المسؤولين عن كلية الشريعة والدراسات الإسلامية .

كما أشكر جميع شيوخ وأساتذتي الأفاضل في الثانوية الشرعية بنابلس وفي كلية الشريعة بالجامعة الأردنية ، وأخص منهم بالذكر من تربيته على يديه سنوات عديدة فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الله عزام (حياه الله ومياه) .

كما أشكر كل من ساهم في هذه الرسالة بجهد قليل أو كثير .

لهؤلاء جميعاً أقدم خالص دعواتي وأجمل تحياتي .

والسلام . . .

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره * ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا * من يهده الله فلا مضل له * ومن يضلل فلا هادي له * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله * يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا * (النساء : ١) ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون)) (آل عمران : ١٠٢) ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويخفف لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما)) (الأحزاب : ٧٠ و ٧١) *

أما بعد :

كان الناس قبل البعثة النبوية في جهل وضلال وتخبط وفوضى ... لا يعرفون حقا ولا يفكرون باطلا * وهامت ارادة الباري عز وجل أن تصفيق البشرية من سبائتها الخنوق فبعث اليها رسوله محمدا (صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه الى يوم الدين) * داعيا اليه ياذنه وسراجا منيرا * ليخرج الناس من عبادة الطاغوت الى عبادة ذي العزة والجبروت * ومن جور الأديان الى عدل الايمان * ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة * فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم - بما كلفه الله تعالى به غير قهيام * فبلغ الرسالة * وأدى الأمانة * ونصح الأمة * وجاهد في الله حق جهاد * حتى أتاه اليقين *

وقد كان مدار دعوته - صلى الله عليه وسلم - طيلة حياته على كلمة التوحيد - (لا اله الا الله) * التي بعث بها الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - من قبله * ((ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)) (النحل / ٣٦) * ومكث رسول الهدى - عليه الصلاة والسلام - طيلة العهد المكي وهو يدعو لهذه الكلمة من ربي أصحابه الكرام عليها ... حتى أذن الله لهم بالهجرة الى المدينة واقامة الدولة الاسلامية * بعد أن تربوا على هذه المقيدة *

وليهدأ نبي الله (عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم) بالدعوة إلى اصلاح أى -
 جانب من جوانب الحياة الانسانية - مع أن اصلاح أى هذه الجوانب عمل جليل -
 لأن المليم الخير تبارك وتعالى يعلم أن هذا ليس هو الحل التاجع والدواء الشافى
 وإنما طريق الخلاص هو الصراط المستقيم الذى صار عليه جميع الأنبياء والمرسلين
 (عليهم صلاة الله وسلامه أجمعين) ، وهو : ((اعبدوا الله ما لكم من الله غير))
 (الأعراف : ٥٩ و ٦٥ و ٧٣ و ٨٥) .

وقد اعترف الناس - على كرا العصور - بأن الله عز وجل هو الخالق السرازق
 ولكن كثيرا منهم أبى أن يحترف بأن للمولى جل وعلا حق الأمر والنهى ، فبمست
 الله النبيين لتوضح هذه الحقيقة : وهى أن من سلم لله تعالى بالخلق ، فإن عليه
 أن يسلم له سبحانه بواجب العبودية على الخلق ، من الطاعة المطلقة لرب العالمين
 فى كل الأمور ، ومن قصر الحاكية والتشريع والتصرف عليهم وحده .

ومن المعروف أن للناس - من آمن منهم ومن كفر - مناهج يسيرون عليهم -
 فى تنظيم حياتهم : أما المنهج الربانى المتمثل فى الاستسلام التام لله فى كل زمان
 ومكان ومجال وأمر . وأما المناهج الجاهلية المتمثلة فى عبادة الطاغوت - وهو كل
 ما عبد من دون الله - وطاعته . وكلا المنهجين منهج حياة ، وفى الحالين تقع
 العبادة ، ولكنها تختلف : فأما عبادة الله فهى الطمأنينة والعلامة والعبادة فى
 الدنيا وجنة عرضها السماوات والأرض فى الآخرة . وأما عبادة الطاغوت والشبهات
 فهى المنكر والخوف والغفاء فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى .

وقد جاءت العقيدة الإلهية التى رضىها الخالق لعباده بالأسس والتوجيهات
 التى تلبي حاجات الانسان - المادية والروحية - وتتواءم مع الفطرة السوية ،
 وتحقق مصلحة الفرد والمجتمع والدولة فى آن واحد . وما جاءت به هـند
 العقيدة من مبادئ وأصول وقواعد ، كهيل يحل مشاكل الفرد والجماعة فى

أسرع وقت وأقل التكاليف • لأن البارئ جل ذكره هو وحده
 الخالق • وهو وحده الذى يعلم ما يصلح عبادته وما يضرهم فى معاشهم ومعادهم •
 ان العقيدة الاسلامية هى الهدى والنور والخير والرشاد والحق والصواب والأمن
 والسلام • وهى سفينة النجاة فى الحياة المؤدية لرضوان الله وجنته بعد الممات •
 ان هذه العقيدة تعلم أتباعها - فيما تعلم - أن ليس لهم من أنفسهم شئ يسئل
 انهم وما يملكون لله عز وجل •

وهذه العقيدة تجعل أصحابها آمنين مطمئنين لا يخافون ولا يجهنون ولا ييخلون
 ولا يحزنون • يحمدون الله فى الضراء • ويشكرونه فى السراء • ويرضون بما جرى
 به القضاء • ويجاهدون الأعداء • يذلون لصاحب الكبرياء • ويأمرون بالمعروف
 وينهون عن الفحشاء • يعملون فى الأرض وقلوبهم متجة للسماء •

وتوجيهات العقيدة الربانية أعظم وأوسع نظام عرفته البشرية فى تاريخها • فهى
 توجه أعمال الفرد - حاكما كان أو محكوما - الظاهرة والباطنة فى جميع الأمور
 والأحوال • وتوازن بين المادة والروح وبين المبادات والمعاملات وبين الملسم
 والدين وبين الدنيا والآخرة • دون أن يطغى جانب على جانب : ((وابتغ فيما
 آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)) (القصص : ٧٧) •

وطريقة العقيدة الالهية فى تربية النفس طريقة فريدة وعجيبة : فهى أولا تنشئ
 الايمان فى القلوب • ثم تجعل هذا الايمان يزداد بالعمل الصالح والعلم النافع •
 وأثناء ذلك ترغب فى طاعة الله وثوابه • وتحذر من معصيته وأليم عقابه • وتفرس
 فى النفوس حب كل ما يؤدى لرضوان الله المكرهية كل ما يؤدى لسخطه جل وعلا • ولو أدى
 ذلك لفقد - أو يذل - الرخص والنفيس •

وكما أن العقيدة هى الركيزة الكبرى لتربية النفس فهى كذلك الركيزة الكبرى
 لتربية المجتمع • سياسيا وحربيا واقتصاديا وأخلاقيا وتعليميا • • • وأهدافه ونواتج

الأنظمة الإسلامية التي توجه حياة المجتمع نظيفة نظافة مصدرها وظاها تهسنا
ووسائلها ، وليست هذه النظافة مقتصرة على تعامل المسلمين فيما بينهم ، بل هي
شاملة لكافة الناس في جميع الأحوال وفي كل الأمور .

ومع أن هذه التوجيهات التي تنظم حياة الأمة المسلمة هي تنظيم عادل للمجتمع
إلا أنها في الوقت نفسه طاعة وعبادة لله رب العالمين .

وقد استطاعت عقيدة التوحيد أن تجعل من القبائل المتنازعة ومن الشعوب
المختلفة ومن الأجناس المتعددة ومن الألوان الكثيرة . . . بعد اعتناق الإسلام
خير أمة أخرجت للناس ، ورائدة الأمم في شتى العبادات ، وارتفعت رايسته
(لا اله الا الله) فوق أصقاع كثيرة من المعمورة . ووفق المسلمون يحمرون الأرض
على ضوء المنهج الرباني ، ويصرف كل من الحاكم والمحكوم واجباته فأداها من
تلقاها نفسه ، وحقوقه فأخذها من غير غف ، وآتاهم الله ثواب الدنيا وعن ثواب
الآخرة ، ونصرهم على أعدائهم . لأنهم غفوا على تعاليم الكتاب والسنة بالتواجد ،
قاموا بواجب العبودية فاستحقوا التمكين من رب البرية .

((وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما
استخلف الذين من قبلهم ولويمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد
خوفهم أمنا : يعبدونني لا يشركون بي شيئاً)) (النور : ٥٥) .

وهؤلاء الذين انسابوا في الأرض ييلفون الناس دعوة الله وينشرون الحق والعدل
والحرية ويقمعون الظلم والضلال والاستعباد ، هم الذين تربوا على عقيدة التوحيد
التربية الإيمانية العميقة البطيئة ، على يد خير المرسلين وصاحب الخلق العظيم ومن
ومن هم بالمرسلين رؤوف رحيم (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) . إذا أردت نماذج
حية في الزهد والروحانية : فاستجدهم ممن يغبطهم النبيون والصديقون والشهداء ،
وإذا أردت عواهد في الاقدام والجرأة والثبات والفداء : فاستجدهم أنشودة عذيسة

ففى قسم الزمان ! واذا أردت أمثلة يضربها المثل فى الصبر والتوكل :
 فستجدهم - رضوان الله عليهم - صبروا على صبر أشد من الصبر وتوكلوا على من يده
 الخلق والأمر ! واذا أردت نوعيات فى الحكم والعدل : فستجدهم قفة فى
 ملك العدالة وعدالة الملك ودرة متألثة على جبين العظماء وصفحة ناصعة من صحائف
 المجد ! لله درهم ! فقد جمعوا بين المعرفة والسلوك ، فاستحقوا سعادة الدنيا
 والآخرة ورضوان ملك الملك وملك الملوك .

وحين ابتعد المسلمون عن دينهم رهيدا رهيدا .. وحين انحرفوا فى مفهموم
 الألوهية وفى مفهوم الايمان بالقدر .. وحين تركوا الجهاد فى سبيل الله وركنوا
 الى الدنيا والى الذين ظلموا .. وحين حدث فى حصن الانقسام الفكرى بين الدينين
 والدنيا وبين العلم والايمان وبين المعاملات والمبادات وبين المعرفة والسلوك ...
 وعين تهاوتوا فى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وعين فسد الولاء والعلماء ..
 حينذاك جرت عليهم العنة الربانية ، لأنهم ضيعوا الشرط الذى به يكون فى
 الأرض ، وسلط الله عليهم الأعداء ، وقذف فى قلوبهم حب الدنيا وكراهية الموت ،
 وعاقبهم بعدم الاستجابة لهم ، وأذلهم للبشر ، وجعل بأصمهم بينهم !!

وجاء الاحتلال العسكرى الكافر المدمر لديار المسلمين .. وأزال الخلافة
 الاسلامية التى كانت الشمس لا تكاد تغيب عنها ! وجاء هذا الاحتلال معه بفزوأشد
 خطرا وفنكا من الأسلحة المدمرة الا وهو الفزو الفكرى !

وأعداء الله يعرفون - كمعرفة المسلمين - أن العقيدة الربانية هى مصدر حياة
 المسلمين ومعادتهم فى الدارين ، وقد تنوعت وسائلهم فى حوسم لها ، فتسارة
 يحاربونها باللسان ، وتارة باللعان ، وتارة بالتشكيك فيها ، وتارة بوضع الصمم
 نفسى الدسم ، وتارة بالتظاهر بها ومحاربتها من الداخل .. وأغيرا وجسدا
 أن أنجح الحلول للقضاء عليها - عن طريق الاستشراق ، والتصوير ، والفزو الفكرى

لمناهج التربية ووسائل الثقافة والاعلام - هو أن يربوا من أحفاد المسلمين على أيديهم من يفكر بمقول أجنبية ويكبر الحضارة المادية - الجاهلية - وناهض الحضارة الاسلامية .. ويقوم هؤلاء بتسلم مراكز التوجيه في العالم الاسلامي .. وبذا يوفرون على أنفسهم الوقت والجهد والمال والمعاكر والصلاح ! حين يقوم المستغثون بمهمة محاربة العقيدة الاسلامية .

وهكذا أصبحت أمتنا المعاصرة في مؤخرة الأمم - في شتى الميادين - فقدت روحانية الاسلام من جهة .. وفقدت ما عند الأمم الكاثرة المعاصرة من تقدم مادي من جهة أخرى .. فكانها بذلك جمعت بين خسارة الدارين - والمياد بالله ! ولكن إرادة الله هاءت أن يظهر دينه على الدين كله ، وأن تكون كلمة الحق هي العليا وكلمة الباطل هي السفلى ، وأن يذهب الزبد جفاء ، وأن يبقى ما ينفع الناس في الأرض ، فبعث لهذه الأمة من يجدد لها أمور دينها ، وكان على رأس هؤلاء الأئمة الأعلام :

محمد بن عبد الوهاب ، وحسن البنا ، والمودودي ، وسيد قطب ، ومصطفى السباعي ...

فدعا هؤلاء المجاهدون الناس الى المودة لتعاليم الكتاب والسنة والمض عليهم بالنواجذ ، فاستجاب لهم أناس رضوا بالله وحده ، وبالإسلام وحده ، ديناً ، وبمحمد - صلى الله عليه وسلم - قدوة ونبياً ، رسولاً ، وقام هؤلاء الدعاة بتربية أتباعهم على العقيدة الربانية .. ولما كان يكون الله غايتهم والقرآن دستورهم والجهنم سبيلهم والموت في سبيل الله أسى أمانتهم .

وعن طريق هؤلاء تمت الصحوة الاسلامية .. وانتشرت حركات البعث الاسلامي في العالم تدعو لاعادة الحياة الاسلامية عن طريق التربية اليمانية .. وقامت هذه الجماعات والحمد لله - بدور مشكور في تربية المسلمين على الاسلام من جديد .. ولكن هذا الجهد بحاجة الى تقويم ! .

ان طريق الخلاص : هو تربية الأمة المعاصرة على ما تربت عليه الأمة في عصورها الأولى : الايمان العميق ، والتكوين الدقيق ، والعمل المتواصل - طريق الخلاص يرتكز على هذه العقيدة التي هي قضية المسلمين في الماضي والحاضر والمستقبل .
 وحين توجد القاعدة الاسلامية الصلبة التي تربت على عقيدة التوحيد ففهم مسست (لا اله الا الله) وعملت بمستلزمات (لا اله الا الله) .. حينئذ ينزل نصر الله عليها - كما وعد سبحانه - ، فاما الذين يموتون من هؤلاء فانهم ينالون رضا الله ويموتون وهم مطمئنين ، وتكون دمائهم مشاعل على الطريق ، واما الذين يعيشون حتى قطف الثمرة فانهم يذوقون حلاوة النصر ويفوزون بمسادة الدنيما والآخرة .

سأشار لكن لرب وديمن وأمضى على سنتي في يقينين
 فاما الى النصر رغم الطفافة واما الى الله في الخالدين ا
 لأهمية هذه العقيدة - التي هي قضية المسلمين في الماضي والحاضر والمستقبل - ولدورها الكبير في تربية النفس والمجتمع ، ولكونها هي الطريق الوحيد لمسادة الدارين .. ولأن هذا الموضوع يحتوى على موضوعات كثيرة ، ويتطلب من صاحبه الاطلاع على مختلف العلوم الشرعية ، ولرغبتي الشديدة في أن يشرف على رسالتي أحد أبرز أعلام التربية الاسلامية والفكر الاسلامي المعاصر فضيلة الشيخ الداعية الأستاذ الحبيب (محمد قطب) حفظه الله وبارك فيه ... لهذا كله .. اختترت الكتابة في هذا الموضوع الهام ، الذي لأعلم أن أحدا تناوله من جميع جوانبه فسي كتاب واحد .

ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت - ولو تخنق عمل الشيطان - لأخذت أحسد جوانب هذا البحث فحصب ، لأن كل جزئية منه تحتاج الى بحث مستفيض وصعب عجيب ودقة نظر واطلاع واسع ووقت كبير ! ولكن ما لا يدرك جلله لا يترك كله .

ولو لم أكن صاحب هذا البحث ، لتحدثت عن الجهد الذى بذل لأخراجه
على هذا النحو ، ولكن الاسلام علمنا عدم تركية أعمالنا ، وأن تكون أفعالنا —
لأقوالنا — هى التى تتحدث عنا ، دون زياء أو اعجاب بنفس أو انتقاص لأخريين .
ورحم الله علماءنا العاظمين ، الذين دونوا لنا هذا التراث الزاخر بالمعنى
والحكمة ، ثم جثت ومن على هامكتى — لأخذ به الشهادات وأطلب به الجاهلية
والمناصب والأموال !

ورغم أن هذه الرسالة المتواضعة قد أخذت من وقتى وجهدى ما لا يعلمه الا الله
تعالى ، الا أننى لست نادما على شئ من ذلك ، لأننى بحمد الله وفضله — اطلعت
على آلاف المراجع — فى العقيدة والتفسير والحديث والسيرة والعبادة الشرعية والجهاد
والاقتصاد والتربية والتاريخ والأخلاق والثقافة الاسلامية ونظام الاسلام والمذاهب
الفكرية والدوريات — وقمت بأخذ صفوة ما حوته هذه المصادر وأودعتها فى هذه
الرسالة ، دون تطويل ممل ولا إيجاز مخل .

نأن أصبت فبتوفيق من الله وفضله ، والحمد لله على ذلك حمدا كثيرا طيبا
مباركا فيه كما ينهى لجلال وجهه وعظيم سلطانه .

وان أخطأت فأستغفر الله ، ومستعد للرجوع الى الحق — ان شاء الله —
فى لح البصر ، ورحم الله امرأ أهدى إلى عيسى وجزاه عن خير الجزاء حيث
أرشدنى الى الزلة قبل يوم الزلزلة !

ماكان فى هذه الرسالة من صواب فمن الله ، وماكان فيها من خطأ فمنى ومن
الشیطان ، والله تعالى ورسوله — صلى الله عليه وسلم — منه بريئان ، وكل انسان
يؤخذ منه ويرد عليه الا المحصون (صلوات ربى وسلامه عليه) ، والكمال لله وحده
نكم من انعمان — كما قيل — كتب شيئا وأولاه من الوقت والجهد ما رآه له أهلا
ثم وجد فيه بعد ذلك هنات وزلات ، وقال لو قدمت كذا أو أخرت كذا أو أجملت

فى كذا أو أسهبت فى كذا . . . وهذه طبيعة البشر ، فصبحت المطهرات
 القتدر ، الذى غرد بالكمال والاحسان ، واجتلى على الحبيب والنقصان .
 وقد بذلت وسعى — بل وما فوق طاقتى — لتخرج هذه الرسالة على أحسن وجه ،
 والله أسأل أن يجعلنا ما ينفعنا وأن ينفعنا ما علمنا ، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول
 فيستهمون أحسنه ، وأن يجعل علمنا الضئيل حجة لنا لا علينا ، ولا نكون ممن أوتى
 آيات الله فأنسلخ منها ! وأن يجعل هذا فى ميزانى وميزان شيعى القاضى
 (محمد قطب) ((يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء
 تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا)) (آل عمران : ٣٠) انه سمح بجيب .
 هذا وقد جعلت هذه الرسالة فى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة .

تحدثت فى المقدمة : عن أهمية الموضوع وعن سبب اختيارى له وعن منهجى
 فى البحث .

وتحدثت فى التمهيد عن أثر العقيدة ^{فى} تربية الرجل الأول — رضى الله عنه —
 رعاة ورعية أفرادا ومجتمعا .

وتناول التمهيد كذلك : تعريفات للعقيدة والاسلام والتربية والنظم (لفظة
 واصطلاحا وطبيعة كل منها) .

أما الباب الأول : فكان بعنوان أثر العقيدة فى تربية النفس . وقد حسوى
 ستة فصول .

الفصل الأول : أثر الايمان بالله تعالى فى تربية النفس .

الفصل الثانى : أثر الايمان بالملائكة الكرام فى تربية النفس .

الفصل الثالث : أثر الايمان بالأنبياء والمرسلين فى تربية النفس .

الفصل الرابع : أثر الايمان بالكتب السماوية فى تربية النفس .

الفصل الخامس : أثر الايمان باليوم الآخر فى تربية النفس .

الفصل السادس : أثر الايمان بالقضاء والقدر فى تربية النفس .

أما الباب الثانى : فكان بعنوان : ارتكاز التوجيهات التى تنظم حياة
المجتمع الاسلامى على العقيدة الربانية •
وقد حوى أربعة فصول :

- الفصل الأول : التوجيهات السياسية •
- الثانى : " الحرب " •
- الثالث : " الاقتصاد " •
- الرابع : " الأخلاق " •

أما الباب الثالث : فكان بعنوان صور من واقع المجتمعات المختلفة •
وقد حوى ثلاثة فصول :

- الفصل الأول : واقع المجتمع الاسلامى فى عصوره الأولى •
- الثانى : " المجتمعات الكافرة المعاصرة " •
- الثالث : " أممنا المعاصرة وكيف نعيد تربيتها " •

وفى هذا الفصل الأخير بحثان :-

- البحث الأول : واقع مجتمعاتنا الجاهلية المعاصرة •
- البحث الثانى : كيف نعيد تربية هذه المجتمعات على الاسلام من جديد •
- أما الخاتمة : فقد حوت خلاصة الرسالة • والنتائج التى توصلت اليها •
- سبحانه اللهم وبحمدك أشهد ألا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك •
- سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين •
- صلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبعه واقتدى به الى
يوم يبعثون •

* أبو معمر *
==*==*==*==*

مكة المكرمة

=====

مرغل إلى الحج

تمهيد :-

كان العرب توما فوضى ، في قعر من الأرض هو موضع احتقار الفرس السروم
وأخرامة ينتظر لها أمر ! كانوا قبائل متازعة على الحياة ، متاعسة في الشرف ،
يتنازعون على مواقع الفيث ومنابت العشب ، كل قبيلة تعز بقوتها وتفتخر بأنسابها
ومآثرها - حتى في الظلم والعدوان - !

كان الواحد منهم لا يعترف الا بقبيلته ، فكانت المشيرة عصاية متكافلة على
حماية نفسها والاعتداء على غيرها . . .

فجاءت الحقيدة الاسلامية تنقض كل ما يمتصك به العربي من هذه الموارست . .
فعلت هذا التجمع الموجه للشر باسم القبيلة ، وأحلت مكانه الأمة ، وأقامت الحقوق
البشرية ، وجعلت التعاون على البر والتكافل على النظام العام ، والاتحاد على الفكر
السام . . مكان علاقة الدم . وأحلت سلطان الشريعة فوق كل سلطان ، وجعلت
هيمنة الدولة للغير العام فوق كل هيمنة ، وهدمت القصاص الظالم وأقامت القصاص
العادل ، وصارت العزة للشرع القاسر والسلطان القائم عليه ، وحرمت دعوى الجاهلية
وأوجدت المسؤولية الشخصية ، فما يغنى عن أحد - في ميدان العمل - نفسه
ولا جاهه ولا ماله .

أصبح الناس بهذه الدعوة سواء ، لا شريف ولا وضيع ، أحسنهم أنفعهم ، وأكرمهم
أفهامهم .

قبت هذه العقيدة على التناثر . . . وأحلت مكانه التناقص لاقرار الحق وسط الخير
وفعل الصالحات . . . وملأت القلوب حياء ومسالما .

جاءت هذه الدعوة برسالة التوحيد والتحرير ، وتركت أثرها الخالد في الانسانية
جمعاء ، وصرخ مؤذن هذه الرسالة بالنداء الخالد المدوي (الله اكبر) فتضاءلت
بهذه الصرخة كل عظمة أمام عظمة الله .

وتحررت النفوس من الأوهام الباطلة والعقائد الكاذبة المضلة • وصارت العبودية
لله وحده • يتساوى الناس فيها ويحررون من سواها •

بهذا أدرك الإنسان مكانته • ونال حريته في عقله وفكره وقلبه وعمله •

ظهرت هذه الأمة فجأة من بين تلك الصحارى التى لا يكاد يعرفها أحد •• أمة
جديدة بدأت تمثل دورها على مسرح الحياة بعد أن ظلت نهباً مقعماً • تتأوى
كل قبيلة منها القبيلة الأخرى فيحترق النزاع وتقع الحروب •• هاهى ذى تتعبد
ويجمع شملها التفتت للمرة الأولى •• وتقلب في وقت قصير امبراطورية كسرى وقيصر •
وتوالى فتوحها وانتصارها فى أرجاء المعمورة حتى وصلت جيوشها الظافرة السرى
الهملها ••

لم تكن تلك الأمة فاتحة فحسب بل كانت داعية وبهيرة • وهذا الامتياز الذى
تفردت به هذه الأمة فى التاريخ إنما هو نعمة من رحمة الله التى اختار لها صفوة
عباده وأكمل مخلوقاته محمد - صلى الله عليه وسلم - فكان يوم بعثته يوم مولد
العدل الذى كانت البشرية فى انتظاره • وبشيرا برحمة الله التى تعامل الناس بها
للمرة الأولى • فالبعثة المحمدية مولد الانسانية التى كانت قبل ذلك أمنية الخسواس •
وأقامت العقيدة التى جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم - دولة فى الأرض • تمتد
الصدق من دعائم دينها • والحياة من شعب ايمانها • والرحمة من أصلحة نفعاتها
واقامة الحق من شمائل مجتمعها • واماطة الأذى عن الطريق من أخلاقها •

لقد استطاعت هذه العقيدة أن تكبح جماح قوم اتخذوا الصحراء القاحلة سكناً لهم •
واشتهروا بالشجاعة والحروب والأخذ بالثارات • وتمسكوا بالأعراف والتقاليد والمعادات •
فجعلت العقيدة من هؤلاء خيراً أمة أخرجت للناس •

وقد فتحت هذه العقيدة أمام الناس أبواب العمل للدنيا والآخرة معا ، وجاءت لترقية الروح والجسد ، بعد أن أوصدت الملل والأديان والنحل تلك الأبواب وقصرت وظيفة البشرية على الرهبانية أو العادية !

صدمت هذه الدعوة دين قريش وعقلها فصخرت من الرأى وهبت الى الامم والعدوان !

وجاءت هذه الدعوة بالمساواة لقوم قضوا أعمارهم في التناحر بالأحساب والأنساب . وهذا يصور لنا شجاعة وصبر محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي أنشأ هؤلاء ورياهم على هذه العقيدة .

لقد أرسل النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - لقوم بعدت الشقة بينهم وبين هدى السبيل ، فغشا فوهم الظلم وعمهم الجهل وظهر فوهم الفساد . حكاهم من كفره فجرة ، لهم لهم عاصم من نظام ولا وازع من دين أو خلق ، ولا رادع من وعسى الجماهير وثورتها . وشعوب الأرض كالسائمة لا تعرف حقاً ولا تمس عن منكسر ، ولا تفكر في ثورة أو إصلاح .

عالم يصوده قانون المقلب والغاب ، القوة فوق القانون !
في هذا العهد القائم بميث محمد - صلى الله عليه وسلم - ليخرج الناس من ظلمات الجاهلية الى نور الاسلام .

وثابت مكة على الاسلام . . وقاومت هديه بكل قوة . .
وربي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قلة مؤمنة - طيلة العهد المكسي - هاجر بهم الى المدينة حيث كون مجتمعا وأقام دولة . . ثم دانت الجزيرة العربية كلها بدين الاسلام . فكان نجاحه - صلى الله عليه وسلم - في العهدين - المكسي والمدني - معجزة باهرة ! وكان انتشار الاسلام من بعده أعجوبة الأعاجيب !

كيف استطاع محمد بن عبد الله - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم - أن يكون
من عرب الجزيرة أمة تحمل رسالة وتنشئ حضارة وتصنع تاريخا يظن لأول وهلة
أنه من الخيال أو الأساطير ؟

كيف خلقت رسالة الاسلام من الفرقة وحدة • ومن الضعف قوة • ومن الأمة علماء
ومن البداوة حضارة • ومن الحفاة المرأة رعاة انشاء خير أمة أخرجت للناس ؟
ذلك سر العقيدة الربانية - التي بحث بها جميع الأنبياء من عند الله -
وذلك عطيا في تربية النفس والمجتمع والدولة !

هل ت وزن الدعوات بميزان القوة والاتصاع فغتنسوا مكان العظمة بما تم لها من فتوح
وبما أحرزت من نصر وبما كسبت من أنصار ؟ لا . . .

كان الناس قبل اعتناق هذه العقيدة في فوضى من الأفعال والأخلاق والسياسة
والاجتماع . . . لا يخضعون لسلطان ولا يقرون بنظام ولا يخرطون في ملك • يسبيرون
على الأهواء ويركبون العمياء ويخطون خط عشواء !

وحين دخلوا حظيرة الايمان : اعترفوا للخالق عز وجل بالحاكمة والأمر والنهي
والسلطان • وألزموا أنفسهم بالعبودية التامة والطاعة المطلقة لله عز وجل • وأعطوا
من أنفسهم المقادة • واستسلموا للحكم الالهي شاملا • وتنازلوا عن أهوائهم وأنايتهم
ووضعوا أوزارهم • وأصبحوا عبيدا لله وحده • لا يملكون نفعا ولا مالا ولا تصرفا الا ما يحبه
الله ويرضاه • لا يحاربون ولا يصالحون الا بأذن الله تعالى • ولا يرضون ولا يسخطون
ولا يعطون ولا يضمنون ولا يصلون ولا يقطعون الا بأذنه ووفق أمره جل وعلا •

كانوا اذا أسلموا انتقلوا من الجاهلية - بخصائصها وعاداتها - الى الاسلام -
بخصائصه وعاداته - • وكان هذا التحول العظيم يتم بمد اعتناق العقيدة من غير
تسوان •

لقد عرف الجيل الأول - رضى الله عنه - معنى الاسلام معرفة حقه • عرفوا

أنه خرج من حياة الى حياة ، ومن حكم الى حكم ، ومن قوض الى نظام
 وخضوع واستسلام لله تعالى ، ومن أثنائية الى عهودية • فاذا دخلوا في الاسلام
 فلا فتيا في الرأي ولا نزاع مع الدستور الاصلاحى • ولا خيرة بعد الأمر • ولا مشاققة
 للرسول - صلى الله عليه وسلم - • ولا تحاكم الى الطاغوت • ولا تمسك بمبادئ وتقاليده
 جاهلية • وأصبح خليفتهم كولى اليتيم ان استغنى استغنى وان افتقر أكمل
 بالمعروف ، وأصبحت الأرض التى اغتصبها الملوك يفصحونها لمن يشاؤون ويفيقونها
 على من يشاؤون • • أصبحت أرض الله من ظلم قهر غير منها طوقه من سبيح
 أرضين يوم القيامة (١) !

لقد قام رسول الله وخير المرين وقدوة العالمين - صلى الله عليه وسلم -
 وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تهمه باحسان الى يوم الدين - فى هذا المجتمع ،
 فحل عقاله وفك ايماره • ثم حل منه محل الروح والنفس • وهفل منه مكان القلب
 والحين • واندفع اليه - صلى الله عليه وسلم - الحب الصادق كاندفاع الماء الى
 الحدود • وانجذبت اليه النفوس والقلوب انجذاب الحديد الى المغناطيس ! كأنما
 كان - صلى الله عليه وسلم - من القلوب والأرواح على مهاد • وأحبه رجال أمته
 وأطاعوه حبا وطاعة لم يسمع بمثلهما فى تاريخ المحبين • ووقع من خوارق الحساب
 والتفانى فى طاعته وإيثاره على النفس والأهل والمال ما لم يحدث قبله • ولم يكن
 - صلى الله عليه وسلم - كرامة المصلحين الذين ينحصر دورهم فى مكافحة بعض الأدواء
 الاجتماعية والمهوب الخلقة فصب • ولكنه أتى الاصلاح من بابه • ووضع على
 قفل الطبيعة البشرية مفتاحه • ذلك القفل المسدود الذى أعصى فتحه جميع المصلحين
 فى عهد الفترة - قبل الاسلام - • وكل من حاول فتحه من بعده بغير مفتاحه !

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أخذ شيئا من الأرض ظلما طوقه الى
 سبع أرضين •

وكان ذلك آية توفيقه - صلى الله عليه وسلم - لأنه أصاب الغرض وضرب
على الوتر الحساس ، وأصاب الجاهلية في مقتلها ، وثبت على دعوته ثبوت
الراشيات ، لا يشبهه عن ذلك أذى أو كهيد أو اغراء .

لقد رضع المرب حب القتال وكانهم ولدوا مع السيف ، وهم من أمة صمن
أيامها حرب يمسوس وداحس والغبراء ، وما حرب القجار بهديد .

ولكن النبي - صلى الله عليه وسلم - كبح طموحتهم الحربية ونخوتهم المربية
فانقهروا لأمره وكفوا أيديهم ، وتحملوا من قريش ما تصول منه النفوس في غير جبين
أو عجز ، ولم يسجل التاريخ حادثة دافع فيها مسلم في مكة عن نفسه بالسيف ،
مع كثرة الدواعي الطبيعية إلى ذلك وقوتها ، وذلك غاية ما روى في التاريخ من الطاعة
والخضوع ، حتى إذا تعدت قريش في الطفيان وبلغ السيل الزين ، أذن الله
لرسوله - ولأصحابه - في الهجرة ، فهاجروا إلى المدينة وقد سبقهم إليها الإسلام .
والتقى المهاجرون بالأنصار ، لا تجمع بينهم إلاصرة العقيدة ، فكان أروع منظر
لسلطان الدين شهده التاريخ .

وكان الأوس والخزرج لم ينقضوا عنهم غبار حرب بعات ، ولا تزال سيوفهم تقطر
دمًا ، فألف الإسلام بين قلوبهم ، ثم آخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
بينهم وبين المهاجرين ، فكانت أخوة تترى بأخوة الأشقاء ، وتبذ كل ما روى في التاريخ
من خلة الأخلاء .

كانت هذه الجماعة الوليدة - المؤلفة من المهاجرين والأنصار - نواة للأمة
الإسلامية الكبيرة التي أخرجت للناس ، ومادة للإسلام فكان ظهور هذه الجماعة -
في هذه الساعة العصيبة - وقاية للعالم من الانحلال الذي يهدده .

ولم يزل النبي - صلى الله عليه وسلم - يربهم تربية دقيقة عميقة ، ولم يزل القرآن
يسمو بنفوسهم ويزكي جمرة قلوبهم ، ولم تزل مجالس العلم النبوية تزيدهم رسوخا

فى الدين وعزوفنا عن الشهوات وتقانها فى سبيل المروءة • وحنينا الى الجنات
وحرصا على العلم وفقها فى الدين ومحاسبة للنفس • يطعمون قائدهم وموجههم
ومنهم — صلى الله عليه وسلم — فى المنشط والمكره والعصر واليمر وينفرون
فى سبيل الله غفارا وثقالا •

بهذه العقيدة الرمانية وبهذه التربية الايمانية بعث رسول الهدى — صلى الله عليه وسلم —
فى العرب حياة اسلامية جديدة •

عبد — عليه أفضل الصلاة والسلام — الى الذخائر البشرية • فأوجد فيهم —
ياذن الله — الايمان والعقيدة وبعث فيهم الروح الاسلامية الجديدة • وأثار من
دقاتها وأعمل مواهبها • ثم وضع كل واحد من أصحابه فى محله فكانما خلق له !
عبد الى أناس ضائعون حيارى • • • • • فما لبث العالم أن رأى منهم — بعد اعتناقهم
عقيدة التوحيد — نوايح من عجائب الدهر وعباقر من سوانح التاريخ !

ها هو ذا عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — كان يرى الأهل لأبيه • ولم
يتبوا من قريش مكانة عالية • ولا يحسب له أقرانه حسابا • • • • • اذا به بعد اعتناقه العقيدة
يفجأ العالم بعبقريته وعظمته • وهدجر بجيوش المسلمين كسرى وقبصر عن عروشها •
ويحكم دولة اسلامية تجمع بين ممتلكات الفرس والروم وتفوقهما فى الادارة والنظام
فضلا عن العدل والتقوى الذى لا يزال فيه المثل السائر !

وها هو ذا خالد بن الوليد — رضى الله عنه — كان أحد فرسان قريش الشبان •
انحصرت كفايته الحربية فى نطاق محلى • ولم يحرز الشهرة الفائقة فى نواح الجزيرة
العربية • • • • • اذا به بعد اعتناقه العقيدة الرمانية يلوح سيفا البهيماء لا يقوم له شئ
الا حصده • وينزل كصاعقة على طواغيت الفرس والروم ويترك ذكوا خالد فى التاريخ
لا ينسى !

وها هو ذا عمرو بن العاص - رضى الله عنه - ترسله قريش في سفارتها الى
الحيهة تسترد المهاجرين المعلمين فيرجع خائبا .. اذا به يفتح مصر وتصبح له
صولة عظيمة . !

وها هو ذا سعد بن أبي وقاص - رضى الله عنه - لم يسمع به أحد في تاريخ
العرب قبل الاسلام كقائد حرسى أوزعيم سياسى .. اذا به يتقلد مفاتيح المدائن *
وينبسط بأمره فتح العراق وايران * بعد قيادته للجيوش الاعلامية فى معركة
القادسية . !

وها هو ذا سلمان الفارسى - رضى الله عنه - كان موبدان فى احدى قرى فارس
لم يزل ينتقل من رق الى رق ومن قصوة الى قصوة ... اذا به يطلع على أمته كحاكم
لعاصمة بلاد فارس التى كان بالأسر أحد رعاياها . !

والغريب أن هذه الوظيفة لم تغير من زهادته وتقشفه * فمراه الناس وهو يسكن
فى كوخ ويحمل الأثقال على رأسه . !

وهذا سالم - مولى أبى حذيفة - يرى فيه الخليفة عمر - رضى الله عنهما -
موضعا للخلافة حيث يقول : لو كان سالم حيا لاستخلفته . !

وهذا زيد بن حارثة يقود جيش المسلمين الى معركة مؤتة * وفيه مثل جعفر
ابن أبى طالب وخالد بن الوليد . ! يقود ابنه أمانة جيشا فيه مثل عمر بن الخطاب . !
- رضى الله عن الصحابة أجمعين - .

ها هم أولاء الذين اعتنقوا هذه المقيدة وتربوا على يد النبى - صلى الله عليه وسلم -
يتفجر العلم من جوانبهم * وتنطق الحكمة على ألسنتهم * أهر الناس قلوبا * وأعقبهم
شكرا * وأقلهم تكلفا * يتكلمون فينصت الزمان * ويخطبون فيسجل التاريخ . ! !

كانوا - رضوان الله عليهم - بفضل تمكهم بلا اله الا الله كتلة بشرية مسترزة فيها
الكفاية التامة فى كل نواحى الحياة * كتلة هى فى غنى عن غيرها وغيرها ليس غنىها

عنها • أصمت حكومتها • وليس لها عهد بها • فلم تضطر إلى أن تستسلم
 في إدارتها بحكومة أجنبية • أصمت دولة تعد رواقها على رقعة متسعة من قارتين
 عظيمتين - آسيا وأفريقيا • ومألت كل شغل وسعدت كل عوز • بهرجال يجمعون
 بين الكفاية والديانة والقوة والأمانة •

كان منهم - رحمهم الله - الأمير الكف • والخازن الأمين والقاضي العادل والقائد
 العابد والوالي البرع والجندى التقى •

ولا تزال العقيدة الإسلامية التي أنجبت هؤلاء • مادة لا تنقطع وسينا لا ينضب •
 أنجبت - وتجب - رجالا يرجحون الهداية على الضلالة ويجمعون بين الإصلاح
 والكفاية • سيرتهم درة في تاريخ البشرية الطويل !

انحلت العقدة الكبرى - عقدة الكفر والجاهلية - فانبطحت العقدة كلها • وانتصر
 الإسلام على الجاهلية - في المعركة الأولى - فكان النصر حليفه في كل معركة • دخل
 الناس في الإسلام - من بعد ما تبين لهم الهدى - بقلوبهم وجوارحهم • وقرضوا
 أجسادهم للمذاب الشديد إذا بدرت منهم زلة تستوجب الحد !

نزل تحريم الخمر والكفوس المتدفقة على راحتهم • فحال أمر الله بينها وبين
 الشفاء العظمى والأكباد المتقدة • وكسرت دنان الخمر فسالت في سكك المدينة •
 حتى إذا خرج حظ الشيطان من نفوسهم • بل خرج حظ نفوسهم من نفوسهم
 وأنصفوا أنفسهم أنصافهم غيرهم • وأصبحوا في الدنيا رجال الآخرة • وفي اليوم
 رجال الفد • لا تجزعهم مصيبة • ولا تبطرهم نعمة • ولا يشغلهم فقر • ولا يطفئهم
 غنى • ولا تلهيهم تجارة • ولا تحتفهم قوة • ولا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا •

وأصبحوا للناس حكاما عدولا • قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم
 أو الأتربين • حين ذاك : وطأ الله تعالى لهم أكفاف الأرض وأصبحوا قسدا
 للبشرية ودعاة إلى دين الله •

لقد كان هذا التحول الذى أحدثته هذه العقيدة الربانية فى نفوس المؤمنين وبواسطتهم فى المجتمع الانسانى أغرب ما فى تاريخ البشر ، غريبا فى سرعته ، غريبا فى عمقه ، غريبا فى سمته وشموله !

تحولت نفسياتهم بهذا الايمان الواسع العميق الواضح تحولا عجيبا ! فاذا آمن أحدهم بالله انقلبت حياته ظهرا لبطن ، تغفل الايمان فى أحشائه وتغرب الى جميع عروقه مشاعره ، وجرى منه مجرى الروح والدم ، واقتلع جرائم الجاهلية وجذورها ، وغمر العقل والقلب بفيضانه ، وجعل منرجلا آخر ، وظهر منسبه من روائع الايمان واليقين والصبر والهجاعة ، ومن خوارق الأعمال والأخلاق ما حير العقل والفلسفة وتاريخ الأخلاق ، وعجز العلم عن تحليله بعضه غير الايمان الكامل العميق .

وكان هذا الايمان مدرسة خلقية وتربية نفسية ، تولى على صاحبها الآداب العالية ، من صراحة ارادة وقوة نفس وأقوى وانع عرفه تاريخ الأخلاق وعلم النفس عمن الزلات البشرية ، حتى اذا جمحت الصورة البهيمة فى بعض الأحيان وسقط الانسان سقطه حيث لا تراقبه عين ولا تتناول يد السلطة تحول هذا الايمان نفسا لواء عنيفة ، ووخزا لاذعا للضمير ، يرتاح معه صاحبه اذا اعترف بذنبه أمام السلطة ، وعرض نفسه للمقوبة الشديدة مطمئنا راضيا ، غاديا من غضب الله وأليم عقابه .

وكان هذا الايمان حارسا لأمانة الانسان وخفائه وكرامته ، يكبح نفسه عن النزوع الى المطامع والشهوات الجارفة فى الخلوة والوحدة — وقد وقع فى تاريخه المسلمين من قضايا العفاف عند المفنم وأداء الأمانات الى أهلها ما يحجز التاريخ الانسانى عن نظائره ، وما ذاك الا نتيجة رسوخ العقيدة فى نفوس أتباعها ، ومراقبة الله تعالى واستحضار علمه وعظمته وأليم عقابه .

أقامت هذه العقيدة عوج الحياة ، وردت كل فرد في المجتمع الى موضعه —
لا يقصر عنه ولا يتعداه — وأصبحت الأمة المسلمة أسرة واحدة — لا فضل لمربي
على عجمي ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى •

واقترنت هذه العقيدة جذور الجاهلية وحصنت مادتها وصدت نوافذها •
وأصبحت الطبقات والأجناس في مجتمع العقيدة الربانية — متعاضدة •
لا يهني بعضها على بعض •

وأصبح كل واحد في المجتمع راعيا ومسؤولا عن رعيته • وأصبح المسلمون أعوانا
على الحق • أمرهم شورى بينهم • يطيعون الخليفة ما أطاع الله فهم • وأصبح
المجتمع الاسلامي رشيدا عاقلا مسؤولا عن أفعاله •

مكث — صلى الله عليه وسلم — طيلة العهد المكي يدعو الناس الى الاسلام
لا يكتفى ولا يلج ولا يلين • ولا يحايى ولا يدهن ولا يستكين • وصاحت قريش بسبه
وبالمؤمنين من كل جانب • وروى عن قويم واحدة • وأضرمو البلاد عليه نارا ليحولوا
بينه وبين أبنائهم وأخوانهم • فأصبح الايمان به والانحياز اليه جد الجدة • لا يتقدم
اليه الا جاد مخلص هانت عليه نفسه وعزم على أن يقتحم لأجله الأهوال •

تقدم فتية من قريش لاستخفهم طيش الشباب • ولا يستهويهم مطع دينوى • انما
همهم الآخرة وغيبتهم الجنة • سمعوا شاذيا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فذاقوا
عليهم الحياة الجاهلية بما رحبت • وروا أنهم لا يسميهم الا الايمان بعقيدة التوحيد •
فآمنوا • فكانت رحلة شاقة لما أقامت قريش بينه وبين الناس من عقبات • فوضعوا أيديهم
في يد النبي صلى الله عليه وسلم — وأسلموا نفوسهم وأرواحهم لله عز وجل • وهم مسن
حياتهم على خطر ومن البلاء على يقين •

فما كان من قريش الا ما توقعوه • قد نثرت كنانتها • وأطلقت عليهم كل سهامها
فما زادهم ذلك الا صبرا وثقة وتسلطا •

ولم يزد هم البلاء والاضطهاد في الدين الا مائة في عقيدتهم ، وحمية لدينهم
وحقنا للكفر وأجله ، وأشعلا لحاظتهم ، وتحصيا لنفوسهم •

هذا والرسول - صلى الله عليه وسلم - يغذى أرواحهم بالقرآن ، ويربى
نفوسهم بالإيمان ، ويخضعهم أمام رب العالمين خمس مرات في اليوم عن طهارة
بدن وخشوع قلب وخضوع جسم وحضور عقل • فيزدادون يوميا سمورج ونقاء قلب
ونظافة خلق ، وتحررا من سلطان الماديات ومقاومة الشهوات ، ويزرعوا الى رب الأرض
والسموات •

كان العهد المكي فترة تربية واعداد •• تربية المعقدة ، واعداد لحمل الأمانة
الكبرى - التي لم تعملها أمة أخرى من قبل - وهي تحقيق منهج الله في واقع
الحياة ، وقيادة البشرية على ضوء هدى الله •

وكانت التربية قد آتت ثمارها بالفصل في نفوس الفئة المختارة التي تربت خلال
ثلاثة عشر عاما - على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم •

كانت (لا اله الا الله) قد تعمقت في نفوسهم حتى أصبحت واقعهم الذي يحبونه
ويزادهم الذي يتقوتون به • وعرفوا حقا معنى الألوهية ومعنى العبودية •

لم تعد الأرباب الزائفة تخطر في مشاعرهم أو تمارس سلطانها عليهم ••

لا الأصنام التي يعبدها المشركون عبادة حسية ولا القبيلة ، ولا عرف الآباء والأجداد

الذي يلتزمون به من دون الله ، ولا الهوى الذي يتخذ منه الهيا فيصممهم ويصممهم
عن الحق • إنما هو اله واحد لا شريك له في الخلق والأمر والتدبير • ولهذا الاله
الواحد - جل جلاله - تتجه نفوسهم بالمباداة والطاعة والرجاء والخشية ، ويتمثلون
صفاته تعالى التي عرفهم بها •• فتتمق هذه الصفات في نفوسهم وتحيط بكسل
جنباتها • فتشكل مشاعرهم نحو الخالق وتحدد لها •

رفعتهم هذه العقيدة من واقع الحس القريب في العبادة ، الى الله الذي لا تدركه الابصار ، رفعتهم من واقع الأرض المحدود الى واقع الصورة المتكاملة التي يكملها اليوم الآخر . . . رفعتهم من المجال القريبة ومجالس الله وفارات الجاهلية الى أن يعيشوا للعقيدة ، يملأوها فكرهم وجهدهم وعواطفهم ، ويحملوها في سبيلها الأذى والحرمان ، راضية نفوسهم بلا اله الا الله .

جعلتهم هذه العقيدة يعيشون مولدا جديدا - لم يكونوا يعرفونه من قبل - فلما عرفوه وتذوقوه أصبح بالنسبة اليهم هو الحياة . . .

تلك كانت فترة التربية في العهد المكي ، يطوف بهم القرآن الكريم في آيات الله المنظورة - في الكون . . . في الدقة المعجزة والضخامة المعجزة . . . في الحياة والموت . . . في عجائب الرزق . . . في تدبير الكون . . . في علم الله الشامل . . . في قدرته التي لا تحصى . . . في معجزاته التي أيد بها أنبياءه - عليهم الصلاة والسلام - في املائه للكفار ثم أخذه لهم . . . في مشاهد القيامة - بنعيمها وأهوالها وعذابها . . . في قصة آدم والشيطان . . . في الحديث عن الملائكة والجن . . . في أخلاقيات هذه العقيدة وكل ما يتصل بها من موضوعات . . .

ومن خلال التربية بالعقيدة كان يتم الاعداد . . .

هل كان من الممكن أن تقوم هذه الأمة بحمل الأمانة الكبرى في الأرض دون أن يتميق في قلوبها معنى (لا اله الا الله) ، ودون أن تتربى على التجرد لله ؟ ! وكيف تقوم بحمل هذه الأمانة ، وتبقى على مستواها الرفيع حين يمكن الله لها فسي الأرض ؟ من أين كان يتأتى لهذه الأمة ان تقدم نماذجها الرفيعة في تحقيق العدل الرباني - في واقع الحياة - لو لم تترب تلك التربية الفذة بلا اله الا الله ؟ ومن أين لها أن تعطى تلك النماذج الفريدة من الوفاء بالمهد والصدق والأمانة والعدل ؟ ومن أين لها أن تكتب ذلك التاريخ الفذ - الذي كتبه في واقع الأرض - في كل مجالات الحياة ؟

ألا إنها العقيدة الروائية الركيزة الكبرى للتربية الإسلامية التي قام عليها ذلك البناء كله ، وما كان يتأتى من غيرها أن يقوم .

وحين علم الله تعالى من قلوب هذه الفئة أنها تجردت لله وأخلصت له نقلها
النقلة الثانية — الهائلة — لتقوم بدورها المطلوب . . . كانت النقلة الأولى نقلة العقيدة
وكانت النقلة الثانية من فترة الابتلاء والتصحيح إلى الاستخلاف والتمكين .

وكما كان الكتاب والسنة هو أداة النقلة الأولى من الكفر إلى الإيمان ، فكذلك
كان هو أداة النقلة الثانية .

والحديث عن العقيدة لم ينقطع في العهد المدني بل استمر — على ذات النمط
المكي وإن كان في حيز أقل — لأن الحديث هناك كان للتأسيس وهنا جاء للتذكير .
والموضوعان الجديان اللذان استغرقا أكبر مساحة من السور المدنية هما التشريعات
والتنظيمات ، والجهاد في سبيل الله ، وقد عولجا اثباتاً من العقيدة ومن خلالها
، لأن الكل عبادة لرب العالمين !

كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وخلفاؤه من بعده — رضوان الله عليهم —
حريصين كل الحرص على تربية الأمة الإسلامية تربية إيمانية ، وعلى إقامة الدولة على
أساس قرآني .

ومن واقع التاريخ الإسلامي يبرز عنصر التربية واضحاً جلياً في فتراته المشرقة . وحين
ضعف هذا المنصر أو تلاشى . . . دب في جسم الأمة دبيب الضعف ، وأصابها ما أصاب
الأمم المضعفة من نزاع وتخلف وانحلال .

ومن فضل الله أن هذه العقيدة الإلهية — مثلة في الكتاب والمنة — مازالت
باقية بين أيدي المسلمين ، ومازالت صالحة للمثل في كل زمان ومكان ومجال ، ومازالت
قادرة أن تبلغ بالفرد والمجتمع والدولة ما بلغت بها من قبل ، إذا وجد دعاة صادقون
يسيرون على ما سار عليه السلف الصالح — رضى الله عنه — ، ومجاهدون في سبيل
الله بأموالهم وأنفسهم ، ولا يستمجلون — اقتطاف الثمرة قبل نضجها ، فمن استمجل

الشيء قبل أوانه عقب بحرمانه !

لقد مكث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة عشر عاما - في مكة المكرمة - يدعو الى الله ويربى أتباعه المؤمنين . وعلى الرغم مما يبدو في الظاهر من أن الدعوة لم يكتب لها النجاح في هذا العهد الا أنها في الحقيقة حققت أعظم نصر للإسلام على الكفر ، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - استطاع فيها أن يربى عددا من أصحابه على العقيدة ، وأن يكون منهم جماعة اسلامية متميزة بعقيدتها وسلوكها وأهدافها . وكانت دار الأرقم بن أبي الأرقم - رضى الله عنه - التي اتخذها عند الصفاء هي مدرسته التي ربي فيها الرجل الأول من الصحابة - رضوان الله عليهم - ، وهذه المدرسة بحسب أكبر وأعظم مدرسة عرفها التاريخ - القديم والحديث - فقد خرجت رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه فلموا بأكبر تحوّل عالمي عرفته البشرية !

ان كتاب الله الكريم - كتاب التربية الأول - هو الذي قام بدور التربية ، حيث إن له منهجا فريدا في التربية ، يربى بآياته متى صادفت الفطرة السليمة ، والقلب المتوقد ، والعقل الواعي ، والقناعة الحسنة .

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو المبلغ عن ربه ، وصاحب التطبيق العملي لمنهج القرآن ، والداعية الذي فهم دعوته ، والمربي الذي أوتى كل صفات التربية المثلى . فوصل - صلى الله عليه وسلم - أصحابه بالله عز وجل ، عن فهم ومعرفته وإيمان ، وعرفهم أن ما جاء في القرآن الكريم أوامر للتنفيذ ، فكان زاد قلوبهم ومظهر نفوسهم ، ووجه سلوكهم ، وصلة بينهم وبين خالقهم .

وهذا كان لقاء دار الأرقم تربية . كما كان قيلم اللؤلؤ تربية . كما أن المحنة قامت بدورها في التربية !

ولما آمن المشركون في تعذيب المؤمنين ، أمرهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بالهجرة الى الحبشة ، ليعبدوا الله فيها بعيدا عن الفتنة والاذى .

وحين أسلم أناس من الأوس والخزرج بميث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليهم
 الصحابي الجليل مصعب بن عمير - رضي الله عنه - داعيا وريثا ، فكان يدعو أهل المدينة
 إلى الله ، ويربي من أسلم منهم ، ويعلّمهم القرآن وما أخذوا من النبي - صلى الله
 عليه وسلم - في مكة .

واستمرت التربية الإسلامية في المدينة - بعد الهجرة - على نطاق أوسع ، فقد
 بدأ القرآن ينزل بالتشريع . . وتناول الأسرة والمجتمع ، والعلاقات بين الدولة
 الإسلامية وغيرها . فامتسع مجال التربية تبعا لاتساع أغراضه وتعدد أوامره ونواهيه
 واتخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - من المسجد مركزا لدعوته ، يصلى فيه بالمسلمين ،
 ويبلغ فيه ما أنزل إليه من ربه ، ويلقى فيه الوفود ، ويمقد فيه مجالس العلم والمشارحة .
 ولم يشغله الجهاد وإدارة الدولة عن مهمته في تربية المؤمنين ، حتى لحق -
 صلى الله عليه وسلم - بالرفيق الأعلى . ونجحت تربيته نجاحا منقطع النظير ، ليس له
 في تاريخ البشرية الطويل من مثيل . ووصل بالمجتمع المسلم في واقع الحياة إلى غاية
 من الرفعة والسمو لا تدانى .

وفي عهد خلافة الصديق - رضي الله عنه - التي كانت سنتين ونيف ، توحدت
 الجزيرة العربية - بعد مسح المرتدين - وسارت الجيوش الإسلامية الظافرة لفتح
 الشام والمراق . .

وجاءت خلافة الفاروق - رضي الله عنه - والدولة الإسلامية الفتية في حالة
 حرب مع الفرس والروم . . فكان هو القائد الأعلى لجيوش المسلمين ، يرسم لها الخطط
 ويميث إليها بالمدد والتموين .

ثم بدأ المجتمع الإسلامي يتحول من مجتمع عربي إلى مجتمع عالمي ، يضم أجناسا
 شتى ، ولفات وثقافات متباينة . . وخشى عمر أن تضع نصاعة العقيدة في غمار هذه
 الكثرة الغالبة ، وأن يتأثر المجتمع الإسلامي الجديد بتقاليد تلك الشعوب وأخلاقها

ومقتادها ، فكان اهتمامه بآل التربة عظمياً ، فاختار أمراء الأمصار من فقهاء الصحابة ليكونوا ولاية مرسين ، كما كان يهتم منهم دواة جمعوا بين التربية والتعليم .
 وسير ممنا عند الحديث عن التوجيهات السياسية لمناجح حية من سيرة أمير المؤمنين عر - رضى الله عنه -

ثم جاءت خلافة نبي التورين - رضى الله عنه - فكانت بركة صمناً وسلاماً . وقد سار - رحمه الله - سيرة صاحبه مع كثير من الساحة واللين ، ورضى فيه المسلمون عن خليفتهم الواحد ، وأجبه كل الحب ، وكان - رضى الله عنه - شديد الحرص على وحدة الأمة والهدى بها عن مظان الفرقة والخلاف ، وحسبه أنه جمع الأمة على قراءة واحدة ومصحف واحد وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشروء بالجفة ، ومات وهو غر راض .
 لقد ارتفع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمجتمع الاسلامى الى أوج فسوق مألوف البشر - كما سترى فيما بعد باذن الله - وداومة التحليق قريباً من هذا المستوى فى حاجة الى مداومة التربية والتذكير ، وإلى القدوة الحسنة ، وإلى حزم الحاكم ومقتضاه .

فقد اتسمت الدولة الاسلامية فى عهد عر وثمان - رضى الله عنهما - اتساعاً كبيراً فى فترة وجيزة ، وجهد عر فى تربية هذه الأمة ، وشغل هذا لايم فى سنين ، بل بحاجة الى استمرارية فى التربية ، وكانت هذه الأمة بعد هذا الاتساع الجديد والامتراج الرائع والثراء الواسع معرضة لهزات وعواصف - شأن كل عهد الانتقال - وعسى - رضى الله عنه - كان يقطاً واقفاً للفتن بالمرصاد ، يحول بين الأمة وبين الاختلاف ما استطاع الى ذلك سبيلاً ، وكان له من طبيعة تكوينه وطاقته وخزونه مامكة من حصيل المسلمين على الجادة .

وكانت الأمة فى حالة حرب منذ العهد المدنى واستمرت حتى الشطر الثانى من عهد عثمان ، وكانت مشغولة بالجهاد فى سبيل الله فى عدة ميادين . فلما وضعت الحرب أوزارها فرغ المسلمون لحياة الراحة والدعة ، وكانت أسبابها مهياً باقبال الدنيا وكثرة الاموال .

وقد أتعب عمر - رضى الله عنه - نفسه وأتعب من بعده إضيق على نفسه وأهله ،
 ووسع على الناس • وحين جاء عثمان - رضى الله عنه - كان أبرز ما فيه جوده ولينه وسره
 بأهله وقرباته •

اتهم عثمان - رحمه الله - فى عدله ، وطمن فى عرضه ، وأذى فى شخصه ، وشرع
 فى قتله • • فما زاده ذلك الا صبرا وتسامحا وغفوا ، لانه يعمل على ارساء قواعد الرسالة
 ورياضة الامة على استعمال حقها ، وأثر - رضى الله عنه - أن يضحي بنفسه ولقى
 الله شهيدا على أن يحدث حدثا فى مجتمع المدينة المنورة ليس له سابقة فى عهد
 النبى - صلى الله عليه وسلم - ولا فى عهد الصديقين !

وقد تألم المسلمون لفداحة الجريمة ، وحز فى نفوسهم مقتل الخليفة على هذه
 الصورة الحزينة •

واتخذ أعداء الاسلام من هذه المأساة دليلا على أن الاسلام لم يغير من النفوس
 وأن العقيدة لم يكن لها أثر فى واقع الحياة وسلوك المسلمين • وهذا زور وهتان !!
 " كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا " (الكهف : ٥)

ان سلطان العقيدة على النفوس وتأثيرها فى واقع الحياة واضح لكل ذى عينين ،
 ولا يدعى أحد أن من صل العقيدة تحول معتقها الى أناس معصومين • وحسب
 العقيدة فى هذا أن ترتفع بأصحابها - حتى فى حالة الخلاف - عما ألقى الناس من
 اسفاف • وأن تظهر من ثنايا هذا الخلاف قيم كريمة لم ترها البشرية من قبل فى حروب
 ولا سلام •

مع التأكيد على أن الفتنة - التى انتهت باستشهاد الخليفة الراشد عثمان - لم
 تكن عن ملأ من المسلمين ورضاهم ، بل كانت نتيجة مظلمة عصابة من أعداء الاسلام استمرت
 تنخر فى كيان الامة أكثر من عشر سنين ، وتولى كبرها عبد الله بن سبأ - ابن السدأ -
 وأتباعه ، الذين أسلموا نقيّة وثقاقا لمحاربة الاسلام من الداخل ! وتبهم ضحى
 المقول والايمان من أصدار دولة مترامية الاطراف ، بهرتهم عبارات الامري بالمعروف والنهي

عن المنكر ، وخذ عنهم الكتب الملققة بأسماء الصحابة وأمهاة المؤمنين !
 ان التربية القرآنية التي أخرجت مجتمعا تعود الحرية والمساواة والضمانات القوية
 وبدأ محاسبة الحكام -- لأول مرة في تاريخ الدول -- لا كبر د ليل على سلطان المقيسة ،
 وعلى أن منهجها الفريد هو الوحيد للبنا -- لبناء النفس والمجتمع والدوله -- ، والاخذ
 بيد الانسانية الى أرفع الافاق •

وان الصور المشوقة الكريمة التي وصلت اليها الامة المسلمة -- في عصورها الاولى --
 بفضل تربية المقيسة ، لأعز وأكرم ما فتخر به الانسانية في تاريخها الطويل ، انها صورة
 البشرية في أسمى صورها وأرفع ذراها . : انها لوحة الحكم المومن النظيف الذي فسر
 معنى الخلافة في الارض ، وأذاق الانسانية حلاوة الحكم بما أنزل الله •
 ولا يخفى من قيمتها ما صادفها من أخطاء ، وما حدث بعد ها من فتن ، فقد ظلمت
 أموة صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان • واستطاعها عرب بن عبد الميز -- وغيره -- في
 فترات التاريخ الاسلامي •

انما توزن الدعوات بما قامت عليه من مبادئ ، وما تضمنت من خلق ، وما أحدثت
 من قيم ، وما بلغ اتباعها من سمو ، وما أثمرت الحياة من مثل ، وما أقرت فيها مسن
 موازين • • • وذلك سر عظمة عقيدة الاسلام •
 فمقيدة التوحيد -- التي جاء بها الاسلام -- رسالة تربية وتشريع ، ورسالة خلشق
 وجهاد ، ورسالة سمو وقيم • • •

وكذلك نبي الاسلام -- صلى الله عليه وسلم -- سر علمته أنه على خلق عظيم !

وهذا هو الواسلة ثلاثة : عقيدة وعبادة وتشريع •

فالمقيدة : أصل وفطيرة •

والمباداة : صلة وتربية •

والتشريع : أمن ونظام •

وجوهر الواسلة : خلق واحسان • ووسيلتها : قدوة وتربية •

وأول ميادينها : النفس والضمير •

فهدف العقيدة الإسلامية :

إقامة مجتمع إسلامي نظيف ، نظيف العقيدة ، نظيف الملاقات ، نظيف المشاعر ، والسلوك • تبدأ بالفرد فتد ، إلى فطرته السليمة ، وترعى فيه الضمير المرفه الحساس ، وتروضه على الخلق الكريم والادب الفاضل ، وتقيم الأسرة على المودة والفضل والرحمة ، وتكون المجتمع على الحب والتكامل والعدل ، وتنظم العلاقة بين المسلمين وغيرهم على أساس العدل والحق والوفاء •

وتربية العقيدة الربانية شاملة •• لا تقتصر على المساجد ، ولا تختص بالمعبادة دون السلوك ، ولا تهتم بالفرد وتترك المجتمع ، ولا تمنى بالقول وتهمل العمل ، إنما تشمل كل جوانب النفس البشرية ، وتعمل في كل ميادين الحياة الانسانية • وعلى أساس هذا الشمول يقوم منهج العقيدة — مثله فيما ورد في الكتاب الكريم والسنة المطهرة — في تربية النفس والمجتمع • وقبل أن نتحدث بالتفصيل عن أثر العقيدة الربانية في تربية النفس والمجتمع ، سنذكر — في الصفحات التالية — باذن الله —

- وتعريف العقيدة : (لغة ، واصطلاحاً ، وعلاقة العقيدة بالايمان)
- وتعريف الاسلام : (لغة ، واصطلاحاً ، وعلاقة الاسلام بالايمان)
- وتعريف التربية : (لغة ، واصطلاحاً ، وفهم التربية في الاسلام)
- وتعريف النظم : (لغة ، واصطلاحاً ، وطبيعة النظم الاسلامية)

ملحوظة :

اقتبسنا الصفحات الماضية (التمهيد) بتصرف واختصار مما كتبه السادة :

- عبد الرحمن عزام : بطل الابطال من ص ٨ — ١١ ومن ص ٩٩ — ١٤٤ •
- صاحب الدين الخطيب : مع الرعيال الاول من ص ٤ — ١٤ •
- محمد قطب : دراسات قرآنية من ص ٢٦٢ — ٢٦٦ •
- وأبو الحسن الندوي : ماذا خسر العالم بالخطا المسلمين من ص ٨٩ — ١٢١ •
- محمد شديد : منهج القرآن في التربية من ص ٥ — ٦٥ •

أولاً :

تعريف العقيدة

المقيدة لفظة :

إذا أردنا معرفة معنى المقيدة لفظة ، فلابد من الرجوع إلى

مصدرها ومشتقاتها في معاجم اللغة ، فسيها ورد من معانيها ما يأتي :

عقد : الميمن والقاف والداال ، أصل واحد يدل على : شدّ ، وشدة وشوق .

• والله ترجع فروع الباب كلها .

من ذلك : عقد البناء ، والجمع : أعقاد وعقود .

• وعاقده : مثل عاهدته .

• والمقد : عقد اليمين .

• وعقدة النكاح : وجهه وإبرامه .

• والعقدة : الضميمة ، والجمع : عقد .

• وقال : اعتقد فلان عقدة ؛ أي اتخذها .

• واعتقد قلبه على كذا ؛ فلا ينزع عنه ، وكان له عقيدة .

• واعتقد الشيء ؛ صلب .

• والمقيدة : الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده .

• والمقد : نقيض الحبل .

• والعقد : الخيط ينظم فيه الخرز ، وجمعه : عقود .

• وعقد التاج فوق رأسه واعتقده ؛ عصبه به ، كما قال الشاعر :

يمتقد التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

• وعقد قلبه على الشيء ؛ لزمه .

• وتمقد الاخاء ؛ استحكهم .

• والعقدة : موضع المقد ، وهو ما عقد عليه .

• والمقد : القلادة ، وليس له مقود ؛ أي عقد رأى .

- وجاء فلان عاقداً عقده : اذا لواها تكبراً • وقال لمن تهباً للشر : عقد ناصيته •
- ولمن سكن غضبه : قد تحللت عقده •
- وعقد اليمين والمهمل : أكدهما على نفسه • والاعتقاد الجازم : الضمان والمهمل •
- والمعتقد : مصدر ميمى بمعنى الاعتقاد ، وما يعتقد المرء من أمور الدين •
- واعتقد شكاً : قدح عليه القلب والضمير •
- والمقيدة : ما يدين الانسان به (أى ما عقد عليه القلب) •
- وله عقيدة حسنة : أى سائمة من الشك • والجمع قوائد •
- والمقد : الجمع بين أطراف الشيء ، ويشتمل ذلك للأجسام العلية •
- ثم يستمار ذلك للمعاني • ومنه قيل : لفلان عقيدة ، وقيل للقلادة : عقد (١) •

(١) انظر : ابن زكريا : معجم مقاييس اللغة ٨٦/٤

وابن منظور : لسان العرب ٢٩٦/٣ - ٢٩٨

• والزمخشري : أساس البلاغة - ص ٣٠٨ •

• والاشبيلي : مختصر الميم ص ٣٥ •

• والرازي : مختار الصحاح ص ٤٤٥ •

• والفيهومي : المصباح المنير ٤٩ / ٢ •

• والاصهباني : المفردات ص ٥١٠ •

• والزبيدي : تاج المروس ٤٣٠ / ٢ - ٤٣٢

• وأحمد رضا : معجم متن اللغة ١٥٢/٤ و ١٥٨

• والبستاني : محيط المحيط ١٤٣٢/٢

• وجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ٦٢٠ / ٢

• ووجدى : دائرة المعارف ٥١٨ / ٦ •

نخلص من ذلك :

الى أن المقد — مصدر المقيدة — يعنى هو مشتقاته :

الشدة ، وشدة الوثوق ، والمهدة ، والوجوب ، والابرام ، والصلابة ، والربط ،

واللزم ، والاستحكام ، والتأكيد ، والضمان ، والجمع ، وما يدين الانسان به .

• فاذا استعمل فى الامور المعنوية — كمقد النكاح مثلا — كان مجازا .

• واذا استعمل فى الامور المادية — كمقد البناء مثلا — كان حقيقة .

• واذا استعمل فيما يحقد عليه الضمير — كالمعتقدات مثلا — كان حقيقة عرفية .

* انظر المراجع السابقة .

المقيدة اصطلاحاً :

لم ترد كلمة عقيدة - بهذا اللفظ - في القرآن الكريم ، وإنما

وردت فيه الفاظ مشتقة من الفعل الثلاثي عقد • من ذلك :

قوله تعالى :

” ولا تمزقوا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله “ (البقرة : ٢٣٥)

وقوله تعالى : ” والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم “ (النساء : ٣٣)

وقوله تعالى : ” يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود “ (المائدة : ١)

وقوله تعالى : ” ولكن يؤخذكم بما عقدتم الإيمان “ (المائدة : ٨٩)

وقوله تعالى : ” واحملوا عقدة من لساني “ (طه : ٣٧)

وقوله تعالى : ” ومن شر الشائعات في المقد “ (الفلق : ٤)

ومعلم أن الأحكام الشرعية تنقسم إلى قسمين : (١)

أحكام علمية (أصلية) وأحكام عملية (فرعية)

فالأولى : يقصد بها العلم ، ولا تتعلق بالعمل • كوحداية الله تعالى •

وقد دون لها علم التوحيد •

والثانية : يقصد بها كيفية العمل دون الاحقاد • كالصلاة مثلاً •

وقد دون لها علم الفقه •

وفيما يأتي بعض ما ورد في الكتب القديمة والحديثة من تعريف للمقيدة :

تعريف المقيدة في الكتب القديمة :

جاء في : المواقف (٢) ، وشرح المقائد النسفية (٣) ، وجموعة الحواشي البهية (٤)

(١) محمد يوسف الشيخ : محاضرات في المقيدة ألقاها علينا علم ١٣٩٧ هـ •

(٢) الإيجي : المواقف ٣٨/١ •

(٣) رمضان الحنفى : شرح المقائد النسفية ص ٨ •

(٤) الفتازاني : مجموعة الحواشي البهية ٨/١ •

والجواهر الفريسة (١) ، والتعريفات (٢) :

• العقيدة : هي ما يقصد بها نفسه دون العمل •

• ورد في لوامع الأنوار البهية (٣) :

الاعتقاد : هو حكم الذهن الجازم • فان كان موافقا للواقع فهو صحيح •

والا فهو فاسد •

والاعتقادات : هي التي لم تتعلق بكيفية عمل • مثل : اعتقاد وجوب

القادر المختار • (وتسمى أصلية أيضا) •

• ورد في المسامرة (٤) :

العقيدة : قضية جزم فيها بثبوت المحمول للموضوع أو نفيه عنه •

(٥)

وتتفق حاشية الد سوقي وحاشية الكلبي :

على أن المقادير - جمع عقيدة - بمعنى المسألة المعتقد • ثبوت القدرة

لله تعالى • أي اثبات المسائل الاعتقادية بدلائل قطعية • أو بمعنى آخر :

الاعتقاد الجازم • المطابق للواقع • الناشئ عن دليل •

• وجاء في شرح المقاصد (٦) :

المقائد الدينية : هي العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتوبة من

أدلتها اليقينية •

• وجاء في شرح الاحياء (٧) :

العقيدة : هي ما يدبره الانسان به • وما عقد عليه قلبه •

• وجاء في موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية (٨) :

الاعتقاد بالمعنى المشهور : يقابل العلم • والمعنى غير المشهور : يشتمل على

العلم والظن •

(٦) المكاشي : شرح المقاصد ٨/١ •

(٧) الزبيدي : شرح الاحياء ١٧/٢ •

(٨) التهانوني : موسوعة اصطلاحات

العلوم الاسلامية ٤/ ٥٩٤ •

(١) الحمزاوي : الجواهر الفريسة ص ٦ •

(٢) الجرجاني : التعريفات ص ١٥٨ •

(٣) السفاريني : لوامع الأنوار البهية ٤/١ •

(٤) الكمال بن أبي شريف : المسامرة ص ١٠ •

(٥) الد سوقي : حاشيته على أم البراهين ص ١٥ •

والكلبي : حاشيته على شرح الصديقي ٥/١ •

والاعتقاد ان كان مطابقا للواقع : فهو اعتقاد صحيح والا فهو فاسد .

وجاء في دائرة المعارف الاسلامية .

الاعتقاد : هو التصديق بأن الشيء هو ذلك ، وقد يفيد الظن فقط . وقد

يفيد الاقتناع التام . وتحتمل هذه الكلمة أيضا بصفة خاصة : للدلالة على قبول المقائد الدينية (١) .

وقد كثر استعمال كلمة المقائد منذ القرن السادس الهجري ، وذلك بمسند

ظهر المقائد النسفية (٢) .

وقبل ذلك كانت تستعمل الكلمات الآتية في مباحث العقائد : علم الكلام ،

علم التوحيد ، أصول الدين ، الفقه الأكبر .

وقبل أن تنتقل الى تعريف العقيدة في الكتب الحديثة ، نشير الى أن هناك

ارتباطا وثيقا بين معنى العقيدة لفظة ، ومعناها في الاصطلاح — عند علمائنا

القدامى — :

فان الشد والتأكيد والربط والجمع وما عقد عليه القلب ... الخ تؤدي هيمنة

الكلمات معنى الاعتقاد الجازم في القلب ، بحيث يتغلغل في أصايق النفس ،

ويصحب زهرته أو الغلة فيه .

(١) مجموعة من المستشرقين : دائرة المعارف الاسلامية ٥٤٠/٣ .

(٢) مؤسسة فرانكلين : الموسوعة العربية ص ١٢٢٢ .

تمريف العقيدة في بعض الكتب الحديثة :

جاء في رسالة المقائد (١) :

المقائد : هي الأمور التي يجب أن يصدق بها قلبك ، وتطمئن إليها نفسك ،
وتكون يقينا عندك ، لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك .

وجاء في كتاب الاسلام عقيدة وشريعة (٢) :

العقيدة : هي الجانب النظري الذي يطلب الايمان به أولا - وقيل كل شيء -
ايمانا لا يرقى اليه شك ، ولا تؤثر فيه شبهة .

وجاء في كتاب المقائد الاسلامية (٣) :

العقيدة : هي التصديق بالشئ والجنم به دون شك أو ريب ، فهي بمعنى
الايمان . يقال : اعتقد في كذا : أي آمن به .

وجاء في كتاب الكواشف الجليلة (٤) ، رسالة شرح الواسطية (٥) :

الاعتقاد : مصدر اعتقد كذا ، اذا اتخذ عقيدة له . بمعنى : عقد عليه
الضمير والقلب ودان الله به . وأصله : من عقد الحبل أو عقد البيع ، ثم استعمل في
التصميم والاعتقاد الجازم .

وجاء في رسالة علم القرآن :

العقيدة هي ما يجب على كل مكلف أن يحيط به علما وأن يصدق تصديقا

يبلغ أن يصبح اعتقادا راسخا في نفسه ، تصدر عنه كل تصرفاته حتى يلقي الله تعالى (٦) .

(١) حسن البنا : المقائد ص ٤٢٩ .

(٢) محمود شلتوت : الاسلام عقيدة وشريعة ص ٢٢ .

(٣) سيد سابق : المقائد الاسلامية ص ٨ .

(٤) السلمان : الكواشف الجليلة ص ٣٠ .

(٥) الهرامس : شرح العقيدة الواسطية ص ١٣ .

(٦) عبد البديع صقر : التجهود وعلوم القرآن ص ٥٥ .

وجاء في كتاب لمحات في وسائل التربية الاسلامية (١) :

الاعتقاد والعلم والمعرفة كلها بمعنى واحد : هو الايمان المطابق للواقع —
الثابت بالدليل — وهذا المعنى يوافق ماورد في الكتب القديمة —

وجاء في كتاب الاسلام كما فهمت (٢) :

العلم أعلى درجات المعارف ، فاذا تأصل في النفس وامتزج بدم الانسان
وانعقد عليه قلبه ، سى حينذاك (عقيدة) •

وجاء في كتاب العقيدة الاسلامية (٣) :

العقيدة : هي ما يؤمن به المرء ، وراء عن اقتناع قلبي أكيد • وعلى أساس
هذا الذي يؤمن به وراء يذهب في حياته — أى يسلك — •

وجاء في كتاب العقيدة والأخلاق (٤) :

العقيدة : هي الجانب النظرى الذي يجب على المؤمن الايمان به أولاً ، ايماناً
مبنياً على التصديق الجازم • مع الشعور بالرضا والقبول واقبال النفس عليه والاطمئنان
بـه •

وجاء في كتاب طرق تدريس الدين (٥) :

العقيدة : هي الايمان الراسخ بكل ماورد في صريح القرآن الكريم وصريح الحديث
النبوى بما له صلة بالأركان الثلاثة للعقيدة وهي الالهيات والنبوات والسمميات •

(١) محمد أمين المصرى : لمحات في وسائل التربية الاسلامية ص ٩٢ •

(٢) محمد القاسمى : الاسلام كما فهمت ص ٤٦ •

(٣) عبد الحى عهود : العقيدة الاسلامية والأيدولوجيات المعاصرة ص ١٧ •

(٤) محمد بىصار : العقيدة والأخلاق ص ٩٧ •

(٥) عابد الهاشمى : طرق تدريس الدين ص ١٥٥ •

وجاء في كتاب عقيدة المؤمن (١) :

المقيدة : هي مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلّمة بالعقل والسمع والفطرة ،
يمقد عليها الانسان قلبه وثنى عليها صدره ، جازما بصحتها قاطما بوجودها وثبوتها
لا يرى خلافها انه يصح أو يكون أبدا .

ولله در الأستاذ القرضاوى حيث يقول (٢) :

ان السعادة أن تمشي لفكرة الحق التليد
لمقيدة كبرى تحسّل قضية الكون المعيد
وتجيب عما يسأل الخيران في وعى رشيد
من أين جئت ؟ وأين أذهب ؟ لم خلقت ؟ وهل أعود ؟
فتشيع في النفس اليقين وتطسّر في الشك المنيد
وتعلم الفكر السوى وتصنع الخلق الحيد

ونلاحظ أن معظم تعريفات العلماء المعاصرين مقتبسة من تعريفات الملوك
المتقدمين ، ولكنها صيغت بأسلوب أدبي حديث .

(١) أبو بكر الجزائري : عقيدة المؤمن ص ٢١ .

(٢) الراشد : المنطلق (نقلا عن مجلة التربية الاسلامية) ص ٧٣ .

علاقة العقيدة بالايان :

هذا يقتضى البحث الاجابة عن هذا التساؤل :

(١)
ما الفرق بين كلمة الايمان وكلمة العقيدة ؟

عرفنا فيما سبق معنى العقيدة لغة واصطلاحاً ، وأما الايمان فى اللغة : فهو

التصديق - كما قال بذلك جمهور أهل اللغة (٢) -

وأما الايمان فى الاصطلاح : فقد اختلف العلماء فى معناه الى عدة مذاهب .

أهمها : مذهب الجمهور ومذهب الحنفية .

فذهب الجمهور الى أنه : تصديق بالقلب واقرار باللسان وعمل بالجوارح

(فهو عقد وقول وعمل) (٣) .

ومذهب الحنفية الى أنه : المعرفة بالقلب والاقرار باللسان (٤) .

ونرى : أن الايمان والعقيدة توحيان الى معنى واحد ، مع الإشارة الى أن الايمان

أوسع من العقيدة ، فبينهما عموم وخصوص مطلق ،

فكل ايمان عقيدة ، وليس كل عقيدة ايماناً !

(١) انظر المقال القيم للأستاذ المبارك فى بحوث الاسام والمضارة ٢٥٣/١ .

(٢) انظر : ابن سيده : المخصص ٨٣/١٣ .

والزمخشري : أساس البلاغة ص ١٠ .

والجوهري : الصحاح ٤٦/١ و ٤٧ .

والفهرست أبدي : القاموس ١١٧/٤ .

والأزهري : تهذيب اللغة ٥١/١٥ .

والزنجاني : تهذيب الصحاح ٨١١/٢ .

(٣) انظر ابن تيمية : الايمان ص ١٤٦ .

وابن تيمية : رسالة التسمينية ١٥٦/٥ .

وابن حنبل : الفصل ١٨٨/٣ و ١٩١ .

والخازن : لهاب التأمل ٢٢/١ .

والآمدي : غاية المرام ص ٣١١ .

والنشار والطالبي : عقائد السلف ص ١١٢ و ١١٣ .

(٤) ابن أبي العز الحنفى : شرح الطحاوية ص ٢٢٧ .

والقارى : شرح الفقه الأكبر ص ٨٥ .

ومجد العزى البخارى : كشف الأسرار ١٨٥/١ .

وابلاغ : أبو حنيفة المتكلم ص ١٣٠ .

- فالإيمان والمقيدة يشتركان : في أنهما تصديق •
- مختلفان : في أن الإيمان تصديق وعمل (١) ، والمقيدة تصديق فحسب (٢) •
- فتمريف الحنفية للإيمان يراد فتمريف المتكلمين للمقيدة ، فهما — الإيمان والمقيدة —
يتعلقان بالقلب ولا دخل للجوارح فهما •
- وتمريف الجمهور للإيمان يؤيد معنى المقيدة ، ويزيد عليها ركن الممسك •
- فالمرء إذا لم يتبع اعتقاده بالعمل ، فإنه يطلق عليه لفظ (مؤمن) ظاهرا ، ولكن
إيمانه ناقص في الحقيقة !

(١) ضد الجمهور •

(٢) ضد الحنفية •

ثانیاً :

تقریب کے ایضاً

الاسلام لفظة :

سلم : السين واللام والميم ، معظم بابيه من الصحة والمافية ، ويكون فيه ما يشهد ، والشاذ عنه قليل .

فالسلمة : أن يسلم الانسان من الماهة والأذى وقلب سليم أى سالم ، والله جل ثناؤه هو السلام ، لسلامته مما يلحق - المخلوقين من العيب والنقص والفساد .
قال تعالى : " والله يدعو الى دار السلام " (يونس : ٢٥) .

فالسلم هو الله عز وجل ، وداره : الجنة .

والسلم : هو السلامة ، والاستسلام . وهو الاسم من التسليم .

والسَّلم : المسالمة والمصالحة .

والسَّلم : السلف . والقاء المقادة الى ارادة المسلمين ، والاستسلام .

والسَّلم : المسالم ، تقول : أنا سلم لم سالمى ، والسَّلم كذلك الانقياد والاستسلام .

وأخذه سلماً : أى جاء به منقاداً لم يمتنع وإن كان جريحاً . والسَّلم كذلك : الاسلام .

وقرأ أبو عمرو : " أدخلوا فى السَّلم كافة " (البقرة : ٢٠٨) يذهب بمعناها السى

الاسلام .

قال الشاعر :

فلست مهد لا بالله رسا ولا مستبد لا بالمسلم ديناً .

والسَّلم كذلك : السلام ، قال الشاعر :

وقفنا فقلنا ايه سلم فسلمت فما كان الا وهها بالحواجب

والسلم : الصلح ، يفتح ويكسر ومذكر مؤنث .

والتسليم : الرضا بما قدوره الله تعالى وقضاه ، والانقياد لأوامره ، ومثل الرضا

بالحكميم ، وهو كذلك : السلام .

وسلم الشيء : للمطابقة ، وسلمت اليه الشيء فتسلمه : أخذه . والتسالم :

التصالح . واستسلم : انقاد ، وأسلمته : خذلته .

وأسلم أمره الى الله تعالى : أى سلم ، فهو مسلم • وأسلم : من الاسلام : أى دخل فى السلم وهو الاستسلام •

والاسلام : هو الاذعان ، لأنه يسلم من الاباء والامتناع ، وهو الاستسلام والانقياد ، ويجوز أن يكون من التسليم •

وعندما يقال : فلان مسلم • فيه قولان :

أحد هما : أنه مستسلم لأمر الله تعالى • والثانى : أنه مخلص لله تعالى العباد ، من قولهم : سلم الشيء لفلان أى خلّصه ، وسلم له الشيء أى خلّص له • والمسلم التام الاسلام : مظهر الطاعة عن إيمان بها • يقول ثعلب : الاسلام باللسان ، والايمان بالقلب (١) •

وقوله تعالى : " واجعلنا مسلمين لك " (البقرة : ١٢٨) أى مخلصين لك • (وأصل الاسلام فى اللغة التسبرؤ ، تقول أسلمت أمر كذا الى فلان : اذا تبرأت منه اليه • فسمى المسلم مسلما : لأنه تبرأ من كل شيء الى الله عز وجل • وانتقل اسم الاسلام بعد ذلك الى جميع الطاعات) (٢) •

والحاصل أن الاسلام : هو اظهار الانقياد والخضوع لما جاء به النبى — صلى الله عليه وسلم — والالتزام به • ثم صار اسما لدينه الذى جاء به ودعا اليه •

(١) انظر التحريف اللغوى فى :

- ابن زكريا : معجم مقاييس اللغة ٩٠/٣ •
- والجوهري : الصحاح ١٩٥٠/٥ — ١٩٥٣ •
- والأزهري : تهذيب اللغة ٤٤٦/٢ — ٤٥٢ •
- وابن منظور : لسان العرب ١٩٢/٢ و ١٩٣ •
- والزمخشري : أساس البلاغة ص ٢١٨ •
- والرازي : مختار الصحاح ص ٣١١ • والفيحيى : المصباح المنير ٣٠٦/١ و ٣٠٧ •
- والزبيدي : تاج المروس ٣٣٧/٨ — ٣٤٠ •
- وأحمد رضا : معجم متن اللغة ١٩٩/٣ — ٢٠١ •

(٢) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين ٦٠٢/١ بتصرف يسير •

الاسلام اصطلاحاً :

الاسلام هو دين الأنبياء والموسلين — عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم — من لدن آدم الى محمد — عليهما الصلاة والسلام — وهو الاستسلام لله عز وجل في أمره وشهيدته على لسان الوحى .

ويطلق الاسلام على ممنين :

• على النصوص التى أوحى الله تعالى بها مبينا دينه .

• وعلى عمل الانسان فى ايمانه بهذه النصوص واستسلامه لها .

والاسلام بالمعنى الأول يختلف سعة وشمولا من رسول الى رسول — مع اتفاقه

بالمبادئ والأصول — والاسلام — الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم —

أعزل وأوسع من كل رسالة سابقة له ، وهو الدين الوحيد — منذ بعثته صلى الله عليه وسلم

الى أن يرث الله الأرض ومن عليها — الصالح لكل زمان ومكان ومجال .

• بناء الاسلام يقوم على خمسة أركان هى : الشهادتان والصلاة والزكاة والصوم

والحج . وهذه الركائز ليست كل الاسلام — وان كان الأساس عادة من جنس البناء —

فأساس الاسلام : هو الأركان الخمسة ، وبناءه هو أحكام الله تعالى فى مختلف شؤون

الحياة (ولا توجد قضية من قضايا الوجود البشرى الا وللإسلام فيها حكم وجموع هذه

الأحكام هى بناء الاسلام الذى يقوم فوق أركانه) .

وللإسلام مبادئ هى طرق قيامه ، تتمثل فى : الجهاد ، والأمر بالمعروف ،

والنهي عن المنكر . وهذه المبادئ غير المبادئ الزبانية المتمثلة بحقوق الفطرة

فى الانحراف عن الاسلام ، أو المقومات النهائية فى الدنيا والآخرة .

• فالاسلام : عقيدة وعبادة ومنهج حياة .

• عقيدة : الشهادتان وأركان الايمان .

• عبادة : صلاة وزكاة وصوم وحج .

ومنهج حياة : سياسية واقتصادية وحربية واجتماعية وأخلاقية وتعليمية
مقابل الاسلام : الجاهلية ، حيثما كان الحق فهو الاسلام ، وحيثما كان الباطل
فهو الجاهلية (١) .

وفيما يأتي تعريفات مختلفة للإسلام *
قال الامام الطبري .

(الاسلام : هو الانقياد بالتذلل والخشوع وترك الممانعة) .

ونقل - رحمه الله - بسنده عن قتادة في قوله تعالى : " ان الدين عند الله
الاسلام " (آل عمران : ١٩) .

(الاسلام : شهادة أن لا اله الا الله (٢) ، والاقرار بما جاء به من عند الله ،
وهو دين الله الذي شرع لنفسه وحث به رسله ودل عليه أوليائه ، لا يقبل غيره
ولا يجزى الا به) .

ونقل أيضا عن أبي العالية قوله :

(الاسلام : الاخلاص لله تعالى وحده وعبادته لا شريك له ، وإقام الصلاة ،
وإيتاء الزكاة ، وسائر الفرائض لهذا تبع) (٣) .

وقال الامام القرطبي في قوله تعالى : " ان الدين عند الله الاسلام " : الدين
في هذه الآية : الطاعة والملة ، والاسلام : بمعنى الايمان والطاعات (٤) .

وقال الامام ابن كثير في قوله تعالى : " ان الدين عند الله الاسلام " اخبار
منه تعالى بأنه لا دين عند من قبله من أحد سوى الاسلام وهو : اتباع الرسل فيما يمشيهم
الله به في كل حين ، حتى ختموا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - الذي سد جميع

(١) انظر : سميد حوى : الاسلام ٥/١ - ١٦ .

وابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٥٥ و ٤٥٦ .

* انظر تعريف الاسلام في كتاب محمد بن عبد الوهاب : فضل الاسلام ص ٢٣٠ (ضمن
مجموعة الحديث)

والحكمي : معارج القبول ٢٤/٢ - ٤٠ ، وابن رجب الحنبلي : جامع الملووس ص ٢٥ .
والشنقيطي : أضواء البيان ٦٣٦/٧ ، ودراز : المختار من كنوز السنة ص ٦٩ - ١٠٤ ،

(٢) ولم يذكر شهادة أن محمد صلى الله عليه وسلم - عبده ورسوله ! ولعل ذلك سهو أو

سقط . يدل على هذا قوله بعد ذلك والاقرار بما جاء به من عند الله !

(٣) الطبري : جامع البيان ٢١٢/٣ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٤٣/٤ .

(١)

الطريق إليه الا من جهته ... صلى الله عليه وسلم ...

وقال الامام النجاشي .

(الاسلام : هو فعل الولجيات ، والانقياد الى عمل الظاهر) (٢) .

وقال الامام ابن تيمية :

(والاسلام يجمع معنيين : أحدهما : الاستسلام والانقياد ، فلا يكون متكبرا .

والثاني : الاخلاص ، فلا يكون مشركا .

والاسلام يستعمل لازما معدي بحرف اللام :

كقوله تعالى : " أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا

وكرها واليه يرجعون " (آل عمران : ٨٣) .

وقوله : " قل ان هدي الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين " (الأنعام : ٧١)

وقوله " وأنبيوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم المذابح ثم لا تنصرون " (الزمر : ٥٤)

ويستعمل متعديا ، مقرونا بالاحسان :

كقوله تعالى : " بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف

عليهم ولا هم يحزنون " (البقرة : ١١٢) .

وقوله : " ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً "

(النساء : ١٢٥) .

فقد أنكر تعالى أن يكون دين أحسن من هذا الدين ، وهو اسلام الوجه لله

عز وجل مع الاحسان . وأخبر أن كل من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه

ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وجماع الدين : ألا نعبد الا الله . وأن نعبد به بما شرع .

(١) الصابوني : مختصر تفسير ابن كثير ٢٧٢/١ .

(٢) النجاشي : الأرمين النوبة وشرحها ص ١٥ .

■ وقد أخذ هذا المعنى العلامة دراز وتوسع في الحديث عنه انظر كتابه المختار من كنوز السنة - ص ٦٩ فما بعدها .

وهذان الأصلان : هما تحقيق الشهادتين اللتين هما رأس الاسلام ، شهادة
 أن لا اله الا الله وشهادة أن محمدا رسول الله .
 فشهادة أن لا اله الا الله : تتضمن اخلاص الألوهية له عز وجل .
 وشهادة أن محمدا رسول الله تتضمن تصديقه في كل ما أخبر ، وطلوعه في كسبل
 ما أمر .

ومن دعا الى غير الله فقد اضره ، ومن دعا اليه بخير أذن له فقد ابدع . فالاسلام
 يتضمن الاستسلام والانقياد والاخلاص (١)

وقرر - رحمه الله - أن الاسلام : هو الأعمال الظاهرة كلها .
 وقوله تعالى : " ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه " (آل عمران : ٨٥)
 عام في الأولين والآخرين بأن دين الاسلام هو دين الله الذي جاء به أنبياءهم - عليهم
 الصلاة والسلام - وعليه هادى المؤمنين .

وقوله تعالى : " بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن " (آل عمران : ١١٢)
 فسر اسلم الوجه بما يتضمن اخلاص قصد المهد لله بالمهاداة له وحده ، وهو محسن
 بالعمل الصالح المشروع المأمور به . (٢)
 وقال الامام الغزالي :

(الاسلام : هو التسليم بالاذعان والانقياد ، وترك التمرد والاباء والعناد) (٣)
 وقال الامام المودودي :

(الاسلام : هو الانقياد والامتثال لأمر الأمر ونهيها بلا اعتراض) (٤)
 وقال العلامة دراز :

(الاسلام : هو الانقياد الظاهر لجميع أوامر الله أصولاً وفروعاً) . (٥)

(١) ابن تيمية : الحسبة من ص ١٩٠ - ١٩٦ ، واقتضاء الصراط المستقيم مسكن
 ص ٤٥٠ - ٤٥٤ .

(٢) ابن تيمية : الزهارة - المسألة الرابعة ص ٤٢١ - ، والايان ص ٣٦١

(٣) الغزالي : احياء علوم الدين ١/١١٦ .

(٤) المودودي : مبادئ الاسلام ص ٤

(٥) دراز : المختار من كنز السنة ص ٢٠٩

قال العلامة شلتوت :

(الاسلام : هو دين الله الذي أوحى بتماليه في أصوله وشرائعه الى النبي -

صلى الله عليه وسلم - وكلفه بتبليغه للناس كافة ووعدهم اليه) (١)

قال العلامة الزرقاء :

(الشريعة الاسلامية : هي مجموعة الأوامر والأحكام الاعتقادية والعملية المستترة

يوجب الاسلام تطبيقها لتحقيق أهدافه الإصلاحية في المجتمع) (٢)

علاقة الاسلام بالايان :

للإسلام اصطلاحاً حالتان ؟

الاولى : أن يطلق على الافراد غير مقتدرين بذكر الايمان ، فهو حينئذ يرد به الدين

كله - أصوله وفروعه - من اعتقاداته وأقواله وأفعاله ، كقوله تعالى : " ان الدين عند

الله الاسلام " (آل عمران : ١٩) ، وقوله تعالى : " وضيت لكم الاسلام ديناً " (

المائدة : ٣) ، وقوله تعالى : " ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فاسق

الآخرة من الخاسرين " (آل عمران : ٨٥) وكقوله (صلى الله عليه وسلم) : (اذا

اسلم العهد فحسن اسلامه يكفر الله عنه كل سيئة كان زلقها ، وكان بعد ذلك القصاص :

الحسنة بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف والسيئة بمثلها الا أن يتجاوز الله عنها) (٣)

وقوله (صلى الله عليه وسلم) : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه يده ، والمهاجر

من هجر ما نهى الله عنه " (٤)

ولذا فان الانقياد ظاهراً وبدون ايمان لا يكون حسن اسلام بل هو النفاق ، فكيف

تكتب له حسنات أو تمنح له سيئات كما في الحديث الاول ؟

(١) شلتوت : الاسلام عقيدة وشريعة ص ٩

(٢) الزرقاء : المدخل الفقهي ٣٠/١

* انظر الحكمي : مدارج القبول ٢٤/٢ - ٤٠ (٣) الزبيدي : التجريد الصريح ٦٨/١

(٤) المصدر نفسه ٤٧/١

الثانية : أن يطلق مقسترا بالاعتقاد ، فيراد به حينئذ الأفعال والأقوال الظاهرة .
 كقوله تعالى : * قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان
 في قلوبكم * (الحجرات : ١٤)

وقوله (صلى الله عليه وسلم) لسعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - وقد أعطى
 رهطا وسعد جالس فترك - صلى الله عليه وسلم - رجلا هو أعجبهم لسعد فقال : يا رسول
 الله مالك عن فلان ؟ فوالله اني لأراه مؤمنا . فقال - صلى الله عليه وسلم - : أو
 مسلما . . (١) أى أنك لم تطلع على إيمانه ، وانما اطلعت على إسلامه من أحواله
 الظاهرة .

وفسره النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك كله في حديث وفد عبد القيس من
 ابن عباس - رضي الله عنهما - قال :

(ان وفد عبد القيس لما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم - قال : من القوم ؟ - أو من
 الوفد ؟ - قالوا : ربيعة . قال : مرحبا بالقوم - أو بالوفد - غير خزايا ولاند امسى .
 فقالوا : يا رسول الله ! انا لانستطيع أن نأتيك الا في الشهر الحرام ، وبيننا وبينك
 هذا الحى من كفار مضر ، فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراء ما نودخل به الجنسة .
 وسألوه عن الأشربة . فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع . بالإيمان بالله وحده ، قال :
 أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : شهادة أن لا اله
 الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة وآتاه الزكاة وهما
 رمضان . وأن تمداوا الخمس من الممن . ونهاهم عن : الحنم والدباء ، والنفساء

(١) المصدر نفسه ٦٠ / ١

أو مسلما : يمكن الواو فقط بمعنى بل ، اضراب عن قول سعد . والمراد به
 نهيه عن قطعه بإيمان من لم يختبر باطنه .
 انظر فتح المبدى للشرقى ٦١ / ١ .

والمزفت — ربما قال المقيّر — وقال : أحفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم (١)

وقد جعل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — صيام رمضان وقيام ليلة القدر إيماناً واحتساباً من الإيمان :

قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه " — وفي رواية : من قام — (٢)

وقال أيضاً : " من يقم ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه " (٣)
وفي الصحيح أيضاً : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :

" الإيمان بضع وستون شعبة ، والحيا شعبة من الإيمان " (٤)

وهذه الشعب المذكورة قد جاءت في الكتاب والسنة في مواضع متفرقة : منها ما هو قول القلب وعمله ، ومنها ما هو من قول اللسان ، ومنها ما هو من عمل الجوارح .

(١) الزبيدي : التجريد الصحيح ٨٣/١

من القوم أو من الوفد : شك ممن روى عن ابن عباس — رضى الله عنهما — . إلا في الأشهر الحرم : لحمة القتال فيه هدم .

والحي : منزل القبيلة ثم سميت القبيلة به اتساعاً لأن بعضهم يحيا ببعض . ويدخل به الجنة : إذا قبل ، أي يكون سبباً لنا في دخولها ، والا فالدخول برحمة الله . عن الأشرية : أي عن ظروفها . أو عن الأشرية التي تكون في الأوانسي المختلفة . واستشكل قوله : فأمرهم بأربع مع ذكر خمسة ! وأجيب : بأن قوله : وأن تعطوا الخمس من الممنع مخطوف على أربع ، أي أمرهم بأربع وعطوا الخمس . وأن أداء الخمس داخل في عموم إيتاء الزكاة لأن كلاً فيه إخراج مال مهيمن في حال دون حال ، وأنه عد الصلاة والزكاة واحدة ، لأنها قرينتها في كتاب الله . وأن الخمسة تفسير للإيمان وهو أحد الأربعة المأمور بها . والثلاثية الباقية حذفها الراوى نسياناً أو اختصاراً . وأن الأربعة أقام الصلاة . الخ

وذكر الشهادتين تبركاً بهما ، كما في قوله تعالى : " وأعلموا أنما غنمتم من شيء " فإن لله خمسة ولرسول . . . أن كنتم آمنتم بالله . . . (الانفال : ٤١) ، لأن القوم كانوا مؤمنين . وربما كان القوم يظنون أن الأمر مقصور على الشهادتين كما كان ذلك — في صدر الإسلام — ولم يذكر الحج : لأنه قصد بيان ما يمكنهم فعله في الحال . والحنتم : جرار . كان ناس ينتبذون فيها يضاهون به الخسر . والدباء : اليقطين . والنقيير : جذع ينقر وسطه . والمزفت : ما طلى بالزفت . والمقيّر : ما طلى بالقار والمقصود النهي عن الانتباز فيها ، وهو أن يجعل فس الماء تمر ليحلو وشرب

انظر فتح المبدى ٨٣/١ ، ٨٤ وقد نسخ هذا النهي انظر شرح ثلاثيات مسند أحمد ١٥٥/١ — ١٥٧ و ٩١/٢ — ٩٣ .

(٣٤٢) التجريد الصريح ٦٥/١ و ٦٦ (٤) الصدر نفسه ٤٥/١

ولما كانت الصلاة جامعة لقول القلب وعمله وقول اللسان وعمله وعمل الجوارح سماها
الله ايمانا في قوله عز وجل : " وما كان الله ليضيق ايمانكم " (١) (البقرة : ١٤٣)
اي توجيهمكم الى بيت المقدس في الصلاة قبل تحويل القبلة .

وهذا هو المعنى الذي قصده علماء السلف بقولهم : (الايمان اعتقاد وقبول
وعمل . والاعمال كلها داخله في معنى الايمان) . وقد أنكر السلف على من أخرج الأعمال
من الايمان .

وكتب عرب بن عبد العزيز (رحمه الله) - كما أشرنا الى ذلك من قبل - الى عدي
ابن عدي : (ان للايمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا فمن استكملها استكمل الايمان ،
ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان) . (٢)

وللايمان اصطلاحا * حالتان :

الأولى : أن يطلق على الافراد غير مقتربين بذكر الاسلام ، فحينئذ يراد به الدين
كله .

قوله تعالى : " الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور " (البقرة :
٢٥٧) . وقوله : " ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق " (الحديد : ١٦) وقوله : " وعلى الله فليتوكل المؤمنون " (ابراهيم : ١١) .

ولهذا حصر الله تعالى الايمان فيمن التزم الدين كله باطنا وظاهرا في قوله جل
وعلا : " انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تلايت عليهم آياته زادتهم
ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون
حقا لهم درجات عند ربهم ومشفرة ورزق كريم " (الانفال : ٢ : ٤) وقوله عز وجل :
" الذين يؤمنون بالآيات الغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما
أنزل اليك وما أنزل من قبلك والآخره هم يوقنون " (البقرة : ٣ و ٤)

(١) البيهقي : الاعتقاد ص ٨٠

(٢) ابن حجر : فتح الباري ١/ ٤٥

* انظر الحكمي : معارج القبول ٢/ ٢٤ - ٤٠

وكحديث أبي ذر - رضى الله عنه - :

(جاء رجل الى أبي ذر فسأله عن الايمان . فقرا : " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر) . الى قوله " أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون " (البقرة : ١٧٧) .

فقال الرجل : ليس عند البر سألتك .

قال أبو ذر : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم - فسأله عن الذي سألتني عنه ، فقرا عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - كما قرأت عليك ، فقال له الذي قلت لى . فلما أبى أن يرضى قال له اذن قدنا . قال : ان المؤمن اذا هل حسنة سرته ورجسا ثوابها واذا هل السيئة ساءه وخاف عقابها . (١)

والثانية : أن يطلق الايمان قروضا بالاسلام ، وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنية . كما فى قوله تعالى : " والمصر ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر " (العصر : ١-٣) وكما فى حديث جبريل : حين سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الايمان والاسلام والاحسان . . (٢)

وكما فى قول النبي - صلى الله عليه وسلم - فى حديث الجبازة : " اللهم من أحييته منا فأحيه على الاسلام ومن توليته منا فتوفه على الايمان " (٣) وذلك أن الاعمال بالجوارح . وانما يتمكن منها فى الحياة فأما عند الموت فلا يبقى غير قول القلب وصله . قال العلامة ابن رجب الحنبلى رحمه الله :

(وأما وجه الجمع بين هذه النصوص وبين حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الاسلام

(١) أخرجه اسحاق بن راهويه . وقال ابن حجر عقب إيراده هذا الحديث منقطع وله طريق أصح منه فى التفسير .

ابن حجر : المطالب المالية بزوائد المسانيد الثمانية ٢/ ٧٤ .

(٢) الهنوى : شرح السنة ١/ ٩ والزبيدي : التجريد الصريح ١/ ٢٥ .

(٣) ابن الأثير : جامع الأصول ٦/ ٢٢٣ .

والإيمان وتفريق النبي - صلى الله عليه وسلم - بينهما وإدخاله الأعمال في مسمى الإسلام دون الإيمان : فإنه يتضح بتقرير أصل : وهو أن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند أفرادها وإطلاقه فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار له أعلى بمعنى تلك المسميات ، والاسم المقرون به دل على باقيها ، وهذا كاسم الفقير والمسكين ، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج ، فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوى الحاجات والآخر على باقيها . *

* فهكذا اسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر يدل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده ، فإذا قورن بينهما : دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ، ودل الآخر على الباقي . وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة وأهل السنة والحدِيث مختلفون في ذلك ، فمنهم من يدعي أن الجمهور على أنه مسمى شئ واحد ، ومنهم من يحكي عنهم التفريق بينهما . (١)

وقال العلامة الشنقيطي (رحمه الله) في تفسيره للآية الكريمة : * قالت الأعراب : آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم * (الحجرات : ١٤) .

ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن هو لا * الأعراب - وهم أهل البادية من العرب - قالوا آمنا ، وأن الله جل وعلا أمر نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يقول لهم : * لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا * ، وهذا يدل على نفي الإيمان عنهم وثبوت الإسلام لهم . وذلك يستلزم أن الإيمان أخص من الإسلام ، لأن نفي الأخص لا يستلزم نفي العام . وقد ذكرنا - من قبل - أن مسمى الإيمان الشرعي الصحيح ، والإسلام الشرعي الصحيح : هو استسلام القلب بالاهتقاد ، واللسان بالاقرار ، والجوارح بالمعمل .

* انظر ابن سلام : مختصر لوامع الأنوار البهية ص ٢٨٥

(١) ابن رجب الحنبلي : جامع العلوم والحكم ص ٢٥ ، ٢٦

فمروا بها واحد كما يدل عليه قوله تعالى : ^ط فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ^ط (الذاريات : ٣٥ و ٣٦) .

وإذا كان ذلك كذلك فإنه يحتاج إلى بيان وجه الفرق بين الإيمان والاسلام فسي
هذه الآية الكريمة ، لأن الله تعالى نفى عنهم الإيمان دون الاسلام ، ولذلك وجهان
معروفان عند العلماء أظهرهما - عدى - :

أن الإيمان المنفي عنهم في هذه الآية هو معناه الشرعي الصحيح ، والاسلام
المثبت لهم فيها هو الاسلام اللغوي - الذي هو الانقياد والاستسلام بالجوارح دون
القلب . وإنما ساغ إطلاق الحقيقة اللغوية هنا على الاسلام مع أن الحقيقة الشرعية
مقدمة على اللغوية - على الصحيح - ، لأن الشرع الكريم جاء بأخبار الظاهر ، وأن
توكل السرائر إلى الله . فانقياد الجوارح في الظاهر بالعمل ، واللسان بالاقرار
يكتفى به شرعا ، وإن كان القلب منطويا على الكفر .

ولهذا ساغ إرادة الحقيقة اللغوية في قوله تعالى : ^ط ولكن قولوا أسلمنا ^ط
لأن انقياد اللسان والجوارح في الظاهر اسلام لغوي مكتفى به شرعا عن التنقيب عن
القلوب .

وكل انقياد واستسلام وأذعان يسمى اسلاما لغة . ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل
العدوي :

وأسلمت وجهي لمن أسلمت	له الأرض تحمل صخورا ثقالا
دحاها فلما استوت شدها	جميعا وأرسي عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت	له المزن تحمل عذبا زلالا
إذا هي سقت إلى بلدة	أطاعت فصبت عليها مجسالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت	له الريح تصرف حالا فحالا

فالمراد بالاسلام في هذه الابيات : الاستسلام والانقياد .

وانذا حمل الاسلام في قوله تعالى : " ولكن قولوا اسلمنا " استسلمنا وانقدنا
باللسنة والجوارح ، فلا اشكال في الآية .

وعلى هذا القول : فالاعراب المذكورون منافقون ، لانهم مسلمون في الظاهر وهم
كفار في الباطن .

الوجه الثاني :
أن المراد بنفي الايمان في قوله تعالى : " لم تؤمنوا " نفي كمال
الايمان ، لانفيه من أصله . وعليه : فلا اشكال ايضا : لانهم مسلمون مع أن ايمانهم
غير تام ، وهذا لا اشكال فيه عند أهل السنة والجماعة القائلين بأن الايمان يزهد
وينقص .

وانما استظهرنا الوجه الأول — وهو أن المراد بالاسلام معناه اللغوي دون الشرعي
وأن الأعراب المذكورين كفار في الباطن وان أسلموا في الظاهر — لأن قوله عز وجل :
" ولما يدخل الايمان في قلوبكم " يدل على ذلك ، لأن قوله تعالى " يدخل " فعمل
في سياق النفي ، وهو من سياق صيغ العمم ، والمعنى : لا دخول للإيمان في قلوبكم .
والذين قالوا بالوجه الثاني : ذهبوا الى أن المراد بنفي دخول الايمان نفي كماله .
وقوله تعالى في هذه الآية " قالت الأعراب " المراد به : بعض الأعراب ، وقد
استظهرنا أنهم منافقون لدلالة القرآن على ذلك ، وهم من جنس الأعراب الذين قال
الله تعالى فيهم :

" ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مفرما مترصا بكم الدوائر " (التوبة : ١٨) .

وانما قلنا ان المراد ببعض الأعراب في هذه الآية ، لأن الله تبارك وتعالى بين في
موضع آخر أن منهم من ليس كذلك ، وذلك في قوله تعالى : " ومن الأعراب من
يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربات

لهم سيدخلهم الله في رحمته ان الله غفور رحيم* (التوبة : ١٩) (١)
والخلاصة :

إذا أطلق الاسلام على الافراد — غير مقتن بالايمان — فيراد به حينئذ :
 الايمان والاسلام معا .

وإذا أطلق الايمان على الافراد — غير مقتن بالايمان — فيراد به كذلك : الاسلام
 والايمان معا .

وإذا قرن بين الاسلام والايمان :

فيراد بالاسلام : الاعمال المظاهرة . ويراد بالايمان : الأعمال الباطنة .

ولذا فاننا نذهب مع من يرى أنهما — الاسلام والايمان — إذا اجتمعا افترقا .
 وإذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر .

— والله تعالى أعلم —

-
- (١) الشنقيطى : أضواء البيان ١٣٦/٧ — ١٣٩ بتصرف يسير .
 وانظر الفرق بين الايمان والاسلام في :
 القرطبي : الجامع لاحكام القرآن ٤٤/٤
 وابن تيمية : الحسبة ص ١٩٦ ، والايمان ص ٣٦٠ — ٣٦٣
 وابن حجر : فتح الباري ٥٠/١ ، وابن رجب الحنبلي : جامع العلوم والحكم
 من ص ٢٣ — ٣٢
 وابن سليم : مختصر لوامع الانوار البهية ص ٢٨٥
 والفزالي : احياء علوم الدين ١١٦/١ — ١٢٠
 والنووي : شرح الأربعين النووية ص ١٥
 وحمود التومجري : فتح الممهود من ص ١٦٢ — ١٨٥
 وحافظ الحكي : معارج القبول ٢٤/٢ — ٤٠
 ومحمد دراز : المختار من كنز السنة من ص ٦٩ — ١٠٤ ، ٢٠٩ — ٢١٦
 والشرقاوى : فتح البدي ٤٣/١ — ٤٦

ثالثاً :

تعريف التربية

التربية لثمة :

(رب) : المكونة من الراء والها تدل على أصول :

الاصل الاول : اصلاح الشئ والقيام عليه • فالرب : المالك • والخالق •

والصاحب • والمصلح للشئ •

والاصل الثاني : لزوم الشئ والاقامة عليه •

والاصل الثالث : ضم الشئ للشئ • ومن هذا الباب : الربابة وهي العهد

و (رى) الراء والها والعرف المحتل وكذلك المهور منه يدل على أصل واحد • وهو :

الزيادة • والنماء • والعلو •

والسرب فى الأصل : التربية • فهما مترادفان • وأرباب : جمع رب والربوبية لله

تعالى • ولفظ الرب ^{يشمل} معاني المالك • والمصلح • والسيد • والمدير •

والمرى • والمنعم • والقيم • وزوج المرأة •

والسرب (اذا قيل مطلقا) : فتدل الالف واللام على معنى الميم • فاذا أطلق

غير مضاف فلا يراد منه الا الله تعالى •

ولا يقال لمخلوق : هذا الرب — معرّفا بالألف واللام — كما يقال لله تعالى •

وانما يقال : هذا ربّ كذا ربّ كذا (لان الله تعالى هو المالك الحقيقى)

وتربي الصبي : أحسن القيام عليه • وأصله : تربيته •

وربوت في حجره أربوروا وربوا : نشأت •

ورب الرجل النعمة يربها ربا : اذا تمها •

وربّ بالمكان وأربّ : اذا قام به •

ورب الشيء : يربيه ربا : أى رباؤه ورعاه ليبلغه كماله •

ورب زيد الأمر ربا : اذا ساسه وقام بتدبيره •

وربون المعلم : يقصون به •

ورب الضيعة : أصلحها وأتمها •

ورباة تربية وترباه : أى غذاءه •

وأربت الحنطة : زكت •

وأنا أربأ بك عن هذا الامر : أى أرتفع بك عنه •

ورب الولد ربا : وليه وتعهده بما يفغذيه وينميه ويؤم به •

ورب فلان : ملك •

وترب القوم : تماهدوا

والمرب : النعم ، ورب النعمة ، والمنعم عليه أيضا •

والرباني : هو الذى يعبد الرب — وهو المارف بالله — وقيل : هو المعلم السدى

يفغذو الناس بصغار العلم قبل كبارها ، فان حرم خصلة فليس بربانى •

والربى : هو العالم الراسخ فى علوم الدين •

هقال : فلانة ربة البيت • والرببية : الحافظة •

وارتبت المرأة شعرها بالكفن : أصلحته •

والهنت رببية وجسمها ربائب • والتربيب : التربية •

والربيب : ابن امرأة الرجل من غيره •

والرابية : ما أرتفع من الأرض •

(١)

وهكذا فان للتربية لغة عدة معان : أهمها :

• اصلاح الشئ • ، والقيام عليه • ، ولزومه • ، وضمه • .

• والزيادة • ، والنماء • ، والاتمام • .

وحسن القيام على الصبي • ، والرعاية • ، والتدبير • ، والتخذية • ، والسياسة • ، والارتفاع • .

العلو • .

• والتعلم • ، والتركية • ، والرعاية • .

(١) الزمخشري : أساس البلاغة ص ١٥٠ .

وابن زكريا : معجم مقاييس اللغة ٣٨١/٢ و ٤٨٣

والداصفاني : اصلاح الوجوه والنظائر ص ١٨٩

وابن قتيبة : تفسير غريب القرآن ص ٩

وابن مطرف الكتاني : القرطين ٣/١

وابن حيان : تحفة الأريب ص ١٠٨

والصاغاني : التكملة والذيل والصلة ١٣٣/١

والزاوي : مختار القاموس ص ٢٣٤

ومجمع اللغة : معجم ألفاظ القرآن ٤٦٢/١

وابن دريد : جمهرة اللغة ٢٨/١

والشرتضي : أقرب الموارد ١٨٢/٣

والصميدى : الانصاح في فقه اللغة ٢١٤/١

والابيارى : الموسوعة القرآنية ٨٥٦/٣

التربية اصطلاحاً :

لم ترد كلمة التربية — بهذا اللفظ — في القرآن الكريم وقد وجدت من خلال استعراضى للآيات القرآنية الكريمة — بوساطة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (١) — أن مشتقات التربية وردت كما يأتى :

رب ، ربائبكم ، يربو ، يربى ، ربائبى ، نربك ، ربوة •
 ونلاحظ أن كلمة (ربائبى) فى قوله تعالى " وقل رب ارحمهما كما ربياني " صغيراً " (الاسراء : ٢٤) ، وكلمة (نربك) فى قوله تعالى : " قال أليس نربك فينا وليداً " (الشعراء : ١٨) هما الكلمتان الوحيدتان اللتان وردتا فى كتاب الله الكريم متعلقان بمعنى التربية • مع أن كلمة (رب) وكلمة (ربائبكم) تشيران أيضاً لمعنى التربية •

وفى ما يأتى بعض أقوال علمائنا القدامى (عليهم رحمة الله) فى تعريف التربية :

تعريف التربية فى بعض الكتب القديمة :

أ — يقول الهـيروى (٢) :

((يقال لمن قام باصلاح شئ واتممه : قد ربه وربيه • فهو رب له وراى •

ومنه سمى الربانيون : لقيامهم بالكتب)) •

ب — ويقول البيضاوى وأبو السمود (٣) :

((التربية هى تبليغ الشئ الى كماله حيثما فشى)) •

(١) محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس من ص ٢٨٥ — ٢٩٩ •

(٢) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ١٣٧/١ •

(٣) الخفاجى : حاشية الشهاب ١/٨٨ • وأبو السمود : ارشاد العقل السليم ١/١٣ •

• ملاحظة : ان تعريف أبى السمود للتربية هو تعريف البيضاوى نفسه لها •
 ولذا فاننا نجزم أن أبا السمود المتوفى عام ٦٥١ هـ ، قد أخذ عن البيضاوى المتوفى عام ٦٤١ هـ •

ج - ويقول الراغب الأصبهاني (١) :

((التربية انشاء الشيء حالاً فحالا الى حد التمام)) .

د - ويقول الفزائلي (٢) :

((الطريقة في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدّها .. وقلب الصبي
جوهرة نفيسة خالية عن كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نقش ، ومائل الى كل
ما يمال به اليه ، فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة ،
وان عود الشر شقى وهلك .

وصيانة الأب لابنه : بأن يهديه ، ويهديه ، ويحمله محاسن الأخلاق ، ويحفظه
من قرناء السوء ...))

تعريف التربية في بعض الكتب الأجنبية :

جاء في كتاب مقدمة في فلسفة التربية (٣) :

التربية : هي مجموعة من النشاطات العملية المرتبطة ببعضها لتحقيق هدف عام .

وجاء في كتاب في فلسفة التربية (٤)

التربية بمعناها الواسع : تشير الى أي فعل أو خبرة لها أثر في صياغة العقل

أو الخلق أو القدرة الجسمية لدى أحد الأفراد .

وبالمعنى الفني : هي العملية التي ينقل بواسطتها المجتمع من خلال المدارس

والمعاهد والجامعات وغير ذلك من مؤسسات تراثه الثقافي عن قصد - أي معرفته

التجربة وقيمه وسهاراته - من أحد الأجيال الى جيل آخر .

(١) الأصبهاني : المفردات ص ٢٦٩ .

(٢) الفزالي : احياء علوم الدين ٢/٢٢٧ بتصرف يسير .
وقد عقد الفزالي في كتاب رياضة النفس فصلاً بعنوان : بيان الطريق في رياضة
الصبيان في أول نشوئهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم .
انظر الاحياء : ٢/٢٢٧ و ٢٣ و ٢٤ .

(٣) أوكونور : مقدمة في فلسفة التربية ص ١٢٧ .

(٤) نيللر : في فلسفة التربية ص ٣٦ .

وجاء في كتاب ربح التربية (١) :

التربية : هي فن تحويل الشمرى الى اللاشمرى

وجاء في كتاب التربية العامة (٢) :

التربية : هي جملة الأعمال والآثار التى يحدثها بارادته كائن انسانى نفسى

كائن انسانى آخر - وفى المقابل : راشد فى صغير - والتى تتجسسه

نحو غاية قولها أن تكون لدى الكائن الصغير استمدادات منوعة ، تقابل

الغايات التى يعد لها حين يبلغ طور النضج .

والتربية الحقة : هي تربية للحرية عن طريق الحرية .

وجاء في كتاب التربية فى العصر الحديث (٣) :

التربية : هي مشاركة الفرد فى الشمر الاجتماعى للجنس البشرى . وتأتمنى

باستخدام الظروف الاجتماعية التى يعيش فيها الطفل فى اثاره ميوليه .

وعن طريق هذه المطالب الاجتماعية يشمر الطفل بدافع له الى العمل ،

متأثرا بوشائج تربطه بمجتمعه ، ودافع وخروجه من شمره الضيق وعمله

المحدود ، فيعتبر نفسه مسؤولا عن صالح المجموع الذى ينتمى اليه . وعن

طريق استجابات غيره لأنواع نشاطه ، يتعلم مالهذه الاستجابات مسن

معان اجتماعية ، وتتمكس قيمتها غده على من حوله .

(١) غوستاف لومون : ربح التربية ص ٣٠٦ .

(٢) أوسير : التربية العامة ص ٢٧ .

(٣) جون ديوى : التربية فى العصر الحديث ١٧/١ .

وجاء في كتاب القيمة الاقتصادية للتربية (١) :

التربية : هي استخراج مآلدى الفرد من قدرات كامنة ، وتنميته خلقا وعقلا حسنى
يصبح حساسا بالنسبة للاختيارات الفردية والاجتماعية ، قادرا على العمل
والنشاط بمقتضى ما يختاره منها • وتمكين هذا الفرد من الاستجابة لدوره
الاجتماعى عن طريق التعليم المنظم ، وتدريبه وتموذه النظام ، وتشكيل
قدراته وتنمية ذوقه والارتقاء به •

وقول هـورن (٢) :

التربية : هي العملية الخارجية للتوافق المتنازع الله من جانب الانسان
الحر الواعى الناضج جسما وعقلا ، كما يعبر عن هذا التوافق
في بيئته الانسان العقلية والانفعالية والارادية •

وقول سـتالوزى (٣) :

التربية : هي النمو المتزن المنسجم لجميع قوى الفرد تنمية متلائمة •
وقول سـيمون (٤) :

التربية : هي الطريقة التى بها يكون العقل عقلا آخر ، ويكون القلب قلبا آخر •
وقول ملتسون (٥) :

التربية : هي التى تجعل الانسان صالحا لأداء أى عمل — علما كان أو خاصا
— بدقة وأمانة وسهارة فى السلم والحرب •
وقول سـلى (٦) :

التربية : هي تهذيب القوى الطبيعية للطفل ، كي يكون قادرا على أن
يمود حياة خلقية صحية جيدة •

(١) شولتز : القيمة الاقتصادية للتربية ص ٢٩ •

(٢) نيلور : فى فلسفة التربية ص ٣٧ •

(٣) لا براش : روح التربية ، وذكر كلمة (النمو) وكلمة (تنمية) فى التعريف خطأ ، أما
من المترجم أو من المؤلف !

(٤) عبد الحميد فليد : رائد التربية العامة ص ٢٧ •

(٥) المصدران نفسهما : ص ٦ و ص ٢٧ ، ٢٨ •

تعريف التربية في بعض الكتب العربية الحديثة:

(١)

يقول عبد الحميد فايد :

التربية : هي مساعدة الطفل على انماء جميع ملكاته وقواه وتكييفها ، واجساد
التوازن بينه وبين البيئة التي يعيش فيها ، واظهار ملكاته الكامنة ،
بفضة اعداد للحياة السعيدة الكاملة والنجاح فيها ، بحيث يصبح
مواطناً عاملاً : قوى الجسم ، صحيح العقل ، نقي الوجدان ، متسق
التفكير ، حسن التعبير ، متمسكاً مع أبنائه وطنه ، وحباً للإنسانية .
ويقول نظمي خليل (٢) :

التربية : هي اعداد الولد أو البنت لجميع أنواع النشاط التي تكون أو التي
يجب أن تكون حياة البالغ المتكلمة .

يقول محمود دنيا (٣) :

التربية : هي كل المؤثرات المختلفة التي توجه وتسيطر على حياة الأفراد
وتحدث في المجالات التي يتحرك فيها الفرد ، في المنزل والمدرسة
والمجتمع .

يقول البستاني (٤) :

التربية : عبارة عن طريق يتوصل بها الى نمو قوى الانسان ، الطبيعية
والعقلية والأدبية ، فينطوي تحضاً ضروب التعليم والتدريب ، التي
من شأنها ائارة العقل وتقوم الطبع واصلاح العادات والمشارب ، واعداد
الانسان لنفع نفسه وقريبه ، في مراكزه الاستقبالية .

(١) عبد الحميد فايد : رائد التربية العلمية ص ٢٨ .

(٢) نظمي خليل : مفهوم التربية ص ١١ .

(٣) محمود دنيا : التربية وأثرها ص ١١ .

(٤) البستاني : دأثرة المعارف ٨٦/٦ .

مقول الابراهيمى (١) :

التربية : هى اعداد المرء ليحيا حياة كاملة ، ويميشحبا لوطنه ، قوما نسي
جسمه ، كمالا فى خلقه ، منظما فى تفكيره ، رقيقا فى شعره ، ماهرا
فى عمله ، متعاونا مع غيره ، يحسن التعبير بقلمه ولسانه ، وجيّد
المعمل بيده .

مقول عبد المجيد عبد الرحيم (٢) :

التربية : هى اعداد الأفراد اعدادا صالحا للحياة الاجتماعية السوية واتتميز
به من حضارة ، طبقا لنظام اجتماعى معين .

مقول صالح نابى (٣) :

التربية : صلة بين المعلم والمتعلم ، الفرض منها مساعدة المرء للمرسى
للبلوغ به الى مستوى معين وفقا لأهداف مرسومة ، فهى فعل وانفصال
وتأثير وتأثير باخبارها علاقة انسانية قوامها استمدادات فكرية .

مقول عبد الرحمن البانى (٤) :

التربية : هى المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها ، وتنمية مواهبه
واستعداداته كلها ، وتوجيه هذه الفطرة وهذه المواهب نحو صلاحها
وكمالها ، والتدرج فى هذه العملية .

مقول مؤلفو التربية وطرق التدريس (٥) :

التربية : علم يبحث فى كل ما من شأنه أن يؤثر فى نمو الناشئ وتطور استمداده
وظائفه : النفسية والمقلية والخلقية والروحية .

-
- (١) الابراهيمى : روح التربية والتعليم ص ٧ .
(٢) عبد المجيد عبد الرحيم : مبادئ التربية ص ١٣ .
(٣) صالح نابى : أسس التربية الاسلامية ص ١ .
(٤) النحلاوى : أصول التربية الاسلامية ص ١٣ .
(٥) النحلاوى وزملاؤه : التربية وطرق التدريس ص ٥٤ .

ملاحظات على التعريفات السابقة :

جاءت هذه التعريفات - التي مرت ممنا أنفاً - مختلفة ، وذلك حسب تصور كل باحث لمفهوم التربية . ولكن هذه التعريفات تلتقى في نهاية المطاف بقصد اصلاح الفرد وتهذيبه ، وتناولت هذه التعريفات تربية الفرد واصلاحه ولم تتعرض لتربية المجتمع ! مع أن تربية المجتمع أمر ضروري وذلك لشدة تأثيره على الأفراد ، فلا بد من اصلاح الفرد والمجتمع لكي تلتقى التربية أكلها .

وركزت هذه التعريفات على تربية الطفل ، ولكنها لم تلتفت الى الانسان فسي مختلف مراحل عمره ! مع أن التربية لازمة في كل مراحل الحياة ، ولا بد من توجيهه جهد خاص لتربية الشباب حتى لا ينحرفوا عن المبادئ التي تلقوها في طفولتهم ، بل ان الشخص الناضج ذاته لا يستغنى عن توجيه من هم أكثر منه خبرة وأوسع أفقا وأكثر تملقا بالقيم العليا .

وتحدثت هذه التعريفات عن المواطن الصالح ، وأغفلت هدف التربية الأكبر وهو ايجاد الانسان الصالح ! ويجاد الانسان الصالح من خلال التربية الملمسة لا يتم الا في ظل عقيدة ربانية صحيحة .

وقد اقتبس كثير من الباحثين العرب تعريفاتهم للتربية ، من تعريفات الأجانب لها ، وصاغوها بأساليبهم الخاصة !

ونستطيع أن نعرف التربية باستقراء جميع التعريفات السابقة بأنها :

(تزكية الفرد وتعليم المجتمع ليجاد الانسان الصالح) .

تعريف التربية الاسلامية :

لقد كثرت الكتابة أخيراً عن التربية الاسلامية — وهذا ما يشر بالخير — ولكن قليلاً من الباحثين من عرف التربية الاسلامية بالتعريف الصحيح • وجل من كتب عن التربية الاسلامية لم يعرف لنا — مع الأسف — معنى التربية لغة واصلاحاً • ولعل أول من ألف عن التربية بمنظور إسلامي في العصر الحديث — حسب اطلاعي — هو شيخنا الأستاذ محمد قطب (حفظه الله) • وهذه طائفة من التعريفات الاسلامية للتربية :

يقول الأستاذ الجندى :

(التربية الاسلامية : هي الاعداد الروحي والنفسي للفرد ، بحيث يكون مؤهلاً لتلقى التعلم والثقافة على نحو موجه ، فيأخذ ما هو أساسي منها ، ويسهل أن يسهل ، بالقدره على أداء رسالته في الحياة والمجتمع — هذه الرسالة الجامعة بين هدف الدنيا والآخرة — من حيث البناء والعمل والسعى الى آفاق التقدم ، دون أن يكون ذلك على حساب القيم الخلقية أو المسؤولية الفردية ، بل لحسابها ودعا لها) • (١)

ويقول الشيخ سيد سابق :

(التربية الاسلامية : هي تحقيق النمو المتكامل للفرد بأبعاده المادية والمقلية والروحية ، بشكل لا يسمح للفرد بأن يحصل على أفضل ما في الحياة الدنيا ، فحسب ، بل عليه أن يتطلع الى مكانة روحية سلمية في الآخرة) • (٢)

(١) أنور الجندى : التربية منها الأجيال ص ١٥٣ •

(٢) سيد سابق ومحمد عدلان : التربية المقلية في الاسلام ص ١ •

يقول الشيخ الفزالي :

((التركبة : هي أقرب الكلمات وأد لها على معنى التربية ، بل تكاد التركبة والتربية تترادفان في اصلاح النفس وتهذيب الطباع وشد الانسان الى أعلى ، كلما حاولت المشبطات والهولاجس أن تصف به وضح)) (١)

يقول الاستاذ النحلاوى :

((التربية الاسلامية : هي التنظيم النفس والاجتماعى الذى يودى الى اهتمام الاسلام وتطبيقه كلا فى حياة الفرد والجماعة .
وهى أيضا : تنمية فكر الانسان وتنظيم سلوكه وعواطفه على أساس الاسلام ، ومقصد تحقيق أهداف الاسلام فى حياة الفرد والجماعة فى كل مجالات الحياة)) (٢) .

يقول الاستاذ يالجن :

((التربية الاسلامية : هي تنشئة الطفل وتكوينه انسانا متكاملان جميع نواحيه المختلفة ، فى ضوء المبادئ التى جاء بها الاسلام)) (٣)

يقول الاستاذ المقرئ :

((التربية الاسلامية : هي عملية تعليم وتزكية)) (٤)

وجاء فى توصيات المؤتمر العالمى للتعليم الاسلامى :

((التربية : هي رعاية نمو الانسان فى جوانبه المختلفة . . وتوجيهها نحو الصلاح والوصول بها الى الكمال)) (٥) .

-
- (١) محمد الفزالي : نظرية التربية الاسلامية ص ١ .
(٢) النحلاوى : أصول التربية الاسلامية ص ٢٠ و ٢٦ .
(٣) مقداد يالجن : التربية الأخلاقية الاسلامية ص ٥٤ .
(٤) المقرئ : تربية النفس فى ظل القرآن ص ٤ .
(٥) المؤتمر العالمى الأول للتعليم الاسلامى : توصيات المؤتمر ص ٣ .

المفهوم الاسلامى للتربية:

قيل الحديث عن مفهوم التربية الاسلامية اوضح بأننى لم أجد - حسب اطلاعى - باحثا مسلما متخصصا فى التربية كتب عن التربية الاسلامية - فى جميع مجالاتها - بأسلوب علمى .

وأدعو المولى تبارك وتعالى أن يقوم على كل ثمر من ثمر الاسلام - وهى كثيرة ومختلفة - من يقوم به خير قيام ، لئلا يلقى من قبله . ولاأهنى أن ماكتب عن التربية الاسلامية بأقلام طائفة من الباحثين المخلصين - ولاأزكى على اللعاب - غير صحيح أو لايفيد كلا ! ولكن معظم هؤلاء الأفضل غير مختصين فى التربية .

ومن المفهوم الاسلامى للتربية : يقول شيخنا الفاضل محمد قطب ، ((طريقة الاسلام فى التربية : هى معالجة الكائن البشرى كله معالجة شاملة ، لاأترك منه شيئا ولاأغفل عن شيء ، جسمه وعقله وروحه حياته المادية والمعنوية وكل نشاطه على الأرض .

انه يأخذ الكائن البشرى كله - مأخذه على ما هو عليه - بفطرته التى خلقه الله عليها ، لاأغفل شيئا من هذه الفطرة ، ولايفرض عليها شيئا ليس فى تركيبها الأصلى . ويتناول هذه الفطرة فى دقة بالغة ، فمعالج كل وتر منها ، وكل نعمة تفسده من هذا الوتر فيضبطها بضبطها الصحيح . وفى الوقت ذاته يعالج الآثار مجتمعة ، لايعالج كلامها على حدة فتصبح النفقات نهارا لاتناسق فيها . ولايعالج بعضها صملا البعض الآخر فتصبح النعمة ناقصة غير موفرة من اللعن الجليل المتكامل الذى يصل فى جماله الآخاذ الى درجة الأبداع)) (١) .

(١) محمد قطب : منهج التربية الاسلامية ١٩/١ .

وقول أيضا :

((تقوم التربية الاسلامية على أساس أن المبادأة الصحيحة لله هي وسيلة التزكية للنفس الانسانية التي يشير اليها القرآن الكريم : " ونفس وما سواها ، فآلهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها " (الشمس : ٧ - ١٠) . وهي كذلك وسيلة التربية ، ذلك أن الهدف الأخير للتربية : هو تزكية النفس . ومن ثم كانت وسيلة التزكية هي نفسها وسيلة التربية)) (١)

وقول الاستاذ الربيع :

((تعتمد التربية الاسلامية - في مفهومها العام - على وسيلتين هما : العلم - أو التعلم - ، ورياضة النفس وتهذيبها . وهاتان الويلتان في واقع الأمر لا يمكن الفصل بينهما بأي حال . لأن العلم وحده لا يكفي للسيطرة على نوازع الهوى ، ما لم تشارك معه العوامل التربوية الأخرى التي تنقل الأفكار والتوجهات ، من الآفاق المطلقة - أو المثالية - الى مجال العمل والحركة والتطبيق)) (٢)

وقول الاستاذ بارهم :

((والهدف من التربية الاسلامية ينحصر في فهم أصول الدين وأحكامه وآدابهم وأغراض الشريعة وقاصدها السامية ، لا ارتباط ذلك بمنهج السلوك الديني والاجتماعي السليم التي ينبغى على الفرد المسلم أن يتبناها ، وتقيد بالقيم الروحية والفكرية الفاضلة ، والمثل العليا التي يدعو اليها . ليحقق له ذلك المبادأة التامة والفلاح المطلق في الدنيا والآخرة)) (٣)

(١) محمد قطب : النظرية التربوية الاسلامية ص ١ .

(٢) عبد المنيز الربيع : اهداد الفرد من وجهة التهيئة الاسلامية ص ٣١٩ .

(٣) محسن بارهم : التربية الاسلامية وأهدافها ص ٢١٣ .

ويقول الشيخ أبو زهرة :

تقوم التربية الإسلامية على عناصر أربعة هي :
 تهذيب النفس ، وتربية الجسد ، وتقويم اللسان .
 وتمكين كل عامل أن يعمل بمقدار طاقته . وانتفاع الجماعة من كل الكفايات وتسهيل ذلك .

واشراف الجماعة على توجيه القوى المختلفة للعمل .
 والتوعية العسكرية العامة ، بحيث يكون كل مسلم مجاهدا مقاتلا إذا طلب
 للميدان (١) .

ويقول الاستاذ أحمد جمال :

(المنهج الإسلامي للتربية يقدم القدوة العملية في هذا المنهج ، والقدوة العملية :
 من الأب في بيته وبين أبنائه هياته ، والقدوة العملية : من المدرس في المدرسة
 والجامعة ، والقدوة العملية : من الحاكم بين محكوميه) (٢)
 وهكذا نجد أن التربية في مفهومها الإسلامي تمتاز عن غيرها : بأنها وسلسلة
 لارضاء الله تعالى ، وليست غاية في حد ذاتها .

كما تمتاز بأنها تعنى أيضا بالفرد طيلة حياته ، في روحه وفكره وجسده وأخلاقه
 وعلاقته بنفسه ، كما تعنى بالمجتمع — في الوقت نفسه — سياسة واقتصاد وأخلاقا
 وجهادا وثقافا وسلوكا . . .

ووسائل التربية الإسلامية نظيفة — في كل زمان ومكان ومجال — نظافة غايتها
 مواضعها وشرعها . وتهدف إلى إيجاد الإنسان الصالح والمجتمع الصالح للفرد
 بسمادة الدارين .

(١) محمد أبو زهرة : تنظيم الإسلام للمجتمع ص ١٢٢ .

(٢) أحمد جمال : دور التربية في بناء المجتمع ص ٧٤ .

رابعًا :

تعريف النظم

النظم لنفسه :

- نظم : الفون والفظاء والميم : أصل يدل على تأليف شئ .
- ونظم الشئ الى الشئ ينظمه نظما : ضمه ولفسه ، وشله : نظمه .
- ونظم الأمر : أقلمه . • ونظم الأمر : استقلم ، والانتظم : الاتساق .
- والنظام : ملاك الأمر وقولاه ، وجمعه : أنظمة .
- والنظام ما نظمت فيه الغنى ، وهو الخيط الذى ينظم به اللؤلؤ .
- والنظم : الثريا ، على التشبيه بالنظم من اللؤلؤ .
- وحل القوم نظم من جراد : أى صف منه . والنظم : رجل الجراد .
- وجامعا نظم من جراد ، وهو الكثير . وأنظمت الدجاجة ، اذا صار فى جوفها بيض .
- والنظم : الكلام المنظوم ، ومقابلته النثر .
- وتقول : هذان البيتان ينتظمهما معنى واحد .
- وتقول : القوم على نظام واحد : أى على منهج غير مختلف .
- وتقول : هذه أمور عظام ، لو كان لها نظام .
- وقال لثلاثة كواكب من الجوزاء : نظم وطمنه فانتظمه : أى اختله .
- ونظمت اللؤلؤ : أى جمعت فى السلك ، والنتظم مثله ، ومنه : نظمت
- (١) القمر ونظمت .

(١) الزمخشري : أساس البلاغة ص ٤٦٣ ،
والجوهري : الصحاح ٢٠٤١/٥
وابن زكيا : معجم مقاييس اللغة ٤٤٣/٥ و ٤٤٤ .
والرازي : مختار الصحاح ص ٦٦٢ .
والبيهقي : فاكهة البهتان ص ١٤٦٩ .
ووجسدى : دائرة المعارف ٣٠٩/١٠ .

النظم اصطلاحيا :

النظام والنظم والأنظمة بمفهومها الشائع لم تستعمل إلا في العصر الحديث •
وسنورد الآن تعريفات بعض الباحثين (للنظم) بشكل علم ، ثم نتبع ذلك بتعريفات
بعض الباحثين (للنظم الاسلامية) ، ثم نعرف (النظم) الاسلامية من خلال
استقراءنا لجميع التعريفات السابقة •

أولا : تعريف النظام (بشكل عام) •

جاء في كتاب النظم الاسلامية (١) :

النظم : كلمة تطلق على كل شيء يراعى فيه الترتيب والانضباط والارتباط •
وهي - بهذا الابهار - تشبه المقد من حيث انتظام أحجاره بعضها
مع بعض •

ونظم أمة دولة تتكون من مجموعة القوانين والمبادئ والتقاليد التي تقوم
عليها الحياة في هذه الدولة •

وجاء في كتاب مصنف النظم الاسلامية (٢) :

النظام العام : هو فكرة أو اعتبار يقوم في ذهن المشرع الوضعي - بالعسني
الواسع - يؤيد أن يعتبر حكم أنه من الأحكام الآمرة لا يجوز الاتفاق على
مخالفتها •

وجاء في كتاب نظام الحكم في الاسلام (٣) :

التنظيم : يقصد به مجموعة من الأحكام اصطلح عليها وأجبت
الاحترام وواجبة التنفيذ لتنظيم الحياة المشتركة في مجتمع هذا الشعب •

-
- (١) حسن إبراهيم وعلى إبراهيم : النظم الاسلامية - ص ٤
(٢) مصطفى كمال صفى : مصنف النظم الاسلامية ص ٨١
(٣) محمد المصطفى : نظم الحكم في الاسلام ص ٢١ •

وجاء في كتاب نظام الإدارة في الإسلام (١) :

كلمة نظام : تعنى الطريق الذى يحدد العبر وضبطه • كما تعنى المسار الذى يجب أن يتحراه الملوك ومستهدفه •
ان النظام فى معناه الأول (وهو الخيط) : ينظم جهات المقدم • ويوفر لها الاتساق ومنهجها من الانفراط •

وفى معناه الثانى (الدالك والقولم) : يعنى الأساس الذى يجب أن تستند عليه قرارات التنفيذ بالذات • أو هو الاطار الذى يجب ألا تخرج عنه هذه القرارات •
وجاء فى كتاب نظام الحكم الإسلامى (٢) :

المقصود بالتنظيم : هو وجود هيئة حاكمة منظمة مهمتها الاشراف على الاقليم ومن يقيمون عليه • بحيث يكون لها أن تصدر الأوامر الملزمة لكل أفراد الجماعة •

أما قلموس أكسفورد (٣) :

فيعرف النظام بأنه : مجموعة من الأشياء متصلة بعضها ببعض • بحيث تتكون منها وحدة مركبة •

وقول صبحى الصالح (٤) :

لكل دولة مبادئ وتعاليم فى السياسة والإدارة والاقتصاد • تصاغ فى بد • نفاذها صياغة نظرية • فيحسن القواميون عليها تطبيقها أو يسيئون • ويبدون أصولها أو ينقصون • • وقد تستمضى هذه النظريات كلها • أو بعضها • على التطبيق • ثم تظل فى أذهان الباحثين مجموعة من القوانين التى سنّها الشارع فى بعض المجتمعات للتنظيم فما أحراها أن تسمى (بالنظم) على اختلاف الهيئات والعصور •

-
- (١) القطب طهية : نظام الإدارة فى الإسلام ص ١٠ •
 - (٢) محمود حلمى : نظام الحكم الإسلامى ص ٢٠ •
 - (٣) محمود عبد المولى : أنظمة المجتمع والدولة ص ١١٩ •
 - (٤) صبحى الصالح : النظم الإسلامية ص ٥٥ •

ثانيها : تعريف النظام الاسلامي :

يقول الاستاذ سيد قطب :

((والدين)) في المفهوم الاسلامي هو المرادف لكلمة ((النظام)) فهي الاصطلاحات الحديثة إمع شمول المدلول للمقيدة في الضمير ، والخلساق في السلوك ، والشرعية في المجتمع . . فكلها داخلية في مفهوم ((الدين)) في الاسلام .

ومن ثم لا يمكن أن يكون هناك نظام يقبله الله وقره الاسلام ، ما لم يكن هذا النظام مستمدا من التصور الاسلامي الاعتقادي ، وتمثلا في تنظيمات وتشريعات مستمدة من الشريعة الاسلامية دون سواها . .

وأهم من هذا كله أن ينح عن أصحاب هذا النظام لألوهية الله وربهته فلا يدعون لأنفسهم حق إصدار الشرائع والأنظمة ، لأن هذا الحق لله وحده ، فهي الاسلام . وهنا يفترق النظام الاسلامي عن كل الأنظمة البشرية الافتراق الأساسي (١) .

ويقول الاستاذ محمد قطب (حفظه الله) :

((لاشك أن في الاسلام تنظيمات اجتماعية واقتصادية وسياسية تشمل حيزا غير قليل من القرآن وحيزا أكبر من السنة ، ولكن الاسلام مع ذلك ليس نظاما بالمعنى المفهوم في النظام الديمقراطي أو الشيوعي أو . . الخ انه عقيدة أولا ونظام بعد ذلك منبثق من العقيدة .

وهذا تذكير وتأكيد بأن النظام ليس هو الأساس ، إنما العقيدة هي الأساس . وتلك مزية النظام الاسلامي على غيره من النظم الجاهلية ، ولو حققت للناس بعض النفع في المدى القريب)) (٢) .

(١) سيد قطب : المدالة الاجتماعية ص ٩٨ و ٩٩ .

(٢) محمد قطب : دراسات قرآنية ص ٤٢٦ .

وقول الاستاذ عبد القادر عودة :

((والنظام الاسلامي أشبه ما يكون بالآلة التي تنتج الكهرباء والمقيدة الاسلامية
(١) هي النور الذي تعمل الآلة لانتاجه . فإذا عطلت الآلة . . انقطع النور وانتهى الاسلام))
وقول الاستاذ محمد المبارك :

((تشعير كلمة نظم بانتظام المقيدة والأخلاق والمبادئ والتشريع في سلك واحد
يربطها به الاسلام نفسه .

وهي تقابل ما في بعض اللغات الأهمية من كلمات تركيب بإضافة (Isme) التي
تضاف الى المذاهب . أو تصدر بلفظ (Systeme) الدال على الطريقة
المتبعة ، أو النظم الذي يستقل به دين أو مذهب بوجه عام ، أو في ناحية خاصة
تضاف اليه)) (٢) .

وقول الاستاذ محمد المرسي :

((نقصد بالتنظيم الاسلامي في مجموعه : المناهج التي رسمها الاسلام لسلوك
المسلم وسلوك الجماعة المسلمة ليمتقيم أمر المجتمع المسلم)) (٣) .

وقول الاستاذ عابد الهاشمي :

((نظم الحياة في الاسلام : هي ما اختطه الله تعالى للإنسان في آفاق الحياة
(الروحية والخلقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية . .) بما أنزله في كتابه الكريم
وشرحه رسوله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث واجتهاد العلماء والمفسرين)) (٤)

-
- (١) عبد القادر عودة : الاسلام وأوضاعها السياسية ص ٢٨ .
(٢) المبارك : نظام الاسلام (المقيدة والمعاهدة) ص ٢٤ .
(٣) المرسي : نظام الحكم في الاسلام ص ٢١ .
(٤) الهاشمي : طرق تدريس الدين ص ٢٥٩ .

ومع الاعتراف بقصر الهام وقلة الاطلاع ، فاننا نعرف القظم الاسلاميه بأنها :

((مجموعة الأحكام التي رتبها الاسلام للفرد والمجتمع والدولة ، في جميع شئون الحياة)) تحقيقا لقوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة " .

أي في الاسلام بمجموع حياتكم ، " ولا تتبعوا خطوات الشيطان . . . " . وخطوات الشيطان متمثلة في النظم والأوضاع الأخرى غير الاسلام .

طبيعة النظام الاسلامي :

لقد بات من ثافة القول اثبات شمولية الاسلام • والله يشمل بتوجيهاته وتنظيماته وتشريعاته جميع شؤون الدنيا والآخرة صغيرها وكبيرها • فلا تكاد سورة قرآنية تخلو من الحديث عن جانب من جوانب الحياة • كما أن سعة النبی (صلی الله علیه وسلم) تتم بالشمول أيضا • وكما أنه بات معلوما من الدين بالضرورة أن الصلاة من شعائر الاسلام — ولا يستطيع مسلم أن يكابر في ذلك — فكذلك النظم الاسلامي — السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري والثقافي والأخلاقي والتربوي والنفسي • • • جزأ لا يتجزأ من دين الله تعالى • والحق تبارك وتعالى القائل في محكم التنزيل :

” قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون “ (المؤمنون : ١-٤) •

هو نفسه القائل :

” فلا يهلك الذين آمنوا حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت مسلموا تسليما “ (النساء : ٦٥) •

والله عز وجل القائل :

” يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم “ (المائدة : ٩٥) •

هو نفسه الذي أمر عباده بقوله :

” يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدو وعدوكم أولياء “ (المتحنة : ١) •

والله عز وجل الذي أمر عباده بقوله :

” يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى “ (البقرة : ١٧٨) •

هو نفسه الذي أمر عباده بقوله :

” قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدعون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون “ (التوبة : ٢٩) •

فإذا سلمنا بأن الاسلام يدخل فى حسابيه الفرد : حالته وسقمه ، غناه وقفره ، جوعه وشبعه ، ظمئه ورية ، صغره وكبره ، فراغه وشفله ، حياته وموته ، حاله كونه حاكما ومحكوما ، ضعيفا وقويا ، ^{صغيرا} وعظيما ، ذكرا أو أنثى ، حرا أو عدا ، أبيض أو أسود ، عربيا أو عجميا ...

وإذا سلمنا بأن الاسلام يوجه أنظمة الحياة المختلفة ... وأنه ينظم معاملات الأفراد بعضهم ببعض ، ومعاملاتهم بالدولة ، ومعاملات الدولة بهم ، ومعاملات الدولة بغيرها ...

وإذا سلمنا بأن الاسلام دين ودولة ، ديننا وآخره ، مصحف وسيف ، ثقافة وخلق علم وقضاء ، قانون ومعاملات ...

إذا سلمنا بكل هذا - اعتقادا وقولا وعلا - نكون حينئذ فهمنا طبيعة النظام الاسلامية وفهمنا الاسلام الصحيح الذى قال الله تعالى عنه : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً " (المائدة : ٣) وقال فيه : " ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين " (آل عمران : ٨٥) ونكون حينئذ أتباع الشريعة التى قال الله عز وجل عنها : " ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعملون " (الجاثية : ١٨)

أما إذا ادعينا الاسلام وآمننا بأنه الدين الذى لا يقبل الله تعالى ديناً سواه ، ثم أخذنا به فى أحد جوانب الحياة فحسب ، فأننا بذلك نكون من شملتهم الآية الكريمة : " أفترى من أخرج من بيته من الكتاب ويتكبرون ببعض ، فأجزاء من يفصل ذلك منكم الاخرى فى الحياة الدنيا وهم القليلة يردون الى أشد العذاب وما الله بخافل عما تعملون " (البقرة : ٨٥)

وكما يقول الاستاذ سيد قطب (رحمه الله) :

((ومع أن هذا النص القرآني كان يواجه ابتداءً حالة واقعة من بني اسرائيل فانه في ابحاثه للنفس البشرية - ولرجال الدين بصفة خاصة - دائم لا يخلص قوساً دون قهر ولا يمتنى جواد دون جيل .

ان آفة رجال الدين - حين يصبح الدين حرفة وصناعة لا عقيدة حارة واقعة - انهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، يأمرون بالخير ولا يفعلونه ، يدعون الى البر وهم لا يفعلونه ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويؤلون النصوص القاطمة خدسة للفض والهوى ، وجدون فتاوى وتأويلات قد تتفق في ظاهرها مع ظاهر النصوص ولكنها تختلف في حقيقتها عن حقيقة الدين لتبهر أغراض وأهواء لمن يملكون المال والسلطان ! كما كان يفعل أجهار يهود

والدعوة الى البر والمخالفة عنه في سلوك الدلعة اليه ، هي الآفة التي تهليل قلوب الناس وأفكارهم لأنهم يسمعون قولاً جميلاً وشهدون فصلاً قبيحاً فتمتلكهم الحيرة بسين القول والفعل^١ ، وتخبر في أرواحهم الفعلة التي تؤدها العقيدة ، ان الكلمة لتنبعث ميتة وتصل هامة مهما تكن طنانة رنانة متحمسة اذا هي لم تنبعث من قلب يؤمن بها .

ولن يؤمن انسان بما يقول حقاً الا أن يستحيل هو ترجمة حجة لما يقول ، وتجسيماً واقعياً لما ينطق . . . هذئذ يؤمن الناس وثقى الناس ، ولو لم يكن في تلك الكلمة طنين ولا بريق . . . انها حينئذ تستمد قوتها من واقعها لا من رنينها ، وتستمد جمالها من صدقها لا من بريقها . . . انها تستحيل يؤخذ دفعة حياة لأنها منهقة من حياة^(١) .

■ ذكرني هذا القول بوصف الشاعر للواحد من هؤلاء :

ذئب تسراه مصلياً	فأذا جررت به ركعاً !
يدعو وجل دعائه	ما للفرسية لا تقمع ؟
عجل بها يا ذا الملا	ان القواد قد انصدع !!

(١) الظلال ٦٨/١ .

وهذا مثال يوضح كيف أن تطبيق جوانب من النظم الإسلامية وترك جوانب أخرى منها ، لا ينجى صاحبه — فردا أو مجتمعا أو دولة — من عذاب الله ! نقول : لو أن استاذنا يعلم تلاميذه جميع الحصص ، ومن بين تلاميذه طالب لا يحضر إلا درسا واحدا من واجباته — ويهمل بقية دروسه نهائيا — ، ومع كونه لا يطيع استاذَه — فـسـى تحضير بقية دروسه إلا أنه شديد الاحترام والتقدير لاستاذَه !

هل يصدق عاقل أن هذا الطالب سونج في نهاية العلم ؟

ولو حللنا هذا المثال : لوجدنا أن اطلاق لفظ (طالب) عليه صحيح ، لأنه يأتي مع زملائه الى فصل الدراسة • وسأخذ — كبقية زملائه — شهادة في نهاية السنة ، لكنها شهادة رسوب ! واحترامه الشديد لاستاذَه لن يغير من نتيجته النهائية • والله المثل الاطلى ! ينطبق هذا المثال على من احترم الدين ، وسمى بأسماء المسلمين ، وأطاع الله في جوانب من الحياة ، وعصاه في بقية الجوانب • فهذا قد يطلق عليه لفظ (مسلم) في الدنيا ، لأنه نطق بالشهادتين — مع أنه لم يعمل بمقتضاها — ، ولكن مشاركته المسلمين في إحدى مجالات الحياة لاتنجيه من عذاب الله تعالى يوم القيامة ، وسأخذ — والله أعلم — شهادة (راسب) في جهنم ! ولا ينفعه كون اسمه اسلاميا ، أو أنه يكن الاحترام والتقدير للاسلام والمسلمين ! وصدق الله العظيم " يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا : انظرونا نقتبص من نوركم قهلا : ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا • فضرب بهمهم بمسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم : ألم تكن ممك ؟ قالوا : بلى ! ولكنكم فتنتم أنفسكم ، وتربصتم وارتبتم ، وفرتكم الأمانى ، وفركم بالله المرور • فالهيم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ، مما أكرم النار ، هي مولاكم ، وشئ المصير " • (الحديث : ١٣ — ١٥) •

مع التنبيه على أنه : يخرج من النار من كان في قلبه مقال ذرة من إيمان !

والاسلام بطبيعته الشاملة يتعامل مع النفس ، في علاقتها مع الله تبارك وتعالى ومع غيره . ويتعامل مع المجتمع ، في علاقته مع الفرد ومع الدولة ، ويتعامل مع الدولة ، في علاقتها مع الرعية — سواء كانت مسلمة أو كافرة — ومع بقية الدول . ولا يترك الاسلام صغيرة ولا كبيرة في الحياة كلها الا ينظمها ووجهها نحو الخير والفلاح في الله اربمن .

ولكن هذه الحقائق — مع كونها من مبادئ الاسلام — صارت غريبة اليوم على حسن كثير من المسلمين ، بسبب غربة الاسلام اليوم في الأرض !

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " بدأ الاسلام غريبا وسيمود كما بدأ غريبا فطوى للشرا " وفي رواية أخرى : " ان الدين بدأ غريبا ورجع غريبا ، فطوى للشرا " الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدى " . (١)

ولله در الامام ابن القيم حيث يقول :

((ومن له ذوق في الشريعة واطلاع على كمالها وتضمنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد وحيثها بغاية العدل الذي يمح الخلاق ، وأنه لا عدل فوق عدلها ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح :

تبين له أن السياسة المادة جزء من أجزائها وفرع من فروعها . وأن من أحاط علما بمقاصدها ووضعها موضعها وحسن فهمه فيها : لم يحتج معها الى سياسة غيرها البتة)) (٢) .

(١) انظر هذا الحديث برواياته المختلفة في مسلم ١٣٠/١ .

وسنن الترمذى ١٨/٥ .

وقال عنه الترمذى : حديث حسن صحيح .

وسنن ابن ملجة ١٣٢٠/٢ .

والطبرانى : المعجم الصغير ١٠٤/١ .

والساعاتى : الفتح الربانى ١١٤/١ .

ومعنى طوى : نعم ما لهم ، وخبطة لهم .

(٢) ابن القيم : الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية ص ٤ .

(هل هناك ترابط أو انسجام بين نظم الاسلام الاقتصادية والسياسية والاجتماعية

والدينية ؟ والجواب : بينهما ترابط كترابط أصل الشجرة مع دوعتها ، وترابسط دوعتها مع فروعها وترابط نروعها مع أوراقها . ليس هناك - فى الحقيقة - الا نظام واحد ينشأ من الايمان بوجدانية الله ورسالات رسله . منه يتولد النظام الخلقى ومنه يتشكل نظام الشعائر التعبدية ، وعليه يتأسس النظام الاجتماعى ومنه يصدر النظام الاقتصادى . ان جميع هذه النظم شعب مختلفة وأجزاء منوعة لنظام واحد تتماسك وتتسجم بعضها مع بعض وتغذى بعضها بعضا .

وانما انعدمت عقيدة التوحيد والرسالة ، وانعدمت الأخلاق التى تنشأ من هذه العقيدة ، يستحيل أن يقوم نظام الاسلام الاقتصادى أو السياسى (١)

ويقول الاستاذ سيد قطب :

(والا سلام منهج حياة شامل متكامل : يشمل الاعتقاد فى الضمير والتنظيم فى الحياة ، لا بدون تعارض بينهما فحسب ، بل فى ترابط وتداخل يعزفصله ، لأنسه حزمة واحدة فى طبيعة هذا الدين .

وليس فى التصور الاسلامى نشاط انسانى لا ينطبق عليه معنى العبادة ، أو لا يطالب فيه تحقيق هذا الوصف . وليس هناك من وصف فى المنهج الاسلامى لنظام الحكم ، ونظام الاقتصاد ، والتشريعات الجنائية ، والتشريعات المدنية ، وتشريعات الأسرة . . . وسائر التشريعات التى يتضمنها هذا المنهج . . . ليس هناك من هدف الا تحقيق معنى العبادة فى حياة الانسان . . .) (٢)

(١) المودودى : مفاهيم اسلامية حول الدين والدولة ص ١٢٤ و ١٢٥ .

(٢) سيد قطب : خصائص التصور الاسلامى ص ١٨٥ بتصرف يسير .

يقول أيضا :

((ان القادة التي يقوم عليها النظام الاسلامي تختلف عن القواعد التي تقوم عليها الانظمة البشرية جميعا . . انه يقوم على أساس الحاكمية لله وحده وسائر الانظمة تقوم على أساس ان الحاكمية للانسان ، فهو الذي يشرع لنفسه . . وهمسا قاعدة ثان لا تلتقيان . ومن ثم فالنظام الاسلامي لا يلتقى مع أى نظام . ولا يجوز وصفه بشيء صفة الاسلام)) (١)

ويقول الاستاذ محمد قطب :

((لقد درجنا في أيامنا الاخيرة — بسبب المدوى الوافدة إلينا من الغرب — أن نحدث عن الاسلام كنظام — سياسى واقتصادى واجتماعى . . الخ — ولا شك أن فى الاسلام تنظيمات سياسية واقتصادية واجتماعية وتربوية وأخلاقية . . ولكن الحدس — عن أى تنظيم أو نظام اسلامى بممثل عن العقيدة انما يفقده روحه ، ويحوله — كإى نظام آخر — الى نظام تقوم عليه " الدولة " وتحرمه تنظيماتها ولا زيادة ! وليس الأمر كذلك فى الاسلام !

حقيقة أن النظم الاسلامية متميزة فى ذاتها ، لأنها من صنع الله تعالى . . فهى خالية من عيوب القصور البشرى ، والهوى البشرى ، والنظرة البشرية الجزئية ، التى ترى شيئا وتغفل عن أشياء ، وترى مصلحة الجهل الواحد ، ولا ترى مصلحة كل الاجيال ، بل ترى زاوية واحدة من الشئ الواحد ، ولا ترى الزوايا كلها مجتمعة فى آن . . ولكن هذه الزميمة — على ضخامتها ليست الزميمة الوحيدة فى النظام الاسلامى . والوقوف عندها ، وتفكيرها . أو تنفيذها ، يفقد النظام أهم خصائصه ، وهى قيامه على العقيدة وانبثاقه منها . .)) (٢)

(١) سيد قطب : المدالة الاجتماعية ص ٩٤ .

(٢) محمد قطب : دراسات قرآنية ص ٢٦٦ .

وقول الاستاذ الضناوى :

((وليس من قهيل المصادفة — وقد ربط الاسلام أنظمته بفكرته الشاملة عن الكون والانسان والحياة وموظيفة هذا الانسان في الوجود — أن يأتي القرآن الكريم بقواعد التشريع ومبادئ أنظمة الحكم والاقتصاد والاجتماع في طيات آيات التوجيه والتشريع •

ولعل قوله تعالى : * والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون • والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم وما رزقناهم ينفقون * (الشورى : ٣٧ و ٣٨) خير مثل في هذا الصدد)) (١) •

(١) محمد علي الضناوى : الطريق الى حكم اسلامي ص ٤٢ •

الباب الأول

أثر العقيدة في تربية النفس

وفيه / أثر الإيمان بالله وملائكته وكتبه

ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر

في تربية النفس

الفصل الأول

أثر الإيمان بالله تعالى

في تربية النفس

تمهيد :

يقول المولى تبارك وتعالى فى محكم التنزيل : " آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وحده ولا شكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير " (البقرة : ٢٨٥) .
وجاء فى الحديث الذى رواه أبو هريرة (رضى الله عنه) :

(كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوما بارزا للناس فتناه رجل فقال : ما الايمان ؟ قال : الايمان أن تؤمن بالله وحده ولا شكته وملكه ورسله ، وتؤمن بالبعث) .
وفى رواية أخرى : (أن تؤمن بالله وحده ولا شكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت والجنة - والنار والقدر خيره وشره) . (١)
والايمان - كما يقول الامام ابن القيم - :

((له ظاهر وباطن : فظاهره قول اللسان وعمل الجوارح ، وباطنه تصديق القلب وانقياد صلبه . فلا ينفع ظاهر لا باطن له وان حقن به الدماء وهم به الذريرة ولا يجزئ باطن لا ظاهر له الا اذا تمذر بمجزأ أو اكراه وضعف وهلاك (٢)))
((وليس الايمان هو الاقرار دون الاحقاد ، فقد أخبر الله تعالى عن المنافقين اقرارهم بالايمان ، ونفى عنهم سمة بقوله " وهاهم بمؤمنين " (البقرة : ٨) بسبل الايمان كلمة جامعة للاقرار بالله وكتبه ورسله . . . وتصديق الاقرار بالفعل (٣)))

(١) الشرجى : التجريد الصريح ٢٥/١ .

والبخوى : شرح السنة ١/١ .

(٢) ابن القيم : الفوائد ص ٨٥ .

(٣) الجصاص : أحكام القرآن ٢٥/١ .

والشوكاني : فتح القدير ٣٥/١ .

معنى الايمان بالله :

الايمان بالله : هو توحيد • عز وجل • فى ألوهيته ربوبيته وأسمائه وصفاته •
توحيد الألوهية* : هو اخلاص العبادة لله تعالى وحده • من المحبة والخوف
والرجاء والتوكل والدعاء* جميع المبادات ظاهرها وباطنها • ولا يجعل فيها
شيئا لغير الله •

أو هو : أن يتخذ المباد المولى (تبارك وتعالى) محبها وألوهها • وأن يفرد
بالاخبار والطاقة •••

وهذا التوحيد : أول واجب على المكلف • وقد أفصح القرآن به كل الانصاح وهو الذى
جملوا لله تعالى فيه شركاء (١) !

وأما لفظ (الله) : فهو بمعنى مألوه أى معبود • وهو الذى تأله القلوب
بالمحبة والخضوع •• وأجمع على ذلك العلماء (٢) •

ولفظ الجلالة (الله) : هو أكبر الأسماء وأجمعها للمعنى • وقد اختصه المولى
جل وعلا لنفسه • وقدمه على جميع أسمائه • وأضاف أسماء كلها إليه •
فكل ما يكى بحد • من أسماء نعمته (٣) •

واختلفوا فيه : هل هو مشتق أم لا (٤) ؟ وهذه مسألة خلافية — كما يقول الأستاذ
البنّا — لا يترتب عليها أمر على (٥) •

وتوحيد الألوهية يتضمن جميع أنواع التوحيد بخلاف غيره •

(١) المقرئى : تجريد التوحيد المفيد ص ٧ •

والصنعمانى : تطهير الاعتقاد ص ٦ •

والصالحى : حاشية كتاب التوحيد ص ١١ •

ومحمد بن عتيق : أبطال التنديد ص ١٥ •

(٢) أبو بطين : جواب أبى بطين ص ١٠ •

وعبد الرحمن آل الشيخ : قرّة عيون الموحدين ص ١٤ و ١٥ •

(٣) الجمل : الأسماء الحسنى ص ٣٥ •

(٤) الزجاج : تفسير أسماء الله ص ٢٥ •

والموددى : المصطلحات الأربعة ص ١٣ •

(٥) البنّا : رسالة العقائد ص ٤٤٣ •

* محمد نعيم : الايمان ص ٧ •

توحيد الربوبية (١) :

هو العلم والاقراء بأن الله عز وجل رب كل شيء وخالقه وملكه ورازقه • وأنسبه
المحيى الميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطراب • والمدير لأمر
خلقه أجمعين • والذي له الأمر كله • ويده الخير كله • (ويدخل فيه الايمان بالقدر) •
أو : هو الاعتقاد بأن الله تعالى وحده هو خالق العالم وهوبه ورازقه • (وهذا
التوحيد لا ينكره المشركون) •

توحيد الأسماء والصفات (٢) :

وهو أن يوصف المولى عز وجل بما وصف به نفسه • وما وصف به رسوله (صلى الله عليه وسلم)
من صفات الكمال ونموت الجمال • من غير تكهيف ولا تشبه ولا تحريف ولا تمثيل •
أو : هو الاقرار بأن الله على كل شيء قدير وكل شيء علم وأنه سميع بصير
وأنه الحمى القيم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وأنه تعالى لا يشبهه شيء لا فى
ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله •
(ولا بد لهذا التوحيد من توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية) (٣) •

(١) حمد بن عتيق : ابطال التنديد ص ١٤ •

والمصنف : حاشية التوحيد ص ١١ •

والصفهاني : تطهير الاعتقاد ص ٦ •

وعبد الرحمن آل الشيخ : قرّة عيون الموحدين ص ٤ •

(٢) سليمان آل الشيخ : تيسير المنيز الحيد ص ١٩ •

والمصنف : حاشية التوحيد ص ١١ •

وحمد بن عتيق : ابطال التنديد ص ١٥ •

ومحمد نعيم : الايمان من ص ١٥ - ٢١ •

(٣) وتقسيم التوحيد الى هذه الأقسام اصطلاح متأخر جد • مع ما وجد من الاصطلاحات

فى مختلف الملوك • ولكن معناه كان موجودا • وهو فى حقيقته الاعتراف بالله •

تعالى وتوحيد بأفعاله • انظر التركى : أصول مذهب الامم أحد ص ٩٠ •

وأخذ أسماء اللاتعالى التوقيف عليها ، أما بالكتاب ولما بالسنة ولما باجتماع
الامة عليها . ولايجوز اطلاق اسم عليه تعالى من طريق القياس (١) .

وأما صفات الله تعالى : فان المعنى الذى يقصد باللفظ فى صفاته تعالى
يختلف اختلافا كلياً عن المعنى الذى يقصد بهذا اللفظ عن نفسه فى صفات المخلوقين (٢)
وعلىنا التمسك بالأمور الآتية لئلا نهتمد عن جادة الصواب :

١- تنزيه الله تعالى عن مشابهة صفات خلقه " ليس كمثله شئ " وهو السميع البصير .
(الشورى : ١١) .

٢- الايمان بما وصف الله تعالى به نفسه أو بما وصفه به رسوله (صلى الله عليه وسلم)
ايماناً مبنياً على التنزيه .

٣- قطع الطمع عن ادراك حقيقة الكيفية (٣) .

والله تعالى متصف بصفاته أزلاً ولئداً ، وأسماءه لا تشتق من صفاته وأفعاله ، وانما
أسماءه تدل على صفاته .

فمن صفاته : المكر والكيد ولكنه تبارك وتعالى لا يسمى ماكراً أو كاذباً .

وهكذا نرى - كما يقول الاستاذ سيد قطب (٤) - أن معنى الايمان بالله .

افراد - عز وجل - بالالوهية والرحمة والمباداة . ومن ثم افراده بالمسيادة على
ضمير الانسان وسلوكه فى كل أمر . . . وليس هو كل احقاد فى الله . . . انما هو
صورة واحدة من صور الاحقاد فيه - سبحانه - صورة التوحيد المطلق الناصع القاطع .

(١) عبد القاهر الهخداوى : الفرق بين الفرق ص ٣٣٢ .

(٢) حسن البنا : رسالة المقام ص ٤٧٠ .

(٣) الشنقيطى : الممين والزاد ص ٣٨ .

(٤) أحمد فائز : طريق الدعوة فى ظلال القرآن ٦٠ / ٢ .

(والمقيدة في الله : ليست ترفاً في التفكير ولا نافذة للنفس ولا حاشية على هامش الحياة ولا مظهرها من مظاهر الخوف أو الضعف ، إنما هي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وحاجة ملحة للنفس والروح ، إذا فقدت تركت فراغاً في النفس لا يملأ ، وجوعاً في الروح لا تسد ، وخراباً في الضمير لا يصر (١) . ومن هنا لا بد من أن يتبسط الإيمان العمل ، قال تعالى : " والعصر إن الإنسان لئى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر " (العصر ١ - ٣) . فكلمة التوحيد كال مفتاح للإسلام ولا بد لكل مفتاح من أسنان . قيل لو هب بن منه (٢) : ألهم (لا إله إلا الله) مفتاح الجنة ؟ قال : بلى ! ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان ، فإذا جئت بمفتاح له أسنان فتح لك والا لم يفتح لك .

وقال عمر بن عبد العزيز : (إن للإيمان فراغاً وشرائع وحدوداً وسناً ، فمن استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان) (٣) .

(وإذا جردت الجواهر النفيسة من أصدافها والأشياء الغضة عريت من غلافها ، صارت عرضة للآفات والتقلبات ، وأوشكت أن تأخذها الحوادث . وكذلك المصباح إذا لم تكن له زجاجة ولم يوضع في مشكاة لم يمت به الريح يسنة وسرة ، وربما هفت به عاصفة فأطفأت نوره) (٤) .

وصيها الشيخ دراز - رحمه الله - بقوله (٥) : (فاحفظوا إيمانكم في مشكاة من تقوى المخلص ، تدرون بها عن ريح الشيطان وعواصف الفتن ، وارفعوا على أساس الإيمان بنياناً من فعل الخيرات ، تزدادوا إيماناً إلى إيمانكم ، ونورا إلى نوركم . " والذين اهتموا زادهم هدى وآتاهم تقواهم " (محمد : ٤٧) .

(١) محمد شديد : منهج القرآن في التربية ص ٨٥ و ٨٦ .

(٢) ابن الفاسي : جمع الفوائد ٧/١ ،

والهشوي : شرح السنة ٤٧/١ .

(٣) ابن حجر المصقلاني : فتح الباري ٤٥/١ .

(٤، ٥) محمد عبد الله دراز : المختار من كثر السنة ص ١٠٣ و ١٠٤ .

((والآن الى أسرار الايمان بالله في تربية النفس))

النشأة الجديدة :

ان أهمية الايمان بالله — عز وجل — نابعة من كونها تحول خامات الجاهلية — بعد اعتناق العقيدة — الى ضرب الأمثال ويشبه الأماطير • ومن كونها تحدث انقلابا وتغييرا هائلا في الأفراد والمجتمعات • فتخرج النفوس من ظلمات الشرك والشك والجاهلية الى نور اليقين والهداية والتوحيد •
وخير دليل على ذلك : ملهى العرب في الجاهلية • • وحياتهم في الاسلام وواقعهم المزرى اليهم • •

نقد كانوا في الجاهلية قبائل متدبرة متنافرة • • يفزرو بعضهم بعضا • يعتدى القوى على الضعيف وصلبه حقه • دون وازع من خلق أوضيع • وثد الرجل منهم ابنته وهي حية • • صعيدون أصناما لا تملك لنفسها ولا لغيرها نفعا ولا ضرا • • لم تجمعهم حكومة ولم يوحدهم قانون • • بالاضافة لتأخرهم في الحضارة المادية •
وشاءت ارادة الهاري — تبارك وتعالى — أن تستفيق البشرية جمعا • من سباتها العميق • • فبعث اليها رسوله محمدا — صلى الله عليه وسلم — داعيا اليه باذنه وسراجا منيرا •

وما أن انبثق نور القرآن من بطحاء مكة • • وما أن دوى نداء التوحيد — (لا اله الا الله) في ربوع الجزيرة العربية • • حتى أضاء هذا النور الوهاج قلوب أناس آمنوا بالله وحده • ربا وبلاسلام ديننا محمد — صلى الله عليه وسلم — نبيا ورسولا • • وأما نفوسهم لله • • وقاموا بنشر الدعوة في سبيله • لاخراج المبتدلين من عبودية الطاغوت الى عبادة ذي المزة والجبروت • ومن جور الأديان الى عدل الاسلام •

مزغت - بفضل الايمان بالله - شمس حضارة الاسلام على الأرض .. وخففت
أعلام التوحيد من المحيط الأطلسي غرباً حتى بلاد الصين شرقاً ، في فترة وجيزة
من عمر الأمم !

فما الذي جعل هؤلاء الحفاة المرأة رعاة الشاة ، وهم لم يتعلموا في مسددارس
أو جامعات ، ولم يتلقوا نظريات في السياسة ، ولم يتدبروا في كليات حربية ، ولم
يكونوا أكثر عدداً ، وعدة من أعدائهم ...

ما الذي جعلهم يحطمون جيوش كسرى وقيصرو - أكبر قوتين في الأرض آنذاك -
ينزلون الظلم والفساد عن كواهل عباد الله المستضعفين ؟

انه الايمان بالله تعالى روح الحياة - الذي أعطى ثماره المرجوة في أسرع وقت
وأكثر مما يتوقع ، بفضل هذا الايمان أصبح الجبل القرآني الفريد الذي تروى على
مأدبة الله في الأرض ، نجوماً متألقة في سماء الكون ، يقتدى بها من شاء من عباد
الله أن يستقيم !

وحيثما ابتعد الخلف عن سيرة السلف : ونحو كتاب الله عن واقع الحياة ، وأصبح
القرآن يتلى للتبرك ، أو يستجدي به في المساجد وعلى قارعة الطريق ، أو مقدماً
لحلف الايمان في المحاكم - لا للحكم به في الأحكام - أو مذاهباً للاستمتاع بمسرات
القارئ - لا لتدبره والعمل به - ! وحيثما حصل الانفصام النكح بين الدين -
والسياسة والحلم والايمان ، وحيثما حلت القوانين الأرضية مكان الشريعة الإسلامية ! ...
رجع السرب الى حالتهم التي كانوا يعيشونها في الجاهلية ، وألقى الله تعالى نفس
قلوبهم الوهن - حب الدنيا وكراهية الموت - ونزعت المهابة من صدورهم ومنهم ،
وكانت النتيجة أن تحكم بهم شذاذ الآفاق ، وصاروا معتمدين لشرق أو لغرب ، ورضوا
أن يكونوا في ذيل القافلة البشرية - بعد أن كانوا سادتها في شتى الميادين - .

وكان الشاعر الجاهلي الذي وصف قبيلة (تميم) بقوله :

وقضى الأمر حين تغيب تميم ولا يستأذنون وهم شهيد !

كانه يصف هذه الأمة في هذه الأيام ، حيث تقوم الدول الكبرى بما تشاء دون أن تحسب حسابا للمسلمين في الأرض ، وما أحداث فلسطين وأفغانستان ولبنان وغيرها من الهلاكات الإسلامية غنا بهميدة !

وفيما يأتي نتحدث عن أحد الصحابة الكرام الذين أثربهم الإيمان بالله وأحدث في نفوسهم انقلابا هائلا - جعلهم رهبانا في الليل فرسانا في النهار - وجمعل من سيرتهم تاجا متلأثا على جبين التاريخ - القديم منه والحديث - نود أولا كلمات عن حياته - رضى الله عنه - في الجاهلية .. ثم نتبع ذلك لمحات من حياته فسى الاسلام .. لنرى كيف يحول الإيمان بالله النفس البهيمية من الانحطاط والهمجية الى أعلى آفاق الانسانية ! هذا الصحابي الجليل هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)

(حينئذ في الجاهلية)

كان عمر بن الخطاب يضرب جارية بنى عروين مؤهل المدوى - واسمها زنبيرة - لترجع عن الاسلام حتى يفتر ! فاذا فتر قال لها : معذرة اليك ! ما تركتك ابقاء عليك ولا رحمة بك ! ولكنى قد أعيت ! (١)

لقد خصص عمر بعض أوقاته لتعذيب أمة ضعيفة فقيرة .. وكان يحد أن يكل من التعذب يظهر لها حقيقة ما يدور بخلد - لئلا تظن المسكينة بأن في جوفه ذرة من رحمة عليها .. أو أن تعذيبها قد توقف - فيقول لها متوهدا : ما تركتك ابقاء عليك ! ومعتذرا - وهذا لون آخر من التعذيب النفسى وحرب الأعصاب - : بأنه تعذب ! ولن يرحمها في المستقبل !

(١) الامام أحمد : فضائل الصحابة ١ / ٨٤ .

ومحمد الهاشمي : المجبرص ١٨٤ .

وابن الأثير : الكامل ٢ / ٤٧ .

وابن حجر : الاصابة ١ / ١٥٩ .

ولذلك حق لعمار بن ربيعة - رضى الله عنه - أن يجهب زوجته التي رأت من عمر
رقصة - أثناء هجرتهم الى الحبشة - (والله لا يسلم عمر حتى يسلم حمار الخطاب)^(١)
* * *

خرج عمر متقلداً السيف .. فلقبه رجل من بنى زهرة فقال : أين تعمد يا عمر ؟
فقال : أريد أن أقتل محمداً ! قال : وكيف تأمن من بنى هاشم وبنى زهرة وقد
قتلت محمداً ؟ فقال له عمر : ما أراك إلا قد صهأت وتركت دينك الذى أنت عليه .
قال : أفلا أد لك على المحجب يا عمر ؟ ان أختك وختنتك قد صهوا وتركنا دينك الذى
أنت عليه ..

فمضى عمر حتى أتاهما وخدعهما رجل من المهاجرين يقال له خباب . فلما سمع
خباب حرس عمر توارى فى البيت .. فدخل عمر عليهم سراً فقال : ما هذه الهيفنة
التي سمعتها عندكم ؟ - وكانوا يقرءون سورة طه - فقالا : ما هذا حديثا تحدثناه
بيننا . قال : فلعلكم قد صهوتما ؟ فقال له ختنته : أرأيت يا عمر ان كان الحق فى
غير دينك ؟

فوثب عمر على ختنته فوطئه وطأ شديداً ! فجاوت أخته فدفعته عن زوجها ..
فنفحها بيده نفحة فدمى وجهها !

قالت وهى غضبية : يا عمر ! ان كان الحق فى غير دينك .. أشهد أن لا إله الا الله
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

فلما تبين عمر قال : أعطوني هذا الكتاب الذى عندكم فأقرأه - وكان عمر يقرأ
الكتب - فقالت أخته : انك رجس ، ولا يمس الا المطهرون . فقم فأغتسل أو توضأ ..
فقام فتوضأ .. ثم أخذ الكتاب فقرأ :

" طه ... حتى أتى الى قوله تعالى : " اننى أنا الله لا إله الا أنا فاعبدنى وأقم
الصلاة لذكري " (طه : ١ - ١٤) .

(١) ابن الأثير : الكامل ٥٧/٢ .
x هى فاطمة بنت الخطاب (رضى الله عنه)
x x هبوس سعيد بن زيد (رضى الله عنه)

فقال عمر : د لونی علی محمد - صلی اللہ علیہ وسلم - ! ۰۰۰ (١)

لقد تجسس عمر علی بیت أخته - أقرب الناس الیه - !

ودخله دون موعد أو استئذان أو سلام ! ! وحاسبهم علی همساتهم - ما حسده

الهیضة التي سمعتها عندكم ؟

وطش بختته أمام أخته ! ! وحين قامت أخته لتحمیه عن زوجها الذي لم یقترف ذنباً ،

لم یتمالك عمر نفسه ۰۰ وماکان منه الا أن ضرب أخته ۰۰ ففجها ! !

فهل بعد هذه الجاهلية من جاهلية ؟

(١) انظر قصة اسلام عمر فی :

الزهری : المغازی النبویة ص ٤٧

والبستی : الثقات ٧٤ / ١

وابن کثیر : المختصر ١١٨ / ١

وابن حجر : الاصابة ٣٨١ / ٤

والمصامی : سبط النجم العوالی ٣٦٢ / ٢

وابن الاثیر : الکامل ٥٨ / ٢

والطبری : الریاض النضرة ١٠ / ٢ - ٢٢

وابن الجوزی : تاریخ عربین الخطاب ص ١٠ و ١١

ملحوظة :

مما یشیر الیه : ما صنعه ناشر کتاب ابن الجوزی (تاریخ ص) حيث کتب

علی غلاف الکتاب : (تاریخ عربین الخطاب) لِحاکم ديمقراطي فی الاسلام) !

وکان موضوعة الديمقراطية وجدت منذ الملائكة ابن الجوزی (ت ٦٧٢ هـ) !

بالاضافة الی هذه الخيانة الملکیة ، فان هذا یومی الی الظلمن نفسی

حکم رسول الله - صلی الله علیه وسلم - وحکم أبی بکر الصديق - رضي الله

عنه - لأنهما لم یحكما بالک ديمقراطية مثل عمر !

واخشی أن یأتي الیوم الذي تكون فیہ الدکتاتورية هی موضوعة المصروع ، فیقال :

عمر أول دکتاتور فی الاسلام ! ! كما قیل عن الصحابی الجلیل أبی ذر الثفاری

حياته في الاسلام : عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال :

(سمع عمر بكاء صبي . . فتوجه نحوه و قال لها : اتقى الله وأحسنى الى صبيك .
ثم عاد الى مكانه . . فسمع بكاء الطفل فعاد الى أمه ، فقال لها مثل ذلك . ثم
عاد الى مكانه فلما كان من آخر الليل سمع بكاء . فأتى أمه فقال لها : ويحك ! انك
أم سوء ! أرى ابنك لا يقر منذ الليلة ! فقالت : يا عبد الله ! قد أبرمتني منذ الليلة . .
انى أريخه عن الفطام فيأبى ! قال : ولم ؟ قالت : لأن عمر لا يفرض الا للفطام !
قال : وم كم له ؟ قالت : كذا وكذا . . قال : ويحك ! لاتعجله .

فصلى الفجر وما يستبين الناس قراحه من غلبة البكاء ! فلما سلم قال : يا بومسا
لمصر ! كم قتل من أولاد المسلمين ! ثم أمر مناديا فنادى : ان لاتعجلوا صبيانكم
عن الفطام . . فاننا نفرض لكل مولود في الاسلام . وكتب بذلك الى الآفاق (١)
يا لله ! كيف أثرت عقيدة الايمان في نفس عمر فجعلتها شفاقة ظاهرة نقيصة !
لم يرحم في الجائفة أمة أو أختا أو اختنا . . ولكنه في الاسلام يبكى لبكاء طفل
رضيع ! اى والله ! يبكى حتى ما يستبين الناس قراحه في الصلاة ! لقد بكى
قلبه قبل أن تدمع عيناه وتبلل الدموع لحيته ! ولماذا لا يبكى وهو القائل :
(لو أن سخلة ذهبت بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة) ! (٢)

■ رضى الله عنه - بأنه أول اشتراكى في الاسلام !

الهينة : الصوت الخفى .

وصبا يصبو : اذا خرج عن دينه

(١) ابن الجوزى : صفة الصفوة ٢٨٢ / ١ ، والشفاء ص ١٨١

والماوردى : الأحكام السلطانية ص ٢٠٢

(٢) وفى رواية (لو مات جدى بطف العراق . . .) وطف العراق : اسم موضع

بناحية الكوفة .

انظر : ابن الأزرق : بدائع السلك ١٠٢ / ١

خرج عمر بمسرى المدينة ذات يوم . . . فمر بدار رجل من المسلمين . فوافقه قائما يصلى
فوقف يستمع قراءته . فقرا : * والطور . . . حتى بلغ : ان عذاب ربك لواقع ، ما له
من دافع * (الطور : ١ - ٨)

فقال عمر : قسم ورب الكعبة حق !

ونزل عن حماره ، واستند الى حائط . . . فمكث مليا . . . ثم رجع الى منزله . . . فمكث
شهرًا يعود الناس . . . لا يدرون ما مرضه ! (١)

وعن ابن عمر قال : (صليت خلف عمر فسمعت خنثيه من وراء ثلاثة صفوف) (٢) !!
ولنستمع الآن لشهيد الاسلام سيد قطب . . . طيب الله ثراه . . . ليعحدثنا عن بكاء عمر
ـ رضى الله عنه ـ بعد استماعه لهذه الآيات :

(. . . وعمر ـ رضى الله عنه ـ سمع السورة قبل ذلك ، وقرأها صلى بها ، فقد
كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلى بها المغرب * . . . وعمر يحلم ويتأسى
ولكنها فى تلك الليلة صادفت منه قلبا مكشوفًا وحسا مفتوحًا ، فنفذت اليه وفعلت به
هذا الذى فعلت ، حين وصلت اليه بثقلها وخفها وحقيقتها اللدنية المباشرة . .
التي تصل القلوب فى لحظات خاصة ، فتخللها وتتمحقها فى لمسة مباشرة كهذه
اللمسة . . . تلقى فيها القلب الآية من صدرها الأول ، كما تلقاها رسول الله ـ صلى الله
عليه وسلم ـ فأطاقها لانه تهيأ لتلقيها !

= وابن الجوزى : الشفاء ص ٦١

والطبرى : الرياض النضرة ١٣٢/٢

والكتانى : نظام الحكومة النبوية ٢٦٨/١

(١) الفزالى : احياء علم الدين ١٨٤/٤

وابن رجب الحنبلى : التخوف من النار ص ٣٠

(٢) الاصبهانى : حلية الأولياء ٥٢/١

* الصابونى : صفوة التفاسير ٢٦٣/٣

أما غيره فيقع لهم شيء مما وقع لحمر ، حين تنفذ اليهم بقوة حقيقتها الأولى (١) وهكذا يفصل الايمان بالله في تهوية النفس وصقلها !

الاستملاء

ان الاستملاء الصحيح : يكون بالاعتزاز بالله تعالى ، والاعتزاز بالنبي - صلى الله عليه وسلم - ، والاعتزاز بالاسلام ، والاعتزاز بالمؤمنين والاعتزاز بالنفس . فالاعتزاز بالله سبحانه وتعالى : يكون بحب الله وطاعته وتنفيذ أوامره ونواهيـه على الوجه المطلوب . ويكون في الوقت نفسه بالكفر بالطاغوت (وهو كل ما يعبد أو يطاع من دون الله ، من انسان أو حيوان أو نبات أو جماد أو مخلوق ..) . والاعتزاز بالرسول - صلى الله عليه وسلم - : يكون بحبه والعمل بما جاء به من عند الله ، والسير على نهجه القويم ، واتخاذ قدوة ومثلاً أعلى " قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني - يحبهكم الله ويغفر لكم ذنوبكم " (آل عمران : ٣١)

والاعتزاز بالاسلام : يكون بالاستسلام التام والانقياد الكامل لما جاء به الدين الحنيف ، وتحكيم شريعة الله - قولاً وعلاً - في كل زمان ومكان ومجال . ويكون ايضاً : بالاعتقاد بأن من ابتغى الهدى والعزة في غيره أضله الله وأذله في الدارين ومن " يتبع غير سبيل المؤمنين عولسه ما تولى ونصله جهنم " (النساء : ١١٥) . والاعتزاز بالمؤمنين : يكون بحبهم وموالاتهم ومناصرتهم وايتبارهم ومناصحتهم والتعامل معهم بأخلاق (لا اله الا الله) ، والدالة عليهم والمزة على أعدائهم . ويكون هذا الاعتزاز ايضاً : بالشعور بأن أى مسلم مرتبط - عقيدة فحسب - بقافلة المؤمنين الممتدة من آدم (عليه الصلاة والسلام) الى آخر مؤمن حين يرث الله الأرض ومن عليها .

والاعتزاز بالنفس : يكون بايمانها بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر

خيره وشره .

ويكون باقامتها شعائر الله ، من صلاة وصيام وزكاة وحج وجهاد ويكون

بمجاهدتها الشيطان والهوى حتى تصل الى مرتبة الاحسان والتقوى .

ويكون بتحويلها من نفس امارة بسوء ونفس لوامة الى نفس مطمئنة !

ان من ثمرات الايمان بالله ومن آثاره في النفس البشرية : الاستعلاء : أى

التحرر من الطواغيت الناطقة والصامتة المادية والمعنوية ! والتحرر من كل سيطرة

توجب المرء عن الله رب العالمين .

والتحرر من كل عبودية لغير الله ومن كل دين غير الاسلام والتحرر من

المنهيات والشهوات ، ومن كل القيم الزائفة والأعراف السائدة والمعادن المستحكمة

— اذا تعارضت مع العقيدة — والتحرر من الظلم والذل والمعصية والجهنم والدناءة

. والتحرر من التكبر والبطش والفحش والتسلط والاستمهاد والعدوان والفساد

والخيانة وسواىء الاخلاق

التحرر من كل ما ذكرناه والانتقال من ذل المعصية الى عز الطاعة ، ومن

جور الاديان الى عدل الاسلام ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة !

وسنرى بعد قليل — باذن الله — كيف يرى هذا الايمان رجالا رفعوا أعناقهم عاليا

فلم تنحن لغير الله ، وكيف استملى هؤلاء البررة على متاح الأرض فلم يغمسوا —

كثيرهم — فى الشهوات والملذات ، وكيف حطموا الطواغيت ومرغوها بالتراب ومع

ذلك : ازدادوا تواضعا لله ، وزهدا وتعشفا فى الحياة ، " يمشون على الأرض هونا

واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما " (الفرقان : ٦٣)

ما رأى العالم أرحم ولا أعدل ولا أكرم ولا أصدق ولا أبر — بعد الأنبياء — عليهم

السلام والسلام — منهم !

ولا عجب في ذلك فقد كانوا رهبانا في الليل فرصانا بالنهار ، (أشداء على الكفار
رحماً بينهم تراهم سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من
أثر السجود) (الفتح : ٢٩) .

اجتمع أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوماً فقالوا : والله ما سمعت
قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجل يسمعهموه ؟ فقال عبد الله بن مسعود :
أنا . قالوا : أنا نخشاهم عليك . إنما نريد رجلاً له شيرة ، يضمنونه من القوم أن
أرادوه . قال : دعوني فإن الله سينصني . ففدا ابن مسعود حتى أتى المقام
في الضحى — وقريش في انديتها ، حتى قام عند المقلم ثم قال : يسم الله الرحمن
الرحيم — رافعا بها صوته (الرحمن علم القرآن) . ثم استقبلها بقروها . .
وتأملوه ، فجملوا يقولون : ما قال ابن أم عبد ؟ ثم قالوا : أنه لعلوا بعض ما جاء
به محمداً ! فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء
الله أن يبلغ . . ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه ! . فقالوا : هذا الذي
خشينا عليك ! فقال : ما كان أهدأ الله أهدأ عليّ منهم الآن ، ولكن شئت لأغاد بينهم
بمثلها غدا ! قالوا : حسبك ، قد أسمعتهم ما يكرهون . (١)

■ ■ ■

الله أكبر ! إنها نفحة من نفحات الإيمان بالله هبت على قلب عبد الله بن مسعود ،
(رضى الله عنه) ذاك الذي كان يدهى (روى الغنى) (٢) ، فجعلته مستمليا على

(١) الكلاهی : الاكتفاء ٣١٣/١ ، وابن اسحاق ، السيرة ص ١٦٦ ، وابن الاثير
الكامل ٥٧٢/٢ .

(٢) انظر قول أبي جهل لابن مسعود (يارومى الغنى) ، حين صعد ابن مسعود
على صدره ليجتر رأسه في معركة بدر . اليافعى : مرآة الجنان ٨٨/١ ، والذهبي :
التاريخ الكبير ١٠١/١ ، وابن الاثير : الكامل ٨٨/٢ ، والبصري : الثقات
١٢٢/١ .

صناديد قريش - لأزهم أعداء الله - فيلنفسهم كلام الله في عقر دارهم ،
مستملين على آلام الجسد ، فلا بد دون الجنة من الصبر على الابتلاء ! إن رويحي
الغم - هذا ما كانت تصفه به الجاهلية - أصبح في تاريخ الإسلام صاحب أكبر
مدرسة فقهية عرفتها البشرية ، وكان من ثمرتها فقه الامام الأعظم أبي حنيفة النعمان !
خرج أبو ذر الغفاري (رضي الله عنه) - بعد أن أسلم - حتى أتى المسجد ، فنادى
بأعلى صوته (أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) !

فثار القوم .. فضربوه حتى أضجعوه ! فأتى المهاجس فأكب عليه فقال : ويلكم !
الستم تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجاركم إلى الشام عليهم ؟ فأنقذه منهم . ثم
عاد من الفسك بمثلها .. وثاروا إليه فضربوه ! فأكب المهاجس عليه فأنقذه . (١)

■ ■ ■

ما أعظم أثر الإيمان بالله حين يستقر في نفوس معتنقيه !
فها هو أبو ذر يقول بعد أن أسلم مباشرة : (والذي نفسي بيده لأصرخن بهما
بين ظهرائيهما) ! مع تيقنه بنتيجة عمله هذا ، فقام وأعلن إسلامه أمام الملأ !
فما الذي دفع هذا الصحابي لأن يستغذب الاضطهاد في سبيل الله ولم يسلم
الآنذا لحظات ؟ والجواب معروف : أنها عهدة الإيمان بالله تهت في قلب
صاحبها شجاعة نادرة واستهانة بالموت ، وتجميل المؤمن يشمر بآثانه وحده - ولا أحد
غيره - المكلف بحمل هذه العقيدة ونشرها بين الناس ، فلا ينتظر أن يقوم الآخرون
بأداء هذا الواجب واسقاطه عنه .
كان بإمكانه - رضي الله عنه - أن يقول لنفسه ان مصلحة الدعوة تتطلب أن أنجو
من الأذى في البداية لنشر العقيدة في بيئة أخرى صالحة ! ولكن أبان رجاءه
بالدعوة ، وأعلن أمام الأشهاد شهادة التوحيد ، ولوكن بعد ذلك ما يكون ! وهكذا
يفعل الإيمان بالله في تربية النفس على الاستملاء .

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ٣ / ٣٤ .

وابن عبد البر : الاستيعاب ٤ / ٦٣ .

وابن حجر : الإصابة ٤ / ٦٣ .

... فدعاهم النجاشي • فلما حضروا صاح جعفر بن أبي طالب (رضى الله عنه)

بالباب : يستأذن عليك حزب الله !

فقال النجاشي : مروا هذا الصائح فليهد كلامه • ففعل • قال : نعم فليدخلوا

بإذن الله وذمته • فدخلوا ولم يسجدوا له •

فقال : ما منكم أن تسجدوا لى ؟

قالوا : إنما نسجد لله الذى خلقك وملكك ! وإنما كانت تلك التحية لنا ونحن

نمجد الأوثان ^(١) .. !!

ان مدرسة دار الأرقم بن أبي الأرقم - التى يخل الزمان بأن يجود بمثلها -

بقيادة الرحمة المهداة الى العالمين (صلى الله عليه وسلم) • تنادينا عبر هذا

الجدار الزمنى الطويل : (نحن قوم أهدنا الله بالاسلام وأهد الاسلام بنا • ولو ابتغينا

العزة بغيره أدلنا الله) • وتملأنا ألا نتطلع لغير السماء ! فما دامت الحياة

والموت بيد الله تعالى وحده • وما دام الرزق من عند الله وحده • وما دام كل

شئ يجرى بقضاه • وقد ر... فلانامت أعين الجبناء الذين يعطون ولا هم لغير الله !

ها هو ذا جعفر (رضى الله عنه) يملأها صريحة مدوية • فى أدق الظروف

وأخرجها • بدون خوف أو مواربة • ومن غير أن يلتمس الفتاوى والمناذير ! (لانسجد

الا لله) •

اننا بحاجة الى مثل تلك السجادات التى سجدها أولئك الرعيل الأول لسرب

العالمين • فملأت كيانتهم عظمة الله • وانتزعت من أعماق نفوسهم كل مخوف وعبودية

لأى بشر !

(١) ابن الزبير : المنازى النبوية ص ١١٣ •

والأصهبائى : حلية الأولياء ١/ ١١٤ •

والبيهقي : التفات ١/ ٦٤ •

حبيب الله :

من آثار الإيمان بالله • أن يحب المرء خالقه — لما يفتدوه من النعم —
حبا يملك عليه كل مشاعره وأحاسيسه وخواطره ، فيجعل أعماله — السرية والعلنية —
وحياته كلها لله رب العالمين •

ومن أحب الله تعالى : فإنه لا يبالي بنفسه أو بأهل أو بمال أو بهجاء أو بساى
مشفعة دنيوية ، إذا شمر بأن نعمة الإيمان ستعطي منه •

وهذا الحب : يرمى النفس على الجهر بكلمة الحق — أمام أى بشر — ولو أصبحت
حياته — أو رزقه — فى خطر ! لأنه مشتاق للعيش فى جناب من أحب •

وهو الحب الخالص لله عز وجل لا شريك له ، لا يحيط العمل : " قل ان صلاتى
وتسكى وسحياى ومما تى لله رب العالمين ، لا شريك له " (الأنعام : ١٦٢ و ١٦٣) •

وهو الحب : الذى يوقى الى العمل الصالح ، فلم يكن حب الله — يوما — مجرد
مشاعر طيبة فى القلب ، لا ينبثق منها سلوك صحيح فى الحياة !

قال تعالى : " قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم " .
(آل عمران : ٣١) •

وحب الله هو الذى يجعل المسلم يختار رضى الله على أى متاع دنيوى ، لأنه
يعلم أن ما عند الله خير وأبقى •

ومن صفات الذين يحبون الله تعالى ويحبهم الله أنهم : " أذلة على المؤمنين
أهزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم " (المائدة : ٥٤) •

ولله در القائل :

عذابه فىك عذاب	ومده فىك قرب
وأنت عندى كروحى	يل أنت منها أحسب
حببى من الحب أنى	لما تحب أحسب !

ويطير قصير النظر فرحا اذا سمع الحديث : " قيل للنبي صلى الله عليه وسلم :

الرجل يحب القوم ولما يلحن بهم ! قال : المرء مع من أحب " (١)

ومظن هذا أن مجرد الحب — بدون العمل بمقتضياته — يوصل الى الجنسة !

وهذا هو ذا الحسن البصري — رحمه الله — يبين لنا المقصود بهذا الحديث : (ابن

آدم ! لا تفتربقول (المرء مع من أحب) . انه من أحب قوما : اتبع آثارهم . ولن

تلحق بالابرار حتى تتبع آثارهم . وتأخذ بهديهم . وتتقدي بسنتهم . وتصبح وتمسى

وانت على منهاجهم . حريصا أن تكون منهم . فتسلك سبيلهم وتأخذ طريقهم . وان كنت

مقصرا في العمل فانما ملاك الامر : أن تكون على استقامة . أما رأيت اليهود والنصارى

وأهل الأهواء الردية . يهجون أنبياءهم وليسوا مصهم ! لأنهم خالفوهم في القول

والعمل وسلوكوا غير طريقهم . فصار مورد هم الى النار) (٢)

ويقول الامام ابن تيمية : (فمن كان محبا لله تعالى لزم أن يتبع الرسول (صلى

الله عليه وسلم) . فيصدقه فيما أخبر . ويطيعه فيما أمر . ويتأسى به فيما فعل) . (٣)

يقول (صلى الله عليه وسلم) : " لا يجد أحد حلاوة الايمان : حتى يحسب

المرء لا يحبه الا لله . وحتى أن يقذف في النار أحب اليه من أن يرجع الى الكفر . بمد

اذ أنقذه الله . وحتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما " (٤)

قال الامام النووي : (معنى حلاوة الايمان : استلذذ الطاعات وتحمل المشاق

وايثار ذلك على أغراض الدنيا) (٥)

(١) البخارى : الادب المفرد ص ٩٧ ، واللؤلؤ : ٢٠٦/٣

(٢) المغاربي : شرح ثلاثيات أحمد ٢٨٠/١

(٣) ابن تيمية : المجلد ص ١٠٤

(٤) البخارى : الجامع الصحيح ٨٣/٧

(٥) عبد الرحمن آل الشيخ : فتح المجيد ص ٢٩٥ ، ٢٩٦

وقال يحيى بن معاذ : حقيقة الحب في الله ألا ينقص بالجفاء ولا يزيد بالبر (١) .
ومن ثمرات هذا الحب : أن الله عز وجل يحب صاحبه ، فتحبه الملائكة وعباد الله
الصالحين . من أبي هريرة (رضى الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم)
قال : ((إذا أحب الله عبدا نادى جبريل : ان الله يحب فلانا فأحببه . فيحبه
جبريل . فينادى جبريل في أهل السماء : ان الله يحب فلانا فأحبوه . فيحبه
أهل السماء . ثم يوضع له القبول في أهل الأرض)) (٢) .

وحب لله أيضا : يؤدى الى استكمال الايمان . يقول (صلى الله عليه وسلم) :
من أحب الله وأبغض له وأعطى لله ومنح لله فقد استكمل الايمان (٣) .
وصدق القائل :

تمضى الاله وأنت تزعم حبه هذا لعمرى فى القياس هنيئ
لو كان حبه صادقا لأطمئنته ان الحب لمن يحب مطيع !

■ ■ ■

وفيما يأتى أمثلة ناصحة على حب الرجل الأول لله عز وجل ، ونقد يهمهم رضوان
الله على الأنفس والأموال والأهل والمتاع ونذكرها لنزداد ايمانا بأثر عقيدة التوحيد
فى تربية النفس الانسانية !

-
- (١) المصنف ونفسه ص ٢٩٥ و ٢٩٦ .
(٢) البخارى : الجامع الصحيح ٨٣ / ٢ .
(٣) الألبانى : الأحاديث الصحيحة ١١١٢ / ٤ .

الح أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 فى الظهور ! وكان الصحابة - رضى الله عنهم - تسموا ثلاثين رجلا فقال رسول الله -
 (صلى الله عليه وسلم) : يا أبا بكر ! انا قلمس ! فلم يزل أبو بكر يلح عليه
 حتى استجاب له •

وتفرق المسلمون فى نواحي المسجد •• كل رجل فى عشيرته •• وقام أبو بكر
 فى الناس خطيبا ، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) جالس ، فكان أول خطيب
 دعا الى الله تعالى والى رسوله (صلى الله عليه وسلم) وثار المشركون على
 أبي بكر وعلى المسلمين •• !

فضربوهم فى نواحي المسجد ضربا شديدا •• ووطئ أبو بكر ضربا شديدا ••
 ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة • فجعل يضربه بنصليين مخصوفين وحرفهما لوجهه ••
 ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه !

وجاءت بنو تميم تتعاضد •• فأجلوا المشركين عن أبي بكر • وحملوه فى ثوب
 حتى أدخلوه منزله - وهم لا يشكون فى موته - ثم رجعت بنو تميم فدخلوا المسجد
 وقالوا : والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة !

فوجهوا الى أبي بكر •• فجعل أبو قحافة - والد الصديق - وبنو تميم يكلمونه
 حتى أجاب ••

فتكلم آخر النهار فقال :

(ما فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟) (١)

(١) الطبرى : الرياض النضرية ٨٥ / ١ •

وابن كثير : البداية والنهاية ٣ / ٢٠ ، والسيرة النبوية ١ / ٤٣٩ •

والكاسخه لوى : حياة الصحابة ١ / ٢٢٣

والا طرا بلسى : من حديث خيثمة ص ١٢٦ •

ان الأمة التى ينتسب لها الصديق - رضى الله عنه - لى حقا خير أمة ..
فجزى الله نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم خير الجزاء الذى ربي لنا هذه القومية
من البشر يا وجزى الله أبا بكر خيرا الذى تربى على الاسلام !

ان أبا بكر كان أمة ..

فلا عجب اذا رجع ايمانه على ايمان الأمة .. !
ها هو ذا أبو بكر - الحليم اللين القوي - يطلب من قائد المصطفى -
صلوات الله وسلامه عليه - ولح عليه ويتوسل اليه ويرجوه :
فما الذى يريد من ذلك ؟

هل فكر بنفسه أو بأهله أو بماله أو بمنفعمه - صغيرة أو كبيرة - وهو يزيد فى
الحاجة ويكاد أن يضايق صاحبه - صلى الله عليه وسلم - الذى يحبه أكثر من نفسه
التي بين جنبيه ؟ ؟ لا ! لا !

ان الذى ملك عليه قلبه وأحاسيسه شئ واحد هو :

حب الله ورسوله .. والدعوة الى الاسلام !

ولم يكن لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - يد من الاستجابة لخليله الصديق ،
أقرب الناس الى قلبه وأحبهم الى نفسه !

وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع صحابته الى المسجد .. ففى
مهرجان لم ترقهش مثله !

كان أول ندوة عامة تقام للدعوة الى الله منذ أن رقت أجنحة جبريل (عليه السلام)
على غبار حراء - حيث جاء الأمين بالكلام البين من رب العالمين ليكون خاتمة
النبيين من المنذرين - وكان أول المتكلمين - وآخرهم - الصديق الداعية
لأن أعداء الله - وهذه طبيعتهم فى كل زمان ومكان - لا يسمحون للحق أن يقول
كلمته ، لكلا يتزلزل كيانهم فتنتهى زعامتهم المنتفضة الفارغة الى غير رجعة ..

ولاشك انهم عروشهم فيسقطوا عن كراسى الحكم .. ولعلنا تحطم تيجانهم
التي تكبروا على عباد الله بها !

قام أبو بكر الصديق - رض الله عنه - خطيبا يدعو الى الله بالحكمة والموعظة
الحسنة في أكبر تجمع لقرهش !

ولم ينتظر أن يأتوا هم ليستمعوا منه - لأنهم لن يأتوا فسي الفالب - بل ذهب
اليهم وأسمعهم ما يريد في قردارهم .. أسمعهم صوت الاسلام العظيم : صوت الحق
والقوة والحريية . انه لابد للدعوة اذا أرادت النجاح في الدارين من مجموعة
رائدة باعت نفسها لله تعالى .. لتكون نماذج خيئة على درب السائرين الى الله
يقتدي بها الناس فيها بعد . وبعد أن تجمع المشركون وعرفوا حقيقة الموقف جسمن
جنونهم ! فخافوا - وهذه طبيعتهم دائما - أن ينتشر الخبر ويسمع القوم صوت
المنطق فتستجيب فطرتهم ونزول ما عليها من ران ! صرعة خاطفة .. ودون وعي ..
قام المشركون يضربون بكل ما أوتوا من قوة .. هذه المجموعة التي باعت نفسها لله
والتي تريد اسعادهم في الدارين !

ولم يفر الصحابة - الذين حضروا وتفرقوا في أنحاء المسجد - حينما دقت ساعة
الخطر .. لينجوا بأنفسهم ويتركوا قادتهم للتمذيب ! بل آثروا أن يواجهوا
الخطر مجتمعين ، فهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد
بالحمى والسهر .

وأكثر من أصعب في هذه الحادثة هو من كان يلح بشدة في الخروج للدعوة
الى الله ، انه الصديق الداعية رضى الله عنه !

والآن ! هما لنفتح أمتنا وأذاننا جيدا لنأمل بقيمة ما حدث ، قبل أن ينتهي
هذا المشهد العجيب الراقع ..

• فتكلم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؟ •

هنوئاً لأبى بكر — رضى الله عنه — هذا الحب فى الله الذى ملك عليه جميع
أحاسيسه ، فجعله لا يهتم بجراحاته التى تشعب دماً •• ولا يلقى بالاً لمن حول نفسه
من قومه — الذين أثارته المصيبة القبلية فاستفاد منها فى دفاعهم عنه — وقد
هرعوا للاطمئنان عليه ، ولسان حاله يقول — حين أجاب بخلاف ما يسألون — : يا قوم !
أنا فى واد وأنتم فى واد •• والحمد لله الذى عافانى مما ابتلاكم به ! !

ان الرحمة التى لانتحب راعيها — فى السر والعلن — والراعى الذى لا يحسب
رحمته — فى الظاهر والباطن — لن يحطوا النصر الذى يظلمون •• ولو كانوا
أكثر أموالاً وسلاحاً ونفسيراً !

لقد غرس محمد بن عبد الله (عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم)
فى نفوس أتباعه من تربوا على عقيدة التوحيد ، أروع معانى الحب فى الله ولله •
وأصحت صيرتهم — رضوان الله عليهم — أحدى متممة يتناقلها الركبان فى كل
مكان وأوان ، واقتدى بهذه السيرة المطهرة — على مر المصور وكر الدهور — أناس
آمنوا بالله وحده ، بها بالاسلام ديناً ومحمد (صلى الله عليه وسلم) قدوة ونبيها
ورسولاً •

ولله در القائل :

أسرى قرش مسلماً فى غزوة	فرضى بلا وجل الى الصياف
سأله : هل يرضيك أنك مسلم	ولك النبى قدى من الاتلاف ؟
فأجاب : كلا ! لاسلمت من الردى	وصاب أنف محمد برعاف !

وهكذا يفعل الايمان بالله وهكذا يفعل الحب فى الله والله فى تربية النفس

البشرية !

أسما بنت أبي بكر الصديق (رضى الله عنهما) :

سماها النبي (صلى الله عليه وسلم) ذات النطاقين : لأنها هيأت له حينما أراد الهجرة إلى المدينة سفره • فاحتاجت إلى ما تشدها به • فشقت خمارها نصفين • • فشدت بنصفه السفر • واتخذت النصف الآخر منطفا • • فحشورها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنطاقين في الجنة !^(١)

ان التربية الاسلامية تعنى بكل أفراد المجتمع • • فلا تقتصر على الرجال فتهمل النساء • أو الأطفال فتهمل الشيوخ • أو الأضياف فتهمل الفقراء • أو الرعية فتهمل الرعاي • أو الأحرار فتهمل المبيد • • •

وأسما - رضى الله عنها - أنموذج حتى ينبغي أن تقتدى به نساؤنا وناتسنا اليوم • هذه الفتاة - التي لم تبلغ الحلم - تضرب أروع الأمثلة في حب الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وفي الحكمة والتدبير اذا أحلوا لك الليل واشتدت الأمور وضائق الأرض على النفوس بما رحمت !

كان بإمكانها - رضى الله عنها - أن تبقى جالسة في خدرها • نظرا لضعفها وصبرها وأتوثقها ((أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين)) (الزهري : ١٨) فلا حرج عليها لو لم تقدم شيئا في سبيل الدعوة الاسلامية •

ولكنها - بدافع من إيمانها - مضت مسافات بعيدة • • إلى غار ثور - الذي لا يتسلقه الا أولو القوة من الرجال - • وهجرت مضجعا ثلاث ليال - مع سيدة النعاس والتناقل إلى القراش - وقامت نهارا بدور الاستطلاع • • فحملت الأخبار والزاد إلى من كان الله سبحانه وتعالى ثالثهما • وشقت نطاقها نصفين • • وشمرت في الجنة بنطاقين !

(١) انظر الزهري : المفازي النبوية ص ٩٩ •

وابن سيد الناس : عيون الأثر ١ / ١٨٤ •

وابن الأثير : الكامل ٢ / ٢٣ •

وابن حجر : الإصابة ٤ / ٢٢٩ • وابن عبد البر : الاستيعاب ٤ / ٢٣٣ •

ان الجاهلية الماصرة تقدم لنا — عبر وسائل الاعلام — مجموعة من نساء التمثيل والفناء والرقص على أنها كواكب وزهرات و . . .

أما الاسلام فانه يقدم للمالعين نماذج ضيئة كثيرة من بونها أسما — رضى الله عنها — وشتان بين الخفافيش — التي أعماها النهار بضوئه — فى الأرض • وبين الثريا فى السماء !!

كان عثمان بن مظعون (رضى الله عنه) قد دخل فى جوار الوليد بن المغيرة ثم أبت عليه غيرته ذلك فرد عليه جواره ، وقال : أحببت ألا أستجير بخير الله !

ودار بينه وبين أحد المشركين حديث أغضب المشرك ، فقام اليه ولطم عنقه فخصوها — جعلها مائلة للسواد — والوليد بن المغيرة قريب يرى ذلك • فقال : أما والله يا ابن أخى ان كانت هناك ما أصابها لغنية ، لقد كنت فى ذمة منيعة •

فقال عثمان : بل والله ان عني الصحبة لفقيرة الى مثل ما أصاب اختيها فى الله ! واني لقي جوار من هو أحر منك وأقدر • وأنشد :

فان تك عمنى فى رضا الرب نالها	يدا ملحد فى الدين ليس يمهتد
فقد عوض الرحمن منها ثوابه	ومن يرزقه الرحمن يا قوم يسمد
فانى وان قلت : غوى مضلل	سفيه • على دين الرسول محمد
أريد بذاك الله والحق دينها	على رغم من يمشى علينا ويمتد (١)

❖ ❖ ❖

عن سعد بن أبى وقاص (رضى الله عنه) قال :

قدمت أنا وعبد الله بن جحش (رضى الله عنه) صبيحة يوم أحد تمنى • فقلت : اللهم لقنى من المشركين رجلا عظيما كفه • شديدا حرد • أى غظه وغضبه — فيقاتلنى فأقتله • فأخذ سله •

(١) ابن المماد : شذرات الذهب ١٠ / ١ • والأصهبانى : حلية الأولياء ١٠٤ / ١ •
وابن الجوزى : صفة الصفوة ٤٥٢ / ١ • وابن حجر : الإصابة ٤٦٤ / ٢ •
والندوى : السيرة النبوية ص ٩١ •

فقال عبد الله بن جحش : اللهم لقني من المشركين رجلا عظيما كفره ، شديدا حردا ، فأقتله فهقتلني وصلبني ، ثم يجدع أنفي وأذني ! فإذا لقيتك فقلست : يا عبد الله بن جحش فيم جدعت ؟ فأقول : فيك ياربي ! قال سعد : فوالله لقد رأيته آخر ذلك النهار وقد قتل . وان أنفه وأذنه لفي خيط واحد بيد رجل من المشركين (١) !

* * *

أصيب من المسلمين سبعة عمن في يوم التمهيم !
فكان الرجل يلتقي بالرجل بعد ذلك فيقول له : ما الذي أصابك في عهسك ؟
فيقول الآخر : لم تقول مصيبة ؟ بل قل : منحة من الله عز وجل ! (٢)

(١) الذهبى : التاريخ ٢٠١/١

وابن الزبير : المغازى النبوية ص ١٠٦

وابن الأثير : الكامل ٥٣/٢

وابن المبارك : الجهاد ص ٧٣

وابن اسحق : السيرة ص ١٥٨

وابن حنم : جوامع السيرة ص ١٦٧

وابن الجوزى : صفة الصفوة ٣٨٦/١

والأصبهاني : حلية الأولياء ١٠٩/١

(٢) ابن أشتم : الفتح ٢٦٥/١

* أحد أيام معركة اليرموك *

بلغ مصعب بن عمير (رضى الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

يدعو إلى الإسلام في دار أرقم بن أبي الأرقم • فدخل عليه فأسلم •

وكنم إسلامه خوفاً من أمه وقومه ، فكلن يختلف إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)

سراً • وصهر به عثمان بن أبي طلحة صلى ، فأخبر أمه وقومه •

فأخذوه وجسوه ، فلم يزل محبوساً حتى خرج إلى أرض الحبشة — في الهجرة

الأولى — •

وكان مصعب — قبل إسلامه — فتي مكة شابها وجمالاً وثبها ، وكان أبواه يحيان به ،

ويكسوانه أحسن ما يكون من الثياب • وكان أظفر أهل مكة • وليس الخضرى من النعال •

فحملة حب اللتمالي على مفارقة ذلك • فكان يلبس بالدينه المنورة اهلب كبش !

ورأى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما بمصعب فبكى ! للذى كان فهمه

من النعمة ولما صار إليه ! وقال : (مارأيت بمكة أحسن لمة ولا أرق حلة ولا أنعم

نعمة من مصعب بن عمير) •

وفى معركة أحد : استشهد مصعب ، ولم يكن له إلا نمره ، إذا غطوا بها رأسه

خرجت رجلاه ، وإذا غطوا رجله خرج رأسه ! فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

غطوا بها رأسه واجعلوا على رجله من الأذخر ، ثم دعا له وتلا هذه الآية :

” من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ••• تهديلاً ” (الأحزاب : ٢٣)

ثم قال (صلى الله عليه وسلم) : ((أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة)) • (١)

(١) انظر تفسير القرطبي ١٤ / ١٥٩ و ١٦٠ •

وابن الجارود : المنتقى من السنن ص ١٨٥ •

وابن المبارك : الجهاد ص ٨٣ •

وابن حجر : الإصابة ٣ / ٤٢١ •

وابن عبد البر : الاستيعاب ٣ / ٤٧٠ •

والياقنى : مرآة الجنان ١ / ٨ •

والأصبهاني : حلية الأولياء ١ / ١٠٨ •

وابن الجوزى : صفة الصفوة ١ / ٣٩٣ •

التقوى :

تقوى الله تعالى : هي أن يضع المسلم بينه وبين غضب الله وعقابه حاجزاً
وذلك باتباع أوامره واجتناب ما نهى عنه .

والنقوى : هي وصية الله عز وجل لجميع عباده . في كل زمان ومكان ومجال .
قال تعالى : " ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله " .
(النساء : ١٣١) .

والتقوى أيضاً : سفينة النجاة إلى شاطئ الأمان والسلامة ، وهي مطلوبة من
الفرد والمجتمع والدولة ، لتكون الأمة مسلمة بحق .
وقد أمر الله عباده بها بقوله : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته
ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون " (آل عمران : ١٠٢)

وتقوى الله : تؤدي إلى دخول الجنة . . وإلى سلام الملائكة على أصحابها
قال تعالى : " وسوق الذين اتقوا بهم إلى الجنة زمرا ، حتى إذا جاؤوها وفتحت
أبوابها وقال لهم خزنتها : سلام عليكم طيبة فادخلوها خالدين " (الزمر : ٧٣)
وتقوى الله : تجعل من ضمير المسلم حارساً أميناً ، فإذا هم بالمعصية تذكر
أن من يعلم السر وأخفى مطلع عليه ، فيحجم عن ارتكابها .
وإذا أغواه الشيطان واقترب المعصية ، فإن التقوى تجعله يشعر بأنه يحمل حملاً
كالجبال ، ولا يهين له بال إلا إذا استغفر الله ، وندم بشدة على ما جنت يداه ، وعقد
المنم على ألا يعود إلى الذنب مرة ثانية ، وأرجع الحقوق إلى أصحابها .
فالتقوى أثر من آثار الإيمان بالله تعالى ، تكون قصة أو ضميمة حسب قسوة
إيمان صاحبها أو ضعف إيمانه .

وها هي بعض الأمثلة من حياة الأمة المسلمة في عصورها الأولى تبين لنا كيف أثر الإيمان بالله في تربية النفس والمجتمع — بمجموع أفراد — والدولة — بوجالاتهما — على مخافة الله ومراقبته وتقواه :

انطلق نفر من أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) في سفرة سافروها ، حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم ! فلدغ سيد ذلك الحي ، فسموا له بكل شيء ، لا ينفعه شيء !

فقال بعضهم : لو أتيتهم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء . فأتوهم فقالوا : يا أيها الرهط ان سيدنا لدغ وسمهنا له بكل شيء ، لا ينفعه . فهل عند أحدكم من شيء ؟

فقال بعضهم : نعم ! والله اني لأرقى . ولكن والله لقد استغفناكم فلم تضفونا فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلاً .

فصالحوهم على قطع من الفم . فانطلق يتفل عليه صقراً ((الحمد للعرب المالمين)) فكانما نسط من عقال ، فانطلق يمشي وما به قلبه !

فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه . فقال بعضهم : اقسوا . فقال السدي رقى : لا تفعلوا حتى تأتي النبي (صلى الله عليه وسلم) فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا !

فقدموا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فذكروا له . فقال : وما يدريك أنها رقية ؟ ثم قال : قد أصبتم . اقسوا واضربوا لي معكم سهماً . فضحك رسول الله — (صلى الله عليه وسلم) (١) . (متفق عليه) .

(١) عبد الباقي : اللؤلؤ والمرجان ص ٥٢٠ .

كان على بن الحصين (رضى الله عنه) اذا توضأ اصفر لونه ! فيقولون له : ما هذا الذى يمتدك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم ؟ (١)

• لما نزلت : " ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده " (الاسراء : ٣٤) • و " ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً " (النساء : ١٠) •

انطلق من كان هذه یتیم فمزل طعامه من طعامه وشرا به من شرا به ! فجمعل يفضل له الشئ من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد ! فاشتد ذلك عليهم • • فذكروا ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فنزلت : " ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فآخوانكم والله يعلم الفساد من الصلح وليس هو ماء الله لا غتمكم ان الله عزيز حكيم " (البقرة : ٢٢٠) (٢) •

• أتى رجل الى النبي - صلى الله عليه وسلم - في المسجد فقال : احترقت ! قال : ثم ذاك ؟ قال : وقعت بامرأتى في رمضان ! فقال له : تصدق • فقال : ما عدى شئ !

فجلس • وأتاه انسان يسوق حمارة ومعه طعام الى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال : أين المحرق ؟ فقال : ها أنا ذا • قال : على أحوج منى ؟ ! ما لأهلنى طعام ! قال : فكلوه (٣) •

• قال فتى من أسلم : يا رسول الله ! انى أريد الجهاد وليس لى مال أنجهز به !

(١) الفزالي : أحياء علم الدين ١٨٤/٤ •

(٢) الحاكم : المستدرک ١٠٣/٢ •

وأبو داود : السنن ١٥٥/٣ •

(٣) اللؤلؤ والمرجان ص ٢٤٨ •

قال : اذهب الى فلان الأنصاري فانه كان قد تجهز فعرض ، فقل له : ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرئك السلام وقل له : ادفع الى ما تجهزت به . فأتاه فقال له ذلك .

فقال الأنصاري لامرأته : يا فلانة ! ادفعي اليه ما جهزتنى به ولا تحبسني منه شيئا فوالله لا تحبسي منه شيئا فيبارك الله فيه ! (١)

عن سليمان بن بريدة عن أبيه ، قال : جاء ماهر بن مالك الى النبي - (صلى الله عليه وسلم) فقال : يا رسول الله ! طهرني . فقال : وحبك ! ارجع فاستغفر الله وتب اليه . قال : فرجع غير بمهد . ثم جاء فقال : يا رسول الله ! طهرني . فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : وحبك ! ارجع فاستغفر الله وتب اليه . قال : فرجع غير بمهد . ثم جاء فقال : يا رسول الله ! طهرني . فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) مثل ذلك . حتى اذا كانت الرابعة قال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : فم أطهرك ؟ فقال : من الزنى : فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أبه جنون ؟ فأخبر أنه ليس بمجنون . فقال : أشرب خمرا ؟ فقام رجل فاستنكهه - النكسة : رائحة الفم - فلم يجد منسه . رجع خمر . قال : فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أزنيت ؟ فقال : نعم . فأمر به فرجم .

فكان الناس فيه فرقتين بين قائل يقول : لقد هلك . لقد أحاطت به خطيئته . وقائل يقول : ماتمة أفضل من ثمة ماهر ، انه جاء الى النبي (صلى الله عليه وسلم) فوضع يده في يده ثم قال اقتلني بالحجارة .

قال : فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة . ثم جاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهم جلوس فسلم ثم جلس . فقال : استغفروا لما عر بن مالك . قال : فقالوا : غفر الله لما عر بن مالك . قال : فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لقد تاب توبتة لو قسمت بين أمة لوسعتهم !

(١) البيهقي : السنن الكبرى ٢٨ / ٩ .
وابن القاسي : جمع الفوائد ٢٥ / ٢ .

قال : ثم جاءت امرأة من غلند من الأزدي فقالت : يا رسول الله ! طهرني . فقال :
 ويحك ! ارجعي فاستغفري الله رثوي اليه . فقالت : أراك تريد أن ترددني مني
 كما رددت ما عرين مالك . قال : وما ذاك ؟ قالت : إنها جعلت من الزنسي .
 فقال : أنت ؟ قالت : نعم .

فقال لها : حتى تضعي مافي بطنك . قال فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت .
 قال : فأتى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال : قد وضعت الغامدية .
 فقال : إذا لا ترجعها وتدع ولدها صغيرا ليس له من يرعاه .
 فقام رجل من الأنصار فقال : ألي رضاه ياتني الله ، قال : فرجها .
 وفي رواية أخرى : (فيقبل خالد بن الوليد بحجر فيرمى رأسها فتتفج الدم
 على وجه خالد ، فسبها . فسمع نبي الله سبه أياها . فقال : مهلا يا خالد ! فوالذي
 نفسي بيده ! لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له .
 ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت (١) .



لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الأقباض . أقبل رجل يحق معه قد فمه
 إلى صاحب الأقباض . فقال — والذين معه — : مارأينا مثل هذا قط ! ما يعد له
 ما عندنا ولا يقاربه !

(١) وفي رواية : (لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعمين من أهل المدينة لوسعتهم .
 وهل وجدت توبة أفضل من أن جلالة بنفسها لله تعالى) ؟
 انظر صحيح مسلم ١٣٢٢/٣ و ١٣٢٤ هـ وسنن الدارمي ١٨٠/٢ هـ
 وابن الجارود : المنتقى ص ٢٧٦ .

فقالوا : هل أخذت منه شيئا ؟ فقال : أما والله ! لولا الله ما أتيتكم به .
 فصرخوا أن للرجل شأنا . فقالوا : من أنت ؟ فقال : لا والله ! لا أخيركم
 فتحمدنى ، ولا غيركم ليقرظونى . ولكنى أحمد الله وأرضى بشوابه .
 فأتبعوه رجلا حتى انتهوا الى أصحابه ، فسألوه فإذا هو عامر بن عبد قيس (١)

* * *

قال زيد بن ثابت حينما كلف بكتابة القرآن وجمعه :

والله لو كلفانى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على من الذى كلفانى (٢)

وهكذا رأينا أن الايمان بالله تعالى (مدرسة خلقية وتربية نفسية ، تملئ فلسف
 صاحبها الفضائل الخلقية ، من صراحة ارادة وقوة نفس ومحاسبتها والانصاف منها .
 وهذا الايمان هو أقوى وازع عرفه تاريخ الأخلاق وعلم النفس عن الزلات الخلقية
 والسقطات البشرية .

حتى اذا جمحت السورة البهيمية فى بعض الأحيان ، وسقط الانسان سقطة —
 وكان ذلك حيث لا تراقبه عين ولا تتناوله يد الحاكم ، تحول هذا الايمان نفسا
 لومة ضعيفة ، ويخزا لانها للضمير ، وغهالا مروط ، لا يرتاح معه صاحبه حتى يعترف
 بذنبه أمام الحاكم ، ويخضع نفسه للمقومة الشديدة ، ويتحملها مطمئنا مرتاحا ،
 تفاديا من سخط اللعنة الأخيرة (٣)

والاسلم دين واقسى ، لا يفترض فى الانسان أن يكون ملكا معصوما عن الخطأ ،
 ولا يرضى — فى المقابل — أن يصف حتى يصل الى الدرك الأسفل من الانحطاط
 والهزيمة . فهو دين يوازن بين المادة والروح ويمتاز عن غيره من الأديان بالاعتدال
 والوسطية ، كما قال تعالى : * وكذلك جعلناكم أمة وسطا * (البقرة : ١٤٣) .

(١) الطبرى : تاريخ الأمم ١٢٦/٤ .

(٢) لو كلفانى : يقصد بذلك الصديق والفاروق (رضى الله عنهما) حيث أمراه بذلك
 انظر : مسند أبى بكر الصديق ص ٩٨ .

(٣) الندوى : ماذا خسر العالم ص ١٠٢ بتصرف يميز جدا .

فلايمان بالله : يجعل من صبر المسلم ما يفوق كثيرا عمل المباحث والمعيون !

■ ■ ■

قال الخلفانى للامام أحمد : يا ابا عبد الله ! هذه القصائد الرقاق التى فى ذكر

الجنة والنار ، أى شئ تقبل فيها ؟ فقال : مثل أى شئ ؟ قلت : يقولون

إذا ما قال لى رضى أما استحييت تمصينى ؟

وتخفى الذنب عن عدى والمصها ان تاتهنسى !

فقال : أهد عليّ • فأهدت عليه • فقام ودخل بيته وردّ الباب • فسمعت نحيسه

من داخل البيت وهو يردد : إذا ما قال لى رضى أما استحييت تمصينى ؟ (١)

الصبر :

الصبر : هو حبس النفس عن الجزع والتسخط • وحبس اللسان عن الشكوى • وحبس

الجوارح عن التشوش . (٢)

وهو قوة خلقية من قوى الارادة تمكن الانسان من ضبط نفسه لتحمل المتاعب وضبطها

عن الاندفاع بموامل الضجر والسأم والمجلة والرعدة والفضب والشهوات . . (٣)

والصبر ثلاثة أقسام : صبر عن المصيبة • فلا يرتكبها • وصبر على الطاعة • حتى

يوميها • وصبر على الهلوة • فلا يشكوه فيها . (٤)

والاسلام يحث على الصبر ويرغب فيه • قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا استمعينوا

بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين • ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أمواتهم —

(١) ابن الجوزى : تلخيص ابلهس ص ٢١٨

(٢) ابن القيم : مدارج السالكين ١٥٥/٢

(٣) الميدانى : الاخلاق الاسلامية ٢٩٣/٢

(٤) ابن القيم : طريق الهجرتين ص ٤٧٦

وانظر وجوه الصبر فى قاموس القرآن لك امشانى ص ٢٧٣ •

أحياء ولكن لا تشعرون • ولنهلونكم بشيء • من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس
والثمرات ونشر الصابرين • الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وأنا إليه راجعون •
أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون • (البقرة : ١٥٣ - ١٥٧) •
وقال تعالى : * يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم
تفلحون * (آل عمران : ٢٠٠)

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : * ومن يصبر يصبره الله • وما أعطى
أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر * (١) وقال أيضا : * والصبر ضياء * (٢)
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عجا لأمر المؤمن أن أمره كله خير وليس
ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له • وإن أصابته ضراء صبر
فكان خيرا له) (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم * الصبر عند الصدمة الأولى * (٤)
وقال أيضا : (ما يصعب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهيم
يهمه إلا كفر به من سيئاته) (٥)

فالصبر هو أحد ثمرات الإيمان بالله • ومن ثمرات الصبر :
الشجاعة • والثبات على الحق • والرضا بالقضاء والقدر • وطلب الحلال • والطمأنينة •
والتوكل على الله و . . .

(١) مسلم ٢٢٩/٢ والبخارى ١٨٣/٧

والمعنى : أن من يعالج نفسه على ترك السؤال وصبر إلى أن يحصل له
الرزق فإن الله يقويه ويمكّنه من نفسه حتى تنقاد له • وقد ذلك يكون الله معه
فيظفر بمطلوبه •

(٢) مسلم ٢٠٣/١ والقصود : أن الصابر لا يزال مستقيما مهتدا مستمرا على الصواب

(٣) مسلم ٢٢٩٥/٤ (٤) البخارى ٨٤/٢

(٥) مسلم ١٩٩٣/٤ وصب : الوجع اللاتم • والنصب : التعب • يهيم : يهيمه •

ويعتقد المؤمن اعتقاداً راسخاً أن الحياة والموت بيد الخالق تبارك وتعالى وحده ، وأن الرزق من عند الله عز وجل وحده ، وأن الله تعالى وحده هو النافع الضار الممزر المذل . . . ومادام الأمر كذلك فإن المؤمن يصبر فسي جميع أحواله ، ويكون شجاعاً بقدر ما يتحدى الصعاب والأهوال ولا يخشى الردى ، ويحرص على الشهادة في سبيل الله أشد من حرص الكفار على حياة .

وهو حين يضرب في مناكب الأرض . . فانه يتحرى الحلال في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه وفي شؤون حياته كلها . . . ويرضى بما قسم الله تعالى له ، ولا يتلطح بالحرام أو الشهوات ، لأنه يعلم أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها .

ومهما ضاق على المؤمن رزقه فلن يكفر — ولن يحمل كذلك — بالمحرمات . . . وسيصبر على ما قسم الله تعالى له ، وسيبقى متعلقاً بمن بيده مقاليد السماوات والأرض ، ولن يطأطئ رأسه لغير المالك الحق جل وعلا ، ولن يتطلع لغير السماء !

ومن ثمرات الصبر : الطمانينة والهدوء والسكون والشعور بالسعادة الفامرة لقضاء الله وقدره ، فما أصاب المؤمن لم يكن له خطئه وما أخطأه لم يكن لهصيبه ، وإن مسع المسر يسرا ، ولن يغلب عسر يسرين .

والمؤمن يحمد الله تعالى في الرخاء والشدة ، في الرخاء : يشكر المولى جل وعلا على نعمه المظيمة وآلائه الجسيمة — وأهمها نعمة الايمان — ليزداد انعام الله سبحانه وتعالى عليه : " لكن شكرتم لأزيدنكم " (ابراهيم : ٧) وفي الشدة : يحمد الله — الذي لا يحمده على مكروهه سواء — ويسترجع ويصبر ، فالصبر لم تكن في دينه ، وله — يصبره — هدى الله جل ذكره الحسنی وزيادة .

والصبر يومى للتوكل على من بيده الخلق والأمر — جل جلاله — (بعد الأخذ بالاسباب) ، لأنه تعالى وحده النافع الضار اذا أراد شيئاً قال له (كن) (فيكون) . فلم الخوف والجزع ؟

والصبر يومئذ كذا لك لا يأت على الحق والاستقامة على الجادة • وحتى لو كان المؤمن وحيدا أو ضعيفا أو فقيرا أو مضطهدا • • • فانه يبقى متمسكا بالصروة الوثقى — لأنفسهم لها — لا تزعمه النوائب ولا تزلزله الأعاصير • لأنه محتم بالله تعالى ملتجئ إليه • وحسبه الله ونعم الوكيل •

ولا يمتنى الصبر — بأي حال من الأحوال — الصبر على الذل والهوان ! فالذل ليس من الاسلام في شيء • ولا دور القائل :

ولا يقيم على ذل آل —

الا الأذلان : عمر الحق والتد

هذا على الخسف من بطن برمتيه

وذا يشج فلا يرثى له أحد !

كان سادات بلال — رضى الله عنه — من بنى جمع يأخذونه ويطحونه على الرضما • • ويلقون على بطنه الصخرة المظيمة • • ثم يأخذونه في ذلك الحر الشديد ويلبسونه درعا من حديد ! ويضعون في عنقه حبلا • • ويسلبونه الى الصبيان يطوفون به ! أما أمية بن خلف — لعنه الله — فكان يخرجها اذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره — في بطحا مكة — ثم يأمر بالصخرة المظيمة على صدره ! ثم يقول : لا يزال على ذلك • • أو يكفر بمحمد ! فيقول بلال — رضى الله عنه — : أحد أحد ! وأخذه أبو جهل — لعنه الله — مرة فطحه على وجهه • • وسلقه في الشمس • • وصعد الى رحي فوضها عليه ! ! فجعل بلال يقول : أحد أحد ! ! (١)

(١) السهيلي : الرضى أنصف ١١٩/٣

وابن قتيبة : المعارف ص ١١٢

وابن خزم : جوامع أسيرة ص ٥٤

وابن الجوزي : صفة الصفوة ١/٤٣٧

والهمسي : شرح بهجة المحافل ١/٩٣

وابن القيم : زاد المعاد ٢/١١٦

وعبد السلام هارون : تهذيب السيرة ص ٧٠

تمليق .. على صبر بلال (رضى الله عنه) !
 كنت أقرأ قصة تعذيب بلال ، وأمر عليها مرور الكرام ، ولا استشعر مقدار ما أودى
 فى الله ، حتى عشت فى مكة المكرمة وعرفت حرارتها التى تصل فى بعض الأوقات إلى
 ٥٠ م . فمن منا - اليوم - يستطيع أن يقف فى حرارة الشمس سبع ساعات قليلة .. بدون
 أن يعذب .. بدون أن توضع على صدره صخرة كبيرة .. بدون أن يشد وثاقه ويطوف
 به الصبيان ؟ .. فما بالنا ببلال (رضى الله عنه) ؟ !

كان بإمكانه أن يخفف عن كاهله ما يلقى من عذاب لا يتحملة بشر ! بأن يتظاهـر
 بكفره بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ولا شئ " عليه فى ذلك " الا من أكره وقلبه
 مطمئن بالإيمان " (النحل : ١٠٦) .

ولكن إيمانه المتفلسل لى أعاقه والذي ملك عليه حياته ، جعله يضحى بنفسه فى
 سبيل عقيدته (والجود بالفس اقصى غاية الجود) . لله در بلال ! لقد ربح الدنيا
 والآخرة بإيمانه وصبره . ربح الدنيا وانتصر على عدوه ، وقتل سيده فى الجاهلية بهدر .
 وربح الآخرة أيضا ببشرى النبى (صلى الله عليه وسلم) له بالجنة . (١)

نعم ! انهم ملكوا جسده فعدبوه - ولا تملك قوى الجاهلية أكثر من ذلك - ولكنهم
 لم يملكوا روحه الصافية وهى تسبح مع الملائكة فى قاعة (أحد - أحد - أحد) . وهذا
 ما كان يخيظ معذبه فىشتدون فى أيامه ، ويزداد هو بالتالى عزما وشأنا على دعوة الحق .

(١) أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فدعا بلالا فقال : بم سبقتنى إلى
 الجنة ؟ أتى دخلت الباحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامى !

انظر ابن خزيمة : صحيح ابن خزيمة ٢١٣/٢

والطبرانى : المعجم الصغير ٢٠٨/١

وابن حجر : الترغيب والترهيب ص ١٤

ألم يأتك نبي الذين حصروا في شعب أبي طالب جياحا .. كيف كانوا يبيتون الليالى
ويقضون الأيام .. وهم يقتاتون بأوراق الشجر ! بعد أن قضى زادهم وأعوزهم القوت ؟ !
يقول سعد بن أبي وقاص (رضى الله عنه) :

لقد رأيتنى مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بمكة ، خرجت من الليل
أبول ، وإذا أنا أسمع بقمقمة شبيء تحت بولي ! فإذا قطعة جلد بمير ، فأخذتها
وفعلتها ثم حرقتها ، فوضعتها بين حجرين ثم استفتتها ، وشربت عليها من الماء .. (١)

■ ■ ■

نعم ! لقد صدق القائل :

ولله في عرض السماوات جنة ولكنها مخوفة بالمكاره !
وسلمة الله غالية .. لأن سلمة الله الجنة .. والتمن هو الايمان والصبر . والابتلاء سنة
ربانية ، فلو لم يكن هناك ابتلاء لما عرف المؤمن من الكافر ، والصابر من المنافق .
فهنيئاً لهؤلاء الذين ارتفعوا على متاح الأرض ، وضحوا بالمال والنفس في سبيل
عقيدتهم ، وصبروا على لأواء الحياة ، فنالوا رضا الله في الدارين .
وهكذا يفصل الايمان بالله في تربية النفس على الصبر والمصابرة .
يقول خباب بن الارت (رضى الله عنه) : (٢)

لقد رأيتنى يوماً ، أخذونى فأوقدوا لى ناراً .. ثم سلقونى فيها .. ثم وضع رجل رجلى
على صدرى ، فما اتقيت الأرض الا بظهرى !

(١) سليمان الندوى : الرسالة المحمدية ص ١٥٨

والأصبهاني : حلية الأولياء ١/ ٩٣

وابن اسحاق : السيرة ص ١٢٤

والكاتب هلوى : حياة الصحابة ١/ ٣١١

(٢) ابن عبد البر : الاستيعاب ١/ ٤٢٤

وابن الاثير : الكامل ٢/ ٤٦

ثم كشف عن ظهره ٠٠ فإذا هو قد برص !!!

وسأله أحدهم عما لقي من المشركين فقال : انظر الى ظهرى ٠٠ فقال : ما رأيت

كالיום ! قال : لقد أوقدت لى نار وسحبت عليها ٠٠ فما أطفأها الا ودك ظهرى ! (١)

■ ■ ■

لكأن الشاعر حين قال :

والله لو قطعتمو لحمى أذى وسحقتمو قهلا عظامى !

ما زفت عن هدى النبى وصحبه كلا ! ولا نافقت للحكـام

آمنت بالاسلام جامع شملنا وكفرت بالزعماء والأصنام ! (٢)

كان يتخيل ما حدث لخباب وأمثاله من الصحابة الكرام — رضى الله عنهم — من اضطهاد وتعذيب — لا يحتمله الا السوء المزمر والقوة من الرجال — ومن صبر على الأذى ومصابرة على الابتلاء ، فى سهيل عقيدة التوحيد (لا اله الا الله) .

وعلى المسلمين اليوم أن يهتفوا بقلوبهم — قبل أنفتقهم — (والموت فى سهيل الله أسمى أمانينا) ، ويتخذوا من سيرة خباب (رضى الله عنه) أسوة حسنة ، ونبراسا يضيئ لهم الطريق ، ويبدد من حولهم ظلمات الجاهلية !

بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الصحابى الجليل حبيب بن زيد (رضى الله عنه) الى مسيلة الكذاب .

(١) الدسم من كل ذى دهن كالودك من كل ذى شحم (أى حتى أنظفا الجمر

بالصديد الذى سال من شحم ظهره) (رضى الله عنه) !

انظر الثمالى : فقه اللفظة ص ١٤

(٢) المقصود بهؤلاء طيما : الذين يحكمون بخير ما انزل الله .

فقال له مسيلة : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟

قال : نعم •

قال : أتشهد أنى رسول الله ؟

قال : لا أسمع !

فلم يزل يردد عليه ذلك ، ويقطع منه عضوا عضوا . . . حتى مات ! ! (١)

■ ■ ■

يا الله ! ما أعظم صبر هذا الصالح وما أقوى إيمانه !

فليس عجيبا أن يهدى شخص ضروها من أنواع البطولة والشجاعة ويتقدم فى محمسة المبارك ويحمل على المد ووحده ، حتى ينال الشهادة أو النصر ، لأن الموت — حينئذ — لا يستغرق وقتا طويلا ، ومن ثم يستريح صاحبه من سكرات الموت !
وحدث من ذلك كثير فى التاريخ الاسلامى •

أما أن يقطع جسمه عضوا عضوا ، كما تقطع لحم الحيوانات المأكولة — يصل أن الحيوانات تقطع لحومها بعد الموت لاقبله — ويبقى صابرا ثابتا راسخا الايمان لا يتزعزع ولا تلين لثاته ، فهذا يشبه الأساطير ! ولا يكاد المقبل يصدق بوقوعه !

ولكن هذا ليس مستغربا من رجل تربي فى مدرسة التوحيد • بقيادة معلم الناس

الخير محمد بن عبد الله (صلوات الله وسلامه عليه) !

وهكذا يفعل الايمان بالله فى تربية النفس على الصبر •

(١) ابن قدامة المقدسى : الاستبصار ص ٨١ •

الفصل الثاني

أثر الإيمان بالله في الكرام

في تربية النفس

تمهيد :

ان الايمان بالله تعالى يستلزم الايمان بملائكته الكرام ، فليس بمؤمن من آمن ببعض موجبات الايمان وكفر ببعض . قال تعالى : * ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا * (النساء : ١٣٦) .

والدليل على وجود الملائكة :

قوله تعالى : * الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاحل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، يزيد في الخلق ما يشاء ، ان الله على كل شيء قدير * (فاطر : ١) . الى غير ذلك من الآيات .

وقوله (صلى الله عليه وسلم) : * خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم * (١)

■ ■

وعدم رؤية الشيء لاينفى وجوده بالطبع ، لأن البصر — وقية الحواس — ليست حكما على طوائف الأشياء ووجودها ، وانما تعرف الأشياء بآثارها كما تعرف العقول الأمور بقرائنها .

ونحن نعتقد — في حياتنا اليومية — بوجود كثير من الأشياء التي لم نرها كالجاذبية والروح والعقل والكهرباء . . .

وهناك أشياء كثيرة من الماديات كانت لا ترى بالعين المجردة ، وأصبحت مشاهدة بواسطة الأجهزة الحديثة .

فالأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية ، من الطيف غير المرئي ، تستخدمان لأغراض الحرب والسلام ، مع عدم رؤيتهما بالابصار .

وهكذا فنحن نؤمن بوجود الملائكة لأن ذلك من مستلزمات الايمان ، بالاضافة الى ذلك فان العقل لاينفى وجودهم ، فليس كل ما لا يرى غير موجود — كما ذكرنا آنفاً — .

تعريف الملائكة :

الملائكة الأطهار أجسام نورانية لطيفة خلقها الله سبحانه وتعالى مبرأة من
الكدرات النفسية والشهوات الحيوانية • لا توصف بكثرة ولا بانقضاء • مقتدرة على
تشكلات مختلفة • ولها أجنحة • لا تعلم كيفيتها • • وهي لا تأكل ولا تشرب ولا تنام
ولا تتناسل • ومعصومة عن المخالفة •

والملائكة على أهبة الاستعداد لتنفيذ مشيئة الله عز وجل وطاعته • ينفى وضع
مستمر من أوضاع المبادلة له • وهو وضع الخشوع والحمد بذكره وإعلان تنزيهه عن
كل افتراء • (١)

معنى الايمان بالملائكة :

هو التصديق الجازم بأن لله تبارك وتعالى ملائكة كراما مخلوقين من نور •
وأنهم عباد مكرمون • يسبحون الليل والنهار لا يفترون • وأنهم قائمون بوظائفهم
التي أمرهم الله بها خير قيام • (٢)

والملائكة أصناف كثيرة بحسب ما نهيض بهم من أعمال • (٣)

- (١) انظر : ابن قتيبة : تفسير غريب القرآن ص ٢٣ •
والنيسابوري : غرائب القرآن ١/٢٦٢ •
والرازي : التفسير الكبير ٢/١٥٩ فما بعدها •
ومجد الله سراج الدين : الايمان بالملائكة ص ١٣ و ١١ •
والهياوي : أنوار التنزيل ١/١٣٤ •
ومحمد المبارك : نظام الاسلام - المقيدة - ص ١٠٢ •
ورهبى الألهاني : أركان الايمان ص ١٢٠ •
والهوطي : كبرى اليقينيات ص ٢٢٥ •
ومحمد البهي : تفسير سورة الصافات ص ٤٣ •
- (٢) المسلمان : مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية ص ١٧ •
- (٣) ناجي محمد داود : الملائكة والايمان بهم ص ١٢ •

وجب الايمان بالملائكة الكرام اجمالا ، سهولا على التفصيل : جبريل ، ميكال ،
اسرافيل ، ملك الموت* ، مالك ، خزنة الجنة ، خزنة النار ، حملة العرش ،
ملك الالهام ، ملكان يزكيان اعمال الانسان ، اربعة ملائكة يختلفون على الانسان
بين الليل والنهار ، ومنكر ونكير (١) .

وقد اختلف العلماء في المفاضلة بين الملائكة وبين البشر (٢) . واختلفوا كذلك
في ارسال النبي (صلى الله عليه وسلم) اليهم (٣) .
وللملائكة الكرام اعمال كثيرة . منها ما يتعلق بالله عز وجل ، ومنها ما يتعلق بسبق
بالأنبياء والمرسلين ، ومنها ما يتعلق بالدنيا والآخرة ، ومنها ما يتعلق بالانسان ،
ومنها ما يتعلق بالكون (٤) .

- (١) ابن جسيم : مقدمة التوحيد ص ١٤١ و ١٤٥ .
وناجي د اود : الملائكة والايمان بهم ص ٩٣ .
 - (٢) الرازي : الأهميين في أصول الدين ص ٣٦٨ .
والأشمري : مقالات الاسلاميين ١٢٦/٢ ،
والحنفي : شرح الطحاوية ص ٢٥٠ ،
والقاري : شرح الفقه الأكبر ص ١١٨ .
 - (٣) السهوتي : الحاوي للفتاوى ٢٥٢/٢ .
 - (٤) ابن تيمية : الرد على المنطقيين ص ٤٩٠ .
وابن القيم : اغنية اللهفان ١٢٦/٢
وابن رجب الخبلي : جامع المعلم والحكم ص ٤٤ ،
والفرناطي : التسهيل في علم التنزيل ٢٤١/٢ ،
وابن عبد الوهاب : أصول الايمان (ضمن مجموعة الحديث) ص ٢١٣ ،
ومحمد الهبي : تفسير سورة الصافات ص ٨ و ٤٣ ،
والطنطاوي : تعريف علم يدين الاسلام ص ١٢٥ .
- * لا يجب اعتقاد اسم ملك الموت أنه عزرائيل لأن ذلك ليهود في الكتاب أو السنة .
انظر السائح : عقيدة المسلم وما يتعلق بها ص ٢٩٢ .

- ومن أعمال الملائكة الكرام :
- التسبيح لله تعالى والمجد له •
- الاحتفاظ بالصحف المكرسة •
- تهليل الوحي •
- الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) •
- القتال مع المؤمنين وتثبيتهم •
- قبض الأرواح •
- المجيء بالهجرى ونزول العذاب •
- الاستغفار للمؤمنين والدعاء لهم •
- النزول ليلة القدر •
- كتابة أعمال الإنسان ومراقبة أعماله •
- النفخ في الصور (وكتابة الرزق والأجل والمهل والشقاوة والسعادة) •
- حضور الصلوات والجماعات •
- حضور مجالس العلم ومجالس الذكر •
- وضع أجنتها لطلبة العلم •
- الاجتماع عند قراءة القرآن الكريم •
- رفع أعمال المؤمنين السالحة •
- سوق الأرزاق والأمطار •
- سؤال القبر •
- حمل المبرش •
- تمشير المؤمنين عند الموت •
- القيام بمسئون النار وأهلها • وتوحي الكافرين •
- القيام بمسئون الجنة وأهلها • وتحيية المؤمنين •
- الطرد لقوى الشر من يحاول الاقتراب من الملائكة الأعلى •
- الشفاعة للمؤمنين في الآخرة بإذن الله تعالى •

ملحوظة هامة :

وقبل أن تنتقل الى الحديث عن أثر الايمان بالملائكة فى تربية النفس نشير الى أن
 محمد عبده - زعيم المدرسة العقلية الحديثه - أول حقيقة الملائكة الى معنى يكاد
 يخرج صاحبه من حظيرة الايمان - والعياذ بالله - حيث يقول كما جاء فى تفسير
 المنار ه عند الحديث عن الملائكة " واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم " (البقرة :
 ٣٤) :

(فلا يستبعد أن تكون الاشارة فى الآية الى أن الله تعالى لما خلق الارض وبرها
 بما شاء من القوى الروحانية التى بها قوامها ونظامها ه وجعل كل صنف من القوى
 الروحانية التى بها قوامها ونظامها ه وجعل كل صنف من القوى مخصوصا بنوع من انواع
 المخلوقات لا يعتمد ه ولا يعتمدى ما حدد له من الأثر الذى خص به ه خلق بمسند
 ذلك الانسان وأعطاه قوة يكون بها مستمدا للتصرف بجميع هذه القوى وتسخيرها فى
 عبارة الأرض ه وغير من تسخير هذه القوى له بالسجود ه الذى يفيد معنى الخضوع
 والتسخير ه وجعله بهذا الاستعداد الذى لاحد له ه والتصرف الذى لم يمسسط
 لغيره ه خليفة الله فى أرضه ه لأنه أكمل الموجودات فى هذه الأرض ه واستثنى من هذه
 القوى قوة واحدة غير عنها بابلوس ه وهى القوة التى تمارض فى اتباع الحق ه وتضد
 عن عمل الخير ه وتتأزعج الانسان فى صرف قواه الى المنافع والمصالح التى تتم بها
 خلاصته ه فيصل الى مراتب الكمال الوجودى ه التى خلق مستمدا للوصول اليها ه
 ولو أن نفسا مالت الى قبول هذا التأويل ه لم تجد فى الدين ما يمنمها ه من
 ذلك ه والمعدة على اطمئنان القلب وركون النفس الى ما أهدت من الحق ه اه ه
 وما كان من رشيد رضا - مع الأسف - الا أن اعذر عن هذا التأويل الفاسد
 بأقبح من ذنب استاذ ه حيث قال :

(وأقول : أن غرض الأستاذ من هذا التأويل الذى عبر عنه بالايمان والاشارة

اقناع منكرى الملائكة بوجودهم ، بتعبير مألوف عندهم تقبله عقولهم . وقد اهتمت به كثير من واصل به آخرون . فأنكره عليه . وزعموا أنه جعل الملائكة قوى لاتعقل . فرد عليهم كتابة بما نصه بحروفه :

(ولست أحيط علما بما فعلت العادة والتقاليد في أنفص بعض من يظنون أنهم من المتشددين في الدين ، إذ ينفرون من هذه المعاني ، كما ينفر المرضى أو المخدوجون من جهة الأطفة التي لاتضرهم ، وقد يتوقف عليها قوام بنيتهم ، ويتشبهون بأوهام مألوفة لهم ، تشبه أولئك المرضى والمخدوجين بأضر طعم يفسد الأجسام ويزيد السقام ، لا أعرف ما الذي فهموه من لفظ روح أو ملك ؟ وما الذي يتخيلونه من مفهوم لفظ قوة ؟ أليس الروح في الآدمي مثلا ، هذا الذي يظهر لنا في أفراد هذا النوع ، بالمقل والحسن والوجدان والارادة والعمل ، وإذا سلطوه سلخوا ما يسمى بالحياة ؟ أو ليست القوة هي ما تصدر عنه الآثار فيمن وهبت له ؟ فإذا سمى الروح لظهور أثره قوة ، أو سميت القوة لخفا حقيقتها روحا ، فهل يضمر ذلك بالدين ، أو ينقص معتقده شيئا من اليقين) (١) اهـ .

الطاعة :

إذا ذكرت الطاعة . . . فحيها بطاعة الملائكة الأطهار :

" الذين هم عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون " (الانبياء : ٢٦ و ٢٧)
 لقد أخبر الله عز وجل ملائكته الكرام بأنه " جاعل في الارض خليفة " (البقرة : ٣٠)
 وأنه " خالق بشرا من طين " (ص : ٧١) ولا يوجد في هذا الاخبار أمر أو نهى ، فلاحرج أن قالت الملائكة - وهي الحريصة على الطاعة المطلقة لله رب العالمين - وعلى أن تكون الخلائق كلها مسبحة طائفة مقدسة - :

" أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء " (البقرة : ٣٠)

ولعل الملائكة — عليها السلام — توقعت من هذا الانحسان الذي سيكون خليفة في الأرض القصور في الطاعة أو الافساد أو سفك الدماء — لأنه سيخلق من مصادة وروح — ولعل الجن — أو غيرهم — أصدوا في الأرض فتوقع الملائكة أن يكون البشر مثلهم فقالوا ما قالوا . . .

ومد خلق الله عز وجل لآدم — عليه الصلاة والسلام — طلب من ملائكته السجود له — سجود تحية لا سجود عبادة — فاستجابت الملائكة لأمره جل وعلا وشفذته على وجه السرعة دون تسوان أو استفسار أو نقاش :

” فسجد الملائكة كلهم أجمعون ” (ص : ٢٣) • والفاء — في كلمة فسجد — تفيد ذلك إذ تأتي للتعقيب السريع •

وما حدث من هذه المخلوقات المظمية يدعو المؤمنين لأن يتشبه بها في الطاعة المطلقة لله وسرعة الاستجابة لأمره جل شأنه •

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم

إن التشبه بالكرام فالج

والإيمان بالملائكة يعمق معنى الطاعة في نفس المؤمن • فهو ليس وحيداً في ميدان عبادة الله عز وجل • فالكون من حوله — بمن فيه وما فيه — مطيع لله (١) مسبيح بحمد • (٢) منفذ لأمره • هذا القلة القليلة التي لا وزن لها ولا قيمة من بين مخلوقات الله الكثيرة • والإيمان بالملائكة أيضاً : يجعل المسلم ينشط للطاعة والعبادة • ويجعله يتشبه بهم — في اتباع أوامر الله واجتناب مشبهاته — حينما يعلم أن الملائكة — وهم

(١) قال تعالى : ” وله أسلم من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً ” (آل عمران : ٨٣) وقال تعالى : ” فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ” (فصلت : ١١)

(٢) قال تعالى : ” وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ” (الاسراء : ٤٤)

أولى أجنحة عظيمة • وقوة كبيرة • وعدد هائل — يسيحون الليل والنهار لا يفترون •
 وحين يعلم المؤمن أن الملائكة المبرئين من النقائص والمنزهين عن المخالفات
 والذين هم في المنزلة السابقة من العبادة • هم مع ذلك وجلون خائفون لا يأمنون
 بكسر الله ! فان ذلك يدعو لطاعة الله والخوف منه أيضا • فما دام الملائكة
 " لا يمحسون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون " (التحريم : ٦) ومع ذلك يخافسون
 الله تعالى • فما بالك بالإنسان المقصر في الطاعة المعرض للخطأ ؟

أسأت ولم أحسن وجئتك تائها
 واني لعبد عن مواليه يهرب
 يومئ عقربا • فان نجاب ظننه
 فما أحد منه على الأرض أخيب !
 وهكذا يفعل الايمان بالملائكة — والذي هو فرع من الايمان بالله — في تربية
 النفس البشرية على الطاعة والمهادنة !

العمل الصالح المتواصل والتحرز من المعاصي :

ومن آثار الايمان بالملائكة : العمل الصالح : من استقامة • ووفاء • بالعهد • ومحافظة
 على الميثاق • ووصل ما أمر الله به أن يوصل • وخشية الله — في السر والعلانية —
 وصبر • وصلاة • صدقة • زكوة • وذكر • وتلاوة للقرآن الكريم •••
 فاذا قام المؤمن بهذه الاعمال الحسنة واستقام على منهج الله في الحياة : فان
 الملائكة تنزل عليه • وتهمد حبه الخوف والحزن وتهشرونه بالجنة الموعودة ••• وتستسلم
 عليه في جنات النعيم • جزاء ايمانه وعمله • فطوبى له وحسن مآب !
 قال تعالى في محكم التنزيل : " ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم
 الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون • نحن أولياؤكم في الحياة
 الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهون أنفسكم ولكم فيها ما تدعون • نزلا من غفور
 رحيم " (فصلت : ٣٠ — ٣٢)

وقال ايضا : " الذين يؤمنون بمشهد الله ولا يفتقرون الوثائق • والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل • ويخشون ربهم • ويخافون سوء الحساب • والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم • وأقاموا الصلاة • وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية • ويدرون بالحسنة السيئة • أولئك لهم عقبى الدار • جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم • والملائكة يدخلون عليهم من كل باب : سلام عليكم بما صبرتم فطمع عقبى الدار " (الرعد : ٢٠ - ٢٤)

وقال أيضا : " وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا • حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها : سلام عليكم طيبتم فادخلوها خالدين " (الزمر : ٧٣) •
فالإيمان بالملائكة يدفع المؤمن إلى المزيد من الاستقامة والعمل الصالح • ليفوز بمسادة الدنيا والآخرة •

ومن آثار الإيمان بالملائكة :

الاعتماد على المصاحف حيا • من الملائكة — وخوفا من الله عز وجل وحيا • منه قبيل كل شيء • — الذين كلّفهم المولى جل وعلا بحفظ الإنسان ومراقبته وتسجيل حسناته وسيئاته : " ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد " (ق : ١٨)
" وإن عليكم لحافظين • كراما كاتبين • يملكون ما تفعلون " (الانفطار ١٠ - ١٢)
وهذا مما يدعو المؤمن لمراقبة مولاه والاعتماد على الميقات • لتسجيل عليه الملائكة ما يسوءه يوم العرض الأكبر • ولئلا تصيغه إذا انحرف عن سواء الصراط :
" وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب • قالوا أولم نك تأتكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعا الكافرين إلا في ضلال " •
(غافر : ٤٩ و ٥٠)

والله في الخلوة ثانيكيا ؟

وستره طول مساويكيا !

يامد من الذنوب أما تمتحى

غرك منه طول امهالك

فإذا هم المؤمن بارتكاب إحدى المحرمات ، أو بترك إحدى الواجبات ، أو بالوقوع
 في الشبهات . . فانه يتذكر أن الله تعالى جعل عليه من يراقبه طيلة حياته حسنة
 المات ، وعند ذلك يستحسني من ربه ومن ملائكته الثقات ، فيقوم بعمل الخيرات والطاعات
 ، ويرتدع عن المنهيات والسيئات ، في جميع الأحوال والأوقات .

وهكذا يفعل الايمان بالملائكة — وهو فرع عن الايمان بالله العظيم — في تربية
 النفس على الخير والابتعاد عن الشر وما يورث الله من قول أو فعل .

وهذه طائفة من الاحاديث توضح أن الملائكة تحت على العمل الصالح :

عن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه
 وسلم) : " ان للملائكة يطوفون في الطرق ، يلمسون أهل الذكر . فإذا وجدوا
 قوما يذكرون الله ، تتادوا : هلموا إلى حاجتكم . قال : فيحفظونهم بأجنحتهم التي
 السماء الدنيا . قال : فما لهم ربه عز وجل — وهو أعلم منهم — ما يقول عباده ؟ قالوا :
 يقولون ، يسبحونك ، ويكبرونك ، ويحمدونك ، ويمجدونك . قال : فيقول هل رأوني ؟
 قال : فيقولون لا والله ! ما رأوك . قال : فيقول كيف لو رأوني ؟ قال : يقولون
 لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تقيدا ، وأكثر لك تمهيحا .

قال : يقول فما يسألوني ؟ قال : يسألونك الجنة . قال : يقول وهل رأوها ؟ قال :
 يقولون لا والله ! يارب ! ما رأوها . قال : يقول فكيف لو أنهم رأوها ؟ قال : يقولون
 لو أنهم رأوها ، كانوا أشد عليها حرصا ، وأشد لها طلبا ، وأعظم فيها رغبة .
 قال : نعم يتمودون ؟ قال : يقولون من النار . قال : يقول وهل رأوها ؟ قال :
 يقولون لا والله ! ما رأوها . قال : يقول فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون لو رأوها
 كانوا أشد منها فرارا ، وأشد لها مخافة .

قال : فيقول فأشهدكم أنني قد غفرت لهم . قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم

فلان • ليس منهم • انما جاء لحاجة • قال : هم الجلساء • لا يشقى بهم جليسهم * (١)

وهسن أبى هيرة (رضى الله عنه) فى قوله تعالى : * ان قرآن الفجر كان مشهودا *

(الاسراء : ٧٨) • أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال :

* تشهد • ملائكة الليل وملائكة النهار * (٢)

وهسن أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال :

* ما منكم من رجل يخرج من بيته متطهرا • فصلى مع المسلمين الصلاة • ثم يجلس

فى المجلس ينتظر الصلاة الأخرى • الا قالت الملائكة : اللهم اغفر له • اللهم ارحمه * (٣)

وهسن أبى هيرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال :

(يتماقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار • وجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة

المصر • ثم يصرخ الذين باتوا فيكم • فيسألهم ربهم — وهو أعلم بهم — : كيف تركتكم

عبادى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون • وأتيناهم وهم يصلون * (٤)

وكون الملائكة أجابوا بأكثر مما سئلوا : فلأنهم علموا أنه سؤال موجب للرحمة

والافعال • فزادوا فى موجب ذلك بأن قالوا : جئناهم وهم يصلون • وهرتب على ذلك :

أن الملائكة تفرح بحمل العبد الصالح • وأنهم يحبون له رحمة الله على ذلك وحسن

جزائه • ولولا ذلك لما زادوا من عند أنفسهم ما لم يسألوا عنه •

(١) روى هذا الحديث البخارى ومسلم والترمذى وابن حبان • انظر اللؤلؤ ص ٧٣

والباركفورى : تحفة الأحوذى ١٠ / ٥٨ • والفارسى : تقريب صحيح ابن حبان

١٥٣ / ٢

ومعنى : هلموا : تمالوا • فيحفونهم : يطوفون هديرهم • أعلم منهم :

أى أعلم من الملائكة بحال الذاكرين •

يسبحونك ويكبرونك ويمجدونك : يقولون (سبحان الله والحمد لله والله أكبر)

يمجدونك : أى يشرفونك ويمظمونك •

(٢) ابن الأثير : جامع الاصول ٢ / ٢١٥

(٣) البنا الساعاتى : الفتح الربانى ٢ / ٢١١

(٤) اللؤلؤ ١ / ١٢٣ • والفارسى : تقريب صحيح ابن حبان ٣ / ١٧٧

ويترتب على ذلك أيضا : الفرح والسرور بهذه الأوقات لقدوم رسل الملك السلي
المسلم وسؤاله عنه • وهذا يدل أيضا على حب الملائكة للمؤمن • فيدعوا إلى حبهم
والانصر بهم • وهذا مما يقرب إلى الله عز وجل (١) •

الشجاعة والثبات في الممارك :

ومن آثار الإيمان بالملائكة : البطولة والثبات أثناء القتال في سبيل الله • فالمؤمن
في المعركة يحرص على أن ينال إحدى الحصنيين - النصر أو الشهادة - ويحضر وهو
يقاتل أعداء الله بأنه ليس وحده في الميدان • بل يقف في صفه رب العالمين ثم أخوانه
المجاهدون وجنود الله الكثيرون - ومنها الملائكة الكرام - •

وهناك آيات كثيرة تدل على اشتراك الملائكة مع المؤمنين في الممارك بين حزب
الله وجنود الشيطان • من هذه الآيات :

" ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون • إذ تقول للمؤمنين
الآن يكفكم أن يدرككم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين • بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم
من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين " آل عمران : ١٢٣ -
(١٢٥) •

" إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين • • • إذ
يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا
الرب فاضربوا فوق الأهاق واضربوا منهم كل بنان " (الانفال : ٩ و ١٢)

" لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم
شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين • ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى
المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وغضب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين " (التوبة :
٢٥ و ٢٦) •

(١) الأسدى : بهجة النفوس ١ / ١٩١ •

* يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحنا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا* (الاحزاب : ٩) الى غير ذلك مسن الآيات الكريمة •

* * *

وهذه نقول من بعض كتب التفاسير والسيرة تبين اشتراك الملائكة مع المؤمنين فسي قتال المشركين :

جاء في الكشف : (١)

(مسومين) : يفتح الواو وكسرهما بمعنى مملوئين ومملوئين أنفسهم أو خيلهم •
قال الكلبي : مملوئين بممائم صفر مرخاة على أكتافهم •
وقال قتادة : كانوا على خيل يلق •
وعن عروة بن الزبير (رضى الله عنهما) : كانت عامة الزبير يوم بدر صفراء • فزلت الملائكة كذلك •

وجاء في التسهيل : (٢)

وكانت سيما الملائكة يوم بدر مائم بيضاء الا جبريل فكانت مائمته صفراء • وكانت خيلهم مجزوزة الأذنان •

وجاء في فتح البيان : (٣)

عن أنس قال : كان النام يوم بدر يصفرون قتلى الملائكة من قتلهم بضرب على الاضاق وعلى البنان • مثل سمة النار قد احترق به • واختلفوا هل قاتلت يوم حنين أم لا ؟
وعن جابر بن مطعم : قال رأيت قبل هزيمة القوم والنام يقتتلون مثل البجساس الاسود أقبل من السماء • حتى سقط بين القوم • فنظرت فاذا نمل أسود ميثوث قد

(١) التزمخشري : الكشف ٤٦٢ / ١

(٢) الفرناطى : التسهيل ٢١٠ / ١

(٣) صديق خان : فتح البيان ١٠١ / ٤ والبيجاد : كما مخطوط من أكسبة الأعراب

ملاً الولد ي . لم أشك أنها الملائكة ولم تكن الا هزيمة للقوم .

وجاء في ربح المعاني : (١)

قال ابن عباس : بينما رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه
ان سمع ضربة بالسوط فوقه ، وقائلاً يقول : أقدم حيزوم ، فخر المشرك مستلقيساً .
فخطر اليه فاذا هو قد حطم وشق وجهه . فجاء فحدث بذلك النبي (صلى الله عليه
وسلم) فقال : صدقت ! ذلك من مدد السماء الثالثة .

وجاء في تاريخ الخويع في أحوال أنفس نفوس :

(قال ابن عباس : حدثني رجل من غفار قال : أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا
في جبل يشرف بنا على بدر . ونحن مشركان — ننتظر لمن تكون الدائرة فننتهب مع
من ينتهب . فبينما نحن في الجبل ان دنت منا سحابة ، فسمعنا منها حمحممة
الخيول ، فسمعت قائلاً يقول : أقدم حيزوم فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه !
وأما أنا فكذت أهلك . وقال أبو داود المازني : اني لأتبع رجلاً من المشركين يوم
بدر لأضربه ان وقع رأسه قبل أن يصل اليه سيفي ! فعرفت أنه قد قتله غيري . وقال
فكرمة : كان يومئذ يندر رأس الرجل لا يدري من ضربه . ويندر يد الرجل لا يدري
من ضربه !) (٢)

وجاء في السيرة الحلبية :

(وحين رأى المسلمون القتال قد نشب عجزوا بالدعاء الى الله ، فأنزل الله ضد
ذلك " ان تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني مدمكم بالرف من الملائكة مردفين " (الانفال :
٩) . أي متتابعين . وقيل : ردفا لكم ومددا لكم . وقيل : وراء كل ملك ملك آخر .
ويوافق ذلك ما جاء عن ابن عباس : أنه الله نبيه يوم بدر بالرف من الملائكة ، فكسان

(١) الالوسي : ربح المعاني ١٧٨/٩

(٢) الد يار بكري : تاريخ الخويع ٣٨٢/١ و ٣٨٣

جبريل في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة (١)

ولنستمع الآن لصاحب الظلال — رحمه الله — وهو يفسر لنا الآية الكريمة :

" اذ يوحى ربك الى الملائكة انى ممكم فتبتوا الذين آمنوا سألنى في قلوب الذين كفروا الرعب فلضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان " (الأنفال : ١٢)

انه الأمر الهائل .. انها معية الله — سبحانه — للملائكة في المعركة ، واشترك الملائكة فيها مع العصبة المسلمة .. هذا هو الأمر الذى لا يجوز أن يشغلنا به أن نبحث : كيف اشتركت الملائكة ؟ ولا كم قتيلًا قتل ؟ ولا كيف قتل ؟ ان الحقيقة الكبيرة الهائلة في الموقف هي تلك الحقيقة .. ان حركة العصبة المسلمة في الارض بهذا الدين أمر هائل عظيم .. أمر يستحق معية الله لملائكته في المعركة واشترك الملائكة فيها مع العصبة المسلمة !

أنا نؤمن بوجود خلق من خلق الله اسمهم الملائكة ، ولكنا لا ندرك من طبيعتهم الا ما أخبرنا به خالقهم عنهم ، فلانملك من ادراك الكيفية التى اشتركوا بها في نصر المسلمين — يوم بدر — الا بمقدار ما يقرره النص القرآنى .. وقد أوحى اليهم ربهم : انى ممكم ، وأمرهم أن يثبتوا الذين آمنوا ففعلوا — لانهم يفعلون ما يؤمرون — ولكننا لا ندري كيف فعلوا ، وأمرهم أن يضربوا فوق أعناق المشركين ، وأن يضربوا منهم كل بنان ، ففعلوا كذلك بكيفية لانعلمها .

فهذا فرع عن طبيعة ادراكنا نحن لطبيعة الملائكة ، ونحن لانعلم عنها الا ما علمنا الله .. ولقد وعد الله — سبحانه — أن يلقى الرعب في قلوب الذين كفروا فكسان ذلك ووعد الحق ، ولكننا كذلك لانعلم كيف كان ، فالله هو الذى خلق وهو أعلم بمن خلق وهو الذى يحول بين المرء وقلبه ، وهو أقرب اليه من حبل الوريد .

(١) على الحلبي : انسان الميرون (السيرة الحلبية) ١٢٣/٢

ان البحث التفصلى في كيفيات هذه الأفعال كلها ليس من الجد الذى هو طابع هذه المقيدة وطابع الحركة الواقعية بهذه المقيدة ، ولكن هذه الباحث صارت من مباحث الفرق الاسلامية ومباحث علم الكلام فى المصور المتأخرة ، عندما فرغ الناس من الاهتمامات الايجابية فى هذا الدين ، وتسلط الترف العقلى على النفوس والمقول . . وان وقفة أمام الدلالة الهائلة لمعية الله - سبحانه - للملائكة فى الممركة - واشترك الملائكة فيها مع العصبة المسلمة لى أنفع وأجدى .

ولا نعمل الى المنهج الذى تتخذه مدرسة الشيخ محمد عده (فى التفسير) من محاولة تأويل كل أمر غيبى من هذا القليل تأويلا مميذا ينفى الحركة الحسية عن هذه الموال .

وقد جنم الشيخ رشيد رضا - فى موضع آخر - بأن الملائكة لم تقاتل يوم بدر ا على الرغم من قول الله تعالى " فاضربوا فوق الأعاق واضربوا منهم كل بنان " وشكك فى تفسير الطير الأبايل بأنها ميكروبات الجدرى ! فى تفسير الشيخ محمد عده لجزء م . . هذا كله مبالغة فى تأويل هذه النصوص المتعلقة بأمر غيبى حيث لا ضرورة لهذا التأويل ، لأنه ليس هناك ما يمنع من الدلالة الصريحة للألفاظ فيها .

وكل ما ينفى هو الوقوف وراء النصوص بلا تفصيلات لاتدل عليها دالة صريحة . . وهو المنهج الذى اتخذناه فعلا .

وان كما لاندرى كيف تضرب الملائكة فوق الأعاق وكل بنان ، ولكن جهلنا بالكيفية لا يدعونا الى تأويل هذا النص عن مدلوله الظاهر ، وهو أن هناك أمرا من الله - سبحانه - للملائكة بالضرب ، وأن الملائكة لا يحصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . وليس كاذبى قاله المرحوم السيد رشيد رضا من أنه ثبت أن الملائكة لم تشترك فى المعركة يوم بدر الا بمخالطة أرواح المؤمنين وتبويتهم ، فهذا مخالف لظاهر النص والنص أولى بالاتباع . (١)

(١) سيد قطب : الظلال ١٤٨٦/٣ و ١٥٣١ و ١٥٣٢ و ١٥٣٤

طالب العلم :

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (من سلك طريقا يطلب فيه علما -
 سلك الله به طريقا من طرق الجنة • والملائكة تضع أجنحتها رضا لطالب العلم •
 وإن العالم يستغفر لمن في السماوات ومن في الأرض والحيثان في الماء) (١) •
 وقال أيضا : (ما من خارج يخرج من بيته يطلب العلم الا وضعت له الملائكة
 أجنحتها رضا بما يصنع) (٢) •

ومعنى وضع الملائكة أجنحتها لطالب العلم :

أما بسط الأجنحة •

وأما بمعنى التواضع تعظيما لطالب العلم •

وأما أن المراد به النزول عند مجالس العلم وترك الطيران (٣) •

وأعلم أنه لا رتبة فوق رتبة من تشغل الملائكة - وغيرهم - بالاستغفار والدعاء •
 وأنه لينافس في دعاء الرجل الصالح - أو من يظن صلاحه - فكيف بدعاء الملائكة
 المطهرين ؟ (٤)

عن زر بن حبيرة قال أتيت صفوان بن عسال المرادي فقال : ما جاء بك ؟
 قلت : طلب العلم فقال : ان الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا
 لما يطلب / انظر كتاب العلم لأبي خيثمة النسائي ص ١١٠ •

(١) الفارسي : تقريب صحيح ابن حبان ١/١٦٥ •

والهيثمي : موارد الظمان ص ٤٩ •

(٢) الفارسي : تقريب صحيح ابن حبان ١/١٦٣ •

والهيثمي : موارد الظمان ص ٤٨ •

(٣) ابن قدامة : مختصر منهاج القاصدين ص ١٣ •

ولبن الأثير : جامع الأصول ٨/٦ •

(٤) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم ص ٨ •

ان الاسلام يقف موقفا وسطا بين من يمجّد العلم هو فقه فوق مستواه ويجمع سبل كل شئ خاضعا له — ولولم يدخل في عالم الشهادة — بين من يمجّد السروح ويهمل العلم — ولو كان هذا العلم منسجما ومثاقفا مع المنطق — !

وقد حث الاسلام على طلب العلم النافع ، وحرر العقل من الخرافات والأفلال ، وأمر بالتفكير في ملكوت السماوات والأرض * . ان في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه * فقنا مذهب النار * (آل عمران : ١٩٠ و ١٩١) .

وقد وضع الاسلام للعقل حدودا لا يتجاوزها — لأنها ليست من عالمه — لكلايته في مسالك وعرة لا يصل في نهايتها الى قرار .

وحيثما يعرف المسلم أن الملائكة الأطهار تضع أجنتها لطالب العلم ، فانسه يزيد من اجتهاده ، ويكحل منه به بأشد السهر لئلا يسهل سعادة الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، فيرتفع قدره عند الله عز وجل ثم عند مخلوقاته :

* يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات * (المجادلة : ١١) . والملائكة الكرام تضع أجنتها لطالب العلم ، سواء كان علمه في آيات الله المنظورة — الكونية — أو في آيات الله المنظورة — الشرعية — ، ان خلصت نيته لمن يعلم السر وأخفى ، وان عمل بما علم .

((وان نقيها واحدا متميدا أرشد على الشيطان من ألف عابد)) . وهكذا فسان الايمان بالملائكة المنفرد من الايمان بالله يدفع النفس لطلب العلم النافع — ويسكنى كان أو دنوى — والصبر على تحصيله ، والعمل به ، والهجرة من أجله .

ونختم هذا الفصل بكلام مفيد لفضيلة الاستاذ محمد قطب يقول فيه :

(والايمان بالملائكة يؤدى مهمة مزدوجة أو جملة مهام فى وقت واحد • فجبريل — عليه السلام — هو الذى نزل بالوحي على سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — ومن ثم فالايمان بجبريل — وهو أحد الملائكة — والشعور بالحب والمودة له جزء من الاحقاد اللزيم للمؤمن ، كالايمان بصدق القرآن سواء • حتى لا يداخله شك فى الطريق الذى وصل به اليه القرآن •

ثم ان الملائكة عامة ذات صداقة ومودة للمؤمنين فى الحياة الدنيا وفى الآخرة :
* ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون * (فصلت : ٣٠) •

ثم ان منهم الحفظة الذين يسجلون على الانسان أعماله : * وان عليكم لحافظين (الانفطار : ١٠) ومعرفة ذلك كله : ترحس القلب بتلك المودة النورانية التى تحسها الملائكة نحوه •

كما أنه يحاول أن يلتزم بالسلوك الذى يفرضه عليه الايمان ، حتى لا يسجل عليه الحفظة الاكل طيب من الأفكار والمشاعر والسلوك • ومن هنا فان الايمان بالملائكة يؤدى (مهمة ايمانية) فى حياة المؤمن تتصل بالايمان بالله ، فى الاحقاد والسلوك سواء • بالاضافة الى تلك السمة النفسية التى يكتسبها الانسان حين ينفصح أمامه عالم الكائنات ، فلا يقتصر منها على ما تدركه حواسه فحسب • • • وان تلك السمة ذاتها لمن ارادة الله للمؤمن الذى يحمل الأمانة لتحسن حملها ، ويكون أقدر على تصورها أبعادها • • •

وبالاضافة كذلك الى الاحساس بعظمة الخالق ، الذى خلق هذه الكائنات الملوية الشفيفة * الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة أولى أجنحة منى وثلاث وربع * (فاطر : ١) (١) •

الفضل والبركة

أمر الإيمان بالكتب السماوية

— في تربية النفس —

تمهيد :

ان الايمان بالله تعالى يحتلزم التصديق بالكتب السماوية التي نزلت على رسل الله - عليهم افضل الصلوة والسلام - .

قال تعالى : " قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وهارون وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون " (البقرة : ١٣٦)

ومعنى الايمان بالكتب السماوية :

هو التصديق بالجزم بأن المولى جل وعلا أنزل على بعض أنبيائه ورسله - عليهم الصلوة والسلام - كتباً لهداية الخلق .
وأن هذه الكتب حق ونور وشفاء لما في الصدور .
ولا يعلم عدد هذه الكتب الا الله تبارك وتعالى .

ويجب الايمان بالكتب التي أنزلت :

اجمالا : " وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب " (الشورى : ١٥) .
" يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل " (النساء : ١٣٦) .

وتفصيلا : وهي التي ذكرها الله تعالى بأسمائها في القرآن الكريم تحديداً وهي :

صحف ابراهيم وموسى : " ان هذا لفي الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى " (الأعلى : ١٨ و ١٩) .

والتوراة : " انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور " (المائدة : ٤٤) .
 والنور : " وآتيناه داود نبأه " (النساء : ١٦٣) .
 والانجيل : " وقفنا على آثارهم بميسى ابن مريم مصداقاً لما بين يديه
 من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور مصداقاً لما بين يديه من التوراة وهدى
 وموعظة للمتقين " (المائدة : ٤٦) .

والقرآن الكريم : " وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً " (الاسراء : ١٠٦) .
 " انه لقرآن كريم " في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون .
 تنزيل من رب العالمين " (الواقعة : ٧٧ - ٨٠) .
 " نزل به الروح الأمين " .
 على قلبك لتكون من المنذرين " بلسان عربي مبين " (الشعراء : ١٩٣ - ١٩٥) .

ملحوظة :

ما نسب للكتب السماوية — التي نزلت قبل القرآن الكريم — مما يخالف طوحيد
 الله عز وجل ، أو مما يطعن في عصمة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) ، أو مما
 يناقض بعضه بعضاً ، أو مما لا يصدقه طاقل ... فانه من تحريف أصحابها ، كما
 قال تعالى : " يحرفون الكلم عن مواضعه " (النساء : ٤٦) .
 وأما أصل هذه الكتب السماوية فانه حق صدق وهدى ونور ... ولكن التحريف
 والتبديل طراً عليها يمد ذلك .

وعلى المسلم أن يتوقف فيما جاء فيها مما لا يتعارض مع دين الاسلام ، فلا يصدقه
 ولا يكذبه ، وأن يلتزم بقوله (صلى الله عليه وسلم) :
 (اذا حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وكتبه
 ورسله ، فان كان حقا لم تكذبوهم ، وان كان باطلا لم تصدقوهم) (١) .

(١) الفتح الرباني ١/ ١٧٦ .

والقرآن الكريم هو الوحيد — من بين الكتب السماوية — الذي حفظ من التغيير والتهديل والتجريف والزيادة والنقص : " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " (الحجر : ٩) .

وهو الوحيد الصالح لكل زمان ومكان ومجال ، وهو يكتفينا بمشرك المسلمين — في معرفة ما ينفعنا في الدارين .

ونتحدث فيما يأتي بإيجاز شديد عن هذه الكتب السماوية :

صحف ابراهيم وموسى :

لم يرد في كتاب الله المجدد ذكر لصحف ابراهيم وموسى الا في سورة النجم حيث قال تعالى : " لم ينهأ بها في صحف موسى ، وابراهيم الذي وفى " (٣٦ و ٣٧) . وفي سورة الأعلى حيث قال جل شأنه : " ان هذا لفي الصحف الأولى " صحف ابراهيم وموسى " (١٨ و ١٩) .

وهل ماورد في التوراة يتفهم من ملجاء في صحف موسى ؟ (١)
لاستطيع اثبات ذلك أو نفيه ، والله تعالى أعلم بذلك .

(١) السهوطى : الدر المنثور ٣٤١/٦ .

والهيثمى : موارد الظمان ص ٥٢ — ٥٤ .

التسوية :

وهي مجموعة الأسفار الخمسة التي نزلت على موسى (عليه وعلى نبيينا أفضل الصلاة
واتم التسليم) •

وتطلق التوراة أحيانا على جميع أسفار العهد القديم وذلك من باب التغليب ،
لأهميتها ونسبتها الى موسى (عليه الصلاة والسلام) والتوراة : كلمة عبرية معناها
التعليم أو الشريعة أو الناموس • وجرت العادة أن يطلق على أسفار العهد القديم
وأسفار العهد الجديد اسم الكتاب المقدس •

وقد اهتمت اليهود تسعة وثلاثين سفرا ، أطلق عليها اسم (العهد القديم)
للتفريق بينها وبين ما اهتم به النصارى من أناجيلهم التي أطلقوا عليها اسم (العهد
الجديد) •

ويقسم العهد القديم الى أربعة أقسام هي :

التوراة : وهي خمسة أسفار :

سفر يذكر فيه بدء الخليقة والتاريخ من آدم الى يوسف (عليهما وعلى نبيينا أفضل
الصلاة والسلام)

وسفر يذكر فيه استخدام المصريين بني اسرائيل • وظهور موسى - عليه الصلاة
والسلام - • وهلاك فرعون • وأحوال التيه • وإقامة هارون - عليه الصلاة والسلام •
ونزول الكلمات المشر وسماح القوم كلام الله •

وسفر يذكر فيه تعلم القوانين بالاجمال •

وسفر يذكر فيه عدد القوم • وقسمة الارض عليهم • وأحوال الرسل التي بعثهم
موسى (عليه الصلاة والسلام) الى الشام • وأخبار المن والسلوى والضام •

وسفر يذكر فيه إعادة أحكام التوراة ، وتفصيل المجلد ، وذكر وفاة هارون وموسى
(عليهما الصلاة والسلام) (١)

وتسمى هذه الأسفار بسفر التكوين وسفر الخروج وسفر التثنية وسفر العدد
وسفر اللاويين .

ثم الأسفار التاريخية .

ثم أسفار الأنبياء .

ثم أسفار الأنبياء — عليهم الصلاة والسلام (٢) .

وكما ذكرنا آنفا فان هذا الكتاب — وغيره من الكتب السماوية السابقة للقرآن
الكريم — منسوخ ومحرف وموكل حفظه للبشر ، كما قال تعالى : * انا أنزلنا التوراة
فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا واليهانيسون والأحبار
بما است حفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء * (المائدة / ٤٤) .

ومما ورد في التوراة — كما أخبرنا بذلك المولى عز وجل في القرآن الكريم —
* وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والمسموع بالأنف والأذن بالأذن
والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله
فأولئك هم الظالمون * (المائدة : ٤٥) .

* محمد رسول الله والذين معه أشد على الكفار رحما * بينهم تراهم ركعاً
سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم
في التوراة * (الفتح : ٢٩) .

(١) مما يدل على تحريف التوراة : ذكرها وفاة هارون وموسى (عليهما الصلاة والسلام)

وهي التي تزلت على موسى !!!

(٢) انظر ابن الأزرق : بدائع الملك ١ / ١٢١ .

وعبد المنيز عبيد : محاضرات في الأديان (ألقاها علينا في السنة المنهجية ١٣٩٢ هـ)

والعبدانى : المقيدة الإسلامية ص ٥٤٦ ،

وربى نعمناه : الاسرائيليات ص ٣١ .

الزبور : (١)

الزبور : الكتاب • وزبور : أى مكتوب • وكل كتاب يسمى زبوراً وصفاً ورد فسمى الزبور كما أخبرنا بذلك القرآن : " ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون " (الأنبياء : ١٠٥) •

قال أبو هريرة (رضى الله عنه) : الزبور : ما أنزل على داود (عليه الصلوة والسلام) ومن بعد الذكر : أى من بعد التوراة •

وقال تعالى : " وكل شئ فعلوه فى الزبور " (القمر : ٥٢) أى مسجل فى كتب الملائكة وصحفهم •

وقد غلب الزبور على كتاب داود (عليه الصلاة والسلام) • قال تعالى : " وآتيناه داود زميراً " (النساء : ١٦٣) •

وسمى بالزبور : لأنه نزل من السماء مطوراً •

والزبور : مائت وخمسون سورة — زماراً — ليس فيها حكم أو حلال أو حرام • وإنما هى حكم ومواعظ وأدعية وتحجيد وتمجيد وثناء على الله تعالى •

قال (صلى الله عليه وسلم) لأبى موسى الأشعرى (رضى الله عنه) : (لو رأيتنى وأنا أستمع لقراحتك البارحة ! لقد أوتيت زماراً من زمامر آل داود) (٢) •

وذكر ابن حبان (صاحب البحر المحيط) : أنه قرأ جملة من الزبور فى الأندلس (٣) •

(١) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ١٦/٦ •

وأبو السمود : ارشاد العقل السليم ٢٥٥/٢ •

والشوكانى : فتح القدير ٥٣٨/١ •

وابن قتيبة : تفسير غريب القرآن ص ٣٧ •

وابن الأزرق : بدائع السلك ١٢٣/١ •

والزبيدي : تاج المروس ص ٣٩٩ •

(٢) مسلم ٥٤٦/١ •

(٣) ابن حبان : البحر المحيط ٣٩٢/٣ •

الانجيل : (١)

هو الكتاب الذى أنزله الله تعالى على المسيح (عليه الصلاة والسلام) • وليس هو ما يأيدى النصارى اليوم ! والانجيل : كلمة عبرية معناها : البشارة • والكتاب المقدس لدى النصارى • يشمل التوراة والانجيل رسائل الرسل •

التوراة : ويسمونها كتب العهد القديم • وبعض الأسفار المعتبرة عند اليهود مرفوضة عند النصارى • لعدم اعتقادهم بصحتها •

الانجيل : وهى انجيل متى وانجيل مرقس وانجيل يوحنا وانجيل لوقا • وقد اعترفت بها الكنيسة فى القرن الثالث الميلادى • ولم تعترف بالانجيل برنابا (مع أنه أقربها للصواب) !

الرسائل : وهى الرسائل التعليمية •

ويعترف النصارى بأن الانجيل الأربعة المتداولة بينهم • ثم اختارها من بين عشرات الانجيل التى كانت منتشرة آنذاك ! ومن المهم بالضرورة أن عيسى (عليه الصلاة والسلام) أتى بانجيل واحد من عند الله تعالى • ولا يستطيع هؤلاء أن يثبتوا أن أحد الانجيل الأربعة مطابق بنصه ومعناه للانجيل الذى جاء به المسيح (عليه الصلاة والسلام) •

ولا يزعم النصارى أن هذه الكتب كتبها عيسى (عليه الصلاة والسلام) نفسه • بل يزعمون أن الذين كتبوها رسل من بعده • مبعوثون بها • وإذا بحثنا فى مراجعهم فلان نجد مرجعاً صحيحاً قرر أن هؤلاء الرسل قد ادعوا مثل هذه الرسالة ودعوا الناس الى الايمان بها ومعهم البرهان عليها •

وقد تمديدت نسخ هذه الكتب فيما بعد فيما نقلته من أقوال وآراء ، ونسخ الانجيل
بأجمعها — يخالف بعضها بعضا ويناقضه .

بالإضافة الى ذلك : فان اسناد هذه الانجيل غير صحيح ، وجهول ومنقطع .
وأما عقيدة المسيح (عليه الصلاة والسلام) فهي التوحيد الخالص :
” واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون
الله قال سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم
ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتنى به
أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت
الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد ” . (العائدة : ١١٦ و ١١٧) .
ومما ورد فى الانجيل الصحيح الذى تنزل على عيسى (عليه الصلاة والسلام) : ” ومثلهم
فى الانجيل كخرج أخرج شطاء فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ
بهم الكفار ” (الفتح : ٢٩) .

= (١) انظر ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣٨ / ١ ،

وأبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص ١٤ و ٤٧ و ٩٣ .

ومتولى شلبى : أضواء على المسيحية ص ٣٧ ،

والجبهان : حقائق عن النصرانية ص ٤١ ،

ونمناعة : الاسرائيليات ص ٥٥ ،

والصابونى : النبوة والأنبياء ص ٢٠٥ ،

والمهدائى : العقيدة الاسلامية ص ٥٢٢ .

تنبيه : الأصل أن يقال (النصرانية) لا المسيحية — كما هو شائع —
لأن لفظ المسيحية لم يرد فى الكتاب أو السنة | والأديان لا تنسب
لأنبيائها ، فلا يقال مثلا الديانة الموسوية أو الديانة المحمدية !
كذلك فان المسيح (عليه الصلاة والسلام) برئ من هؤلاء النصارى |

القرآن الكريم :

((هو كلام الله المعجز ، المنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - بواسطة جبريل - عليه السلام - المكتوب في المصاحف ، المنقول بالتواتر ، المتمهد بتلاوته ، المبدوء بسمرة الفاتحة : المختوم بسمرة الناس)) (١) .

قال تعالى : " انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون " (يوسف : ٢) وقال تعالى : " تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا " (الفرقان : ١) وسمى القرآن قرآنا : لأن آياته قرئت بعضها ببعض ، وقيل : لأنه قرن بالحكمة (٢) ، وقيل : لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعيد والوعد والآيات والسر بعضها إلى بعض (لأنه مشتق من القرء وهو الجمع) .

ويرى الشافعي (رحمه الله) . أن القرآن لغة : اسم طم غير مشتق خالص بكلام الله . ويرى الفراء والزجاج والليثاني وغيرهم : أنه مشتق ، غير أنهم اختلفوا في مادة اشتقاقه (٣) .

وأشهر أسمائه : القرآن والفرقان والكتاب والذكر والتنزيل (٤) .

(١) أخذنا تعريف القرآن الكريم من :

ابن النجار : شرح الكوكب المنير ٧/٢ ،

والآمدى : الاحكام ١٥٩/١ ،

والامام الخزالي : المستقصى ١٠١/١ ،

وابن اللحام : المختصر في أصول الفقه ص ٧٠ ،

والزرقاني : مناهل العرفان ١٩/١ ،

والصابوني : التبيان في علوم القرآن ص ٦ .

(٢) سليمان الجمل : حاشية الجمل على الجلالين ٢٤١/١ .

(٣) عدنان زرزور : دراسات قرآنية ص ٤٣ ،

وابن قتيبة : تفسير القرآن ص ٣٣ .

(٤) الزرقاني : مناهل العرفان ١٥/١ .

والقرآن الكريم — كما ذكرنا — خاتم الكتب السماوية وناسخها والمهيمن عليها
والصدق لها ، تكفل الله عز وجل بحفظه — بخلاف غيره من الكتب السماوية —
ولا يقبل الله من أحد لا يؤمن بحكمه أو متشابهه أو لا يحل حلاله أو لا يحرم حرامه
صرفاً ولا عدلاً .

صدق الله العظيم : * وأنزلنا إليك الكتاب بالحسنى صدقاً لما بين يديه من
الكتاب وصهيئتنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق*
(المائدة : ٤٨) .

وهو بايجاز :

((جعل الله المتين ، ونوره البين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ،
وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشعب عليه الآراء ،
ولا يشرح منه العلماء ، ولا يلهي الانتقيا ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه .
وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا " إنا سمعنا قرأنا عجبا " (الجن : ١) .
من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجسر ،
ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم)) .

■ ■

عن أبي موسى الأشعري — رضى الله عنه — عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال :
(مثل الذي يقرأ القرآن : كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب . والذي لا يقرأ
القرآن : كالتمر طعمها طيب ولا ربح لها . ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن :
كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر . ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن : كمثل
الحنظلة طعمها مر ولا ربح لها) (١) .

(١) البخارى ١٠٧/٦ و ٩٢ .

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قال النبي (صلى الله عليه وسلم) :
 (ما من الأنبياء نبي الا أعطى ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيت وحياً
 أوحاه الله الى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة) (١) .
 ومن أهم خصائص القرآن الكريم (٢) :

أنه خاتم الكتب الربانية المنزلة على الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام)
 نهينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم) .
 وأنه الكتاب المعجز في بناء الهيئته ، والمعجز في مضمونه ومعناه .
 (وأعجاز القرآن الدائم هو الدليل الخالد على أنه كلام الله تعالى حقاً) .
 وأنه الكتاب المحفوظ والمصون من التحريف والتبديل والنهابة والنقصان .
 وأنه المصدر الأول للمفاهيم الإسلامية كلها وللتشريع الاسلامي الذي يشمل
 كل أنواع السلوك البشري .

ولله در القائل :

الله أكبر ان ديسن محمد :
 وكتابه أقوى وأقوم قِيَمًا
 لا تذكر الكتب الموائف قبله
 طلع الصباح فأطسفي القنديلا .

(١) البخارى ١٠٢/٦ و ٩٧ .

(٢) الميداني : معلومات عامة حول القرآن ص ٩ .

وانظر ما كتبه العلامة المودودي حول مميزات كتاب الله الكريم والفرق بينه وبين

الكتب السابقة في مبادئ الاسلام من ص ١٠٤ - ١٠٩ .

إذا كان الحق تبارك وتعالى قد " أعطى كل ^{شئ} خلقه ثم هدى " (طه : ٥٠)
 فهدي المخلوقات - الناس لقطر الصامته - لنفاسها وبها الحياة كالهامة تعالى التحل
 لتتخذ من الجبال من الشجر ومن الأوكار التي بينهما الناس لها بيوتها ، وأرسلها
 بقدرته للأكل من جميع الأزهار ، وهداها وسهل لها الطرق في ذاهبها وإيابها ،
 كما قال تعالى : " وأوحى إليك إلى التحل أن تتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر
 وما يعمرشون " ثم كلمى من كل الثمرات فاسلكى سهل ريك ذللا يخرج من بطونها
 شراب مختلف ألوانه فهو شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون " (النحل : ٦٨ و ٦٩)
 إذا كان الأمر كذلك كما قيل فهل من المحقول أن يترك الله عز وجل الانسان وقد
 خلقه فى أحسن تقويم وفضل على كثير من خلق وشرفه بأن خلقه بيده وجعله خليفة
 فى الأرض . . هل من المحقول أن يدهم يتوه فى الأرض بغير هدى ولا رسول
 ولا كتاب مبين ؟ !

لقد خلق الله الانس - والجن أيضا - لعبادته :

" وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " (الايات : ٥٦)

فلذا بعث أنبياءهم ورسله - وأنزل معهم الكتب - مبشرين ومنذرين :

" انا أوحينا إليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم

واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وهيمسى وأيوب ويونس وهارون وآتينا داود زبوراً

ورسلنا قد قصصناهم عليك ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً . . .

مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكماً "

(النساء : ١٦٣ - ١٦٥) .

لقد جاء رسل الله - عليهم الصلاة والسلام - حتى يقودوا سفينة الحياة السسى

الله العزيز الحميد ، وليأخذوا بيد البشرية الى شاطئ الأمان ، وليخلصوها

من برائن الشرك والكفر والجهل والضلال والظلام !

ان دين الله - الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب - هو دين واحد ، هو الاسلام والتوحيد :

” ان الدين عند الله الاسلام ” (آل عمران : ١٩) .

” ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ” (آل عمران ٨٥)

ومن هنا يخطئ من يقول بأن هناك أدباً سامية ، أو من يكتب في مقارنة الأديان ! لأن الأنبياء والرسلين جميعاً - عليهم الصلاة والسلام - جاءوا بدين الاسلام فحسب : ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه فسي الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له به اسلم قال اسلمت لرب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنوه يعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون . أم كنتم شهداء . اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لنيه ما تمجدون من بعدى قالوا تمجد اليهك واله آباءك ابراهيم واسماعيل واسحق السبا واحدا ونحسن له مسلمون ” (البقرة : ١٣٠ - ١٣٣) .

” فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكناسا مسلمين . . قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسيت لجة وكشفت عن ساقها قال انه صرح مرد من قواهر قالت رب انى ظلمت نفسى واسلمت مع سليمان لله رب العالمين ” (النحل : ٤٢ و ٤٤) .

” يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ” (المائدة : ٤٤) .

” ولكل أمة جعلنا منسكاً ليدذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فاليهسكم

اله واحد فله أسلموا وبشر المختبين ” (الحج : ٣٤) .

” قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ” (آل عمران : ٥٢)

” وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرح علينا صبراً وتوفناً مسلمين ”

(الأعراف : ١٢٦) .

• واتسل عليهم نبياً نوح • وأمرت أن يكون من المسلمين • (يونس : ٢٢ و ٢٣)

• وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين • (يونس : ٨٤)

• قال انى امرت أن أكون أول من أسلم • (الأنعام : ١٤) •

• وأنا من المسلمين • وأنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً • (الجن : ١٤)

• وان مهمة الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - هي الهلاخ المبين • فمسئل

على الرسل الا الهلاخ المبين • (النحل : ٣٥) •

والهلاخ يتضمن الدعوة الى الايمان بالله تعالى :

• قولوا آتينا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب

والأسباط وما أوتى موسى وهارون النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن

له مسلمون • (البقرة : ١٣٦) •

ويتضمن أيضاً : التبشير والانذار ، حتى لا يقول الناس :

• ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا ففتح آياتك من قبل أن نذل ونخزى • (طه : ١٣٤) •

• ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا ففتح آياتك ونكون من المؤمنين • (القصص : ٤٧) •

وقد شاءت ارادة المولى جل وعلا ألا يهلك أحداً في الدنيا ولا يعذب به في الآخرة

الا بعد الكفر والتكذيب والمصيان :

• وما كان يهلك يهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يخلو عليهم آياتنا وما كنا

مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون • (القصص : ٥٩) •

ولذا فقد جاءت الكتب السماوية لهداية البشر :

• وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لمعلم تهتدون • (البقرة : ٥٣)

• نزل عليك الكتاب بالحق صدقاً لما يوحي إليه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل

هدى للناس وأنزل الفرقان • (آل عمران : ٣ و ٤) •

وجاءت لتحكم شريعة الله في الأرض :

• انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذي بين
هادوا والريانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا
الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم
ال كافرون • وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف
والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم
يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون • وكتبنا على آثارهم بحمى ابن مريم
مصدق لما بين يديه من التوراة وآتينا الانجيل فيه هدى ونور ومصدق لما بين
يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين • ولحكم أهل الانجيل بما أنزل الله
فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون • وأنزلنا إليك الكتاب بالحق
مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فأحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع
أهواءهم مما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا • • • (المائدة ٤٤ - ٤٨)

ان الكتب السماوية تجمل المؤمن بشعر بقيمته عند الله تبارك وتعالى :

فقد خص الله تعالى هذا الانسان — من بين مخلوقاته — بالخلافة فى الأرض ، ولم يتركه سدى ، يتيه فى الأرض بغير هدى ولا كتاب يبين له معالم الطريق ، بل بعث الله رسلا مبشرين ومنذرين وأنزل معهم " الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط " (الحديد : ٢٥) .

وقد بعثت هذه الكتب ما ينفع الناس فى الدارين وما يؤدى بهم الى جنة عرضها السماوات والأرض . وما يضرهم فى الدنيا وما يؤدى بهم الى شقاوة لاسمادة بعد ها أبدا . ونهت هذه الكتب كذلك على أن النافع الضار المعز المذل المحيى المميت الخالق الرازق هو الله عالم الغيب والشهادة . وهذا يزداد الذين آمنوا بالله — وما أنزل على رسله من كتب — ايمانا وطمأنينة وثقة وصبرا وحمدا وشكرا وتوكلا على من بيده الخلق والأمر .

وهذه الكتب السماوية تجمل المسلم بشعر بالمزة واستعماله الايمان ، حيث تبيين له هذه الكتب بأنه واحد من قافلة المؤمنين — على مدار التاريخ — وهذه الرابطة الايمانية القوية هى التى يفخر بها دون غيرها من الروابط الأرضية المادية :

" ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون " (الأنبياء : ١٢) .

فقد نادى الأنبياء والرسل — عليهم الصلاة والسلام — بكلمة واحدة " اعبدوا الله ما لكم من اله غيره " (الأعراف : ٦٥) . — كما سنفصل ذلك عند الحديث من أثر الايمان بالرسول فى تربية النفس ان شاء الله — .

وسلكوا طريقا واحدا .. وجاؤوا بدين واحد .. وجاهدوا فى الله حق جهاد .. وتمرض معظمهم للذى والاضطهاد فى سبيل الله .. ولكنهم صبروا وصابروا وربطوا .. وكانت العاقبة لهم فى الدنيا والآخرة !

ويعتقد المؤمن بأن ما نزل على الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم -

من كتب هي حق ونسور وشفاء لما في الصدور .

• " انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور " (المائدة : ٤٤) .

• " وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور " (المائدة : ٤٦) .

• " ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى رحمة ورحمة للمسكين " (النحل :

٨٩) .

وهذا ذلك يستشعر رحمة الله تعالى بخلقه أجمعين ، حيث خلقهم ورزقهم

وأرسل إليهم الرسل وبعث إليهم الكتب لهداية العالمين ، وهذا يدفع المرء للحرص

على طاعة مالك يوم الدين ، وتقديم طاعته على كل شيء في الوجود للفوز بمسعادة

الدارين .

ان مهمة الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - الذين آتاهم الله

الكتاب والحكم والنبوة هي الدعوة الى الله وإخلاص العبادة له وهدم الأصنام

شيثاً ، لأنها مرسلات ولا ملأنا مقرباً .

ومهمتهم كذلك حث أتباعهم المؤمنين على تعلم الفقه والحكمة ودارسة الكتاب

وتدريسه :

• " وما كان لشر أن يوحى الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى

من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ، ولا يأمركم

أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيا أمركم بالكفر بعد أن كنتم مسلمين " (آل عمران :

٧٩ و ٨٠) .

والإيمان بالكتب السماوية يجعلنا معشر المؤمنين - أتباع النبي الأمي -

(صلى الله عليه وسلم) - في غاية السعادة والسرور ، لأن الله تبارك وتعالى

مدح أمتنا الإسلامية قبل خلقها ! وهذا مناقبها في التوراة والانجيل ، وبين أن أهم

صفاتها :

اتباع محمد (صلى الله عليه وسلم) قولا وعلا في جميع عئون الحياة ، وأن هذه الأمة معه قلبا وقالها •

والجهاد في سبيل الله — بجميع أنواعه — وخاصة جهاد الكفار والغلظة عليهم ، والذلة على المؤمنين ورحمتهم مقابل ذلك • والقيام بالشعائر التعمدية على أحسن وجه ، فهم رهبان الليل فرسان النهار •

والسمى في طلب الحلال والابتغاء من فضل الله ، فلا تنافس في حسم بين الدنيا والآخرة •

كل هذه المعاني تضمنتها الآية الكريمة ،

* محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في الثروة ... * (الفتح : ٢٦) •

والكتب السماوية تعلم المؤمنين — في كل زمان ومكان — المدالة الربانية ، وأن سنة الله لا تعابى أحدا ، فالكل عبيده ومن مخلوقاته : وكل بشير ومحاسب عن أعماله وسيجازى عليها ، ان خيرا فخير وان شرا فشر ، ولا يحمل شخص حمل غيره ولو كان ذا قرى •

جاء ذلك في صحف ابراهيم وموسى وفي الفرقان :

* أم لم ينبا بما في صحف موسى • وابراهيم الذي وفى • ألا تنرا وزر أخسر * (النجم : ٣٦ — ٣٨) •

وهذا ما لكتب السماوية تبين فضل خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (صلى الله عليه وسلم) وفضل اتباع المؤمنين ، فتجعلنا نشعر — معشر المسلمون — بالفهظة والمسـرور حينما نعلم بأن الله عز وجل قد أخذ العهد المؤكد على جميع النهمين — عليهم الصلاة والسلام — لئن بعث محمد — صلى الله عليه وسلم — وهم أحياء ليؤمنن به ولنصرنه •

وأن يأخذوا الصهد على اتباعهم بذلك . . ومن نكث عهده . — من اتباع رسل
الله — فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين .

وقد وردت صفته — صلى الله عليه وسلم — وصفة اتباعه في أهم كتابين سماويين
— بعد القرآن الكريم — هما التوراة والانجيل :

* الذين يتبعون النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل
يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع
 عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وحدهم واتبعوا النور
الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون * (الأعراف : ١٥٧) .

عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص — رضى الله عنهما —
قلت : أخبرني عن صفة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في التوراة . قال :
أجل والله أنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : * يا أيها النبي أنا أرسلناك
شاهدا وبشرا ونذيرا وحزا للأُميين أنت عدي وممولى سميتك المتوكل ليس
بمفظ ولا غليظ ولا سخاب — سخاب — في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن
يعفو ويغفر ولن يقبضه إلا حتى يقم به الملة الموجاء بأن يقولوا لا اله الا الله
ويفتح بها أمنا عينا وآدانا مما رقلوا غلفا (١) .

(١) رواه البخارى ٢١/٣

حرزا : أى حصنا .

للأُميين : أى للعرب ، وسما بذلك : لأن أغلبهم لا يقرأ ولا يكتب .

المتوكل : أى على الله ، لقناعته — صلى الله عليه وسلم — باليسير من السروق .

واهتمامه على الله في النصر ، والصبر على انتظار الفرج ، واليقين بتعام وعد الله .

ليس بمفظ : أى ليس بجاف ولا بهسى الخلق .

سخاب (سخاب) : أى لا يرفع صوته على الناس لسوء خلقه ولا يكثر الصياح عليهم .

بل يلين جانبهم لهم ويؤنسق بهم .

ولكن يعفو ويغفر : ما لم تنتهك حرمة الله .

وتعلم هذه الكتب السماوية — أتباعها المؤمنين — أن الصفقة قد تمت بين الله
تبارك وتعالى — الذي خلق النفوس وخلق الجنان — وبين عباده الصالحين !
فالمؤمنون باعوا أرواحهم وذللوها — وكل ما يملكون — رخيصة في سبيل الله . . والله
جل وعلا اشترى هذه النفوس . . والثمن هو الجنة !

ومات بين المولى سبحانه وتعالى وبين عباده المخلصين المجاهدين ورد ذكره
في أهم الكتب السماوية — التوراة والانجيل والقرآن الكريم — كما جاء في كتاب الله
المجيد .

* ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فـسـي
سهل الله فيقتلون ويقتلون وذا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن* (التوبة ١١١) .
فطوى لمن آمن بهذه الكتب — التي نزلت من عند الله — وهل بما جاء به المرسلون
وجاهد في سهل الله ونال إحدى الحسنين !

وتعلم هذه الكتب — فوما تعلم — أن الله هو جل وعد عباده الذين آمنوا وهدوا
الصالحات — بلا انقسام بينها — التمكين في الأرض ووراثتها وتهديل الخوف أناسا
وكان وعد الله مفعولا : جاء ذلك في الزبور والقرآن الكريم :

= حتى يقيم به الملة العوجاء : فان ملة ابراهيم — عليه الصلاة والسلام — قد
اعوجت في أيام الفترة؛ فزيدت ونقصت وغيّرت عن استقامتها وأميلت بعد قوامها ،
حتى بحث — صلى الله عليه وسلم — فأقامها بالتوحيد .
ويفتح بها أعينا ضياء : ولاتنافي بين هذا وبين قوله تعالى : * وما أنست
بعبادى الصمى عن غلاتهم* لأن معنى الآية أنتمسك لاتستغل بعباديتهم
بل انك لتهدى الى صراط مستقيم بإذنه تعالى .
قلوبا غلغا : هي ظلال الشرك والمعاصي .
انظر فتح البدي للشيخ قاروى ١٨٣/٢ . * (النمل : ٨١)

" ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون "

(الأنبياء : ١٠٥) .

" وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم فى الأرض كما

استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليهدى لهم من بعد

خوفهم أمنا بعد ونرى لا يشركون به شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون "

(النور : ٥٥) .

قاله هو رجل لا يحياى أحدا من خلقه ، فمن تمسك به دين الله فهو السعيد . .

والا فجزاؤه فى الآخرة عذاب شديد !

الفصل الثالث

أثر الإيمان بالرسول
جاءه الصلوة والسلام

في تربية النفس

تمهيد :

حينما هبط آدم — عليه الصلاة والسلام — من الجنة الى الأرض ، بين الله تعالى له
ولذريته من بعده الصراط المستقيم ، المودى الى رضوان الله وجنته • ولم يترك
المولى عز وجل عباده هملا يتيهون فى الأرض بغير هدى ولا كتاب منير ، بل بعث
اليهم أنبياء ومرسلين مبشرين ومنذرين * لئلا يكون للناس على الله حجة بعد
الرسول * (النساء : ١٦٥) •

ولم تخل أمة من نبي — أو رسول — أرشدها الى سواء الصراط * وان من أمة
الا خلا فيها نذير * (فاطر : ٢٤) •

ومن مميزات هؤلاء الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) (١) :

أ — أن العلم الذى ينشره بين الناس والمقيدة التى يدعون اليها والدعوة التى
يقومون بها ، لاتبع من ذكائهم • انما مصدره الوحي والرسالة التى يحفظون بها *

ب — إخلاص الدين لله تعالى • وإفراد العبادة له وحده • وأنه النافع الضار
المستحق للعبادة والدعاء والالتجاء والتسك •

ج — لا يخضعون لموايل نفسية داخلية أو هوى ذات وقتية خارجية • ولا يستطيعون
أن يحدثوا تهديلا أو تحويرا أو تعديلا فى رسالتهم •

د — الحكمة والتيسير والدرج : وهذا فى التعليم والتهية وما لهم من المقائيد

وبهاده الدين فى شئ • أما ما كان فى المقائد والبهادى والفرائض وما يفرق

بين الايمان والكفر ، فالأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) لا يعرفون تنازلا أو هوادة
أو مساومة •

(١) الندوى : النبوة والأنبياء من ص ٤٣ — ٤٩ باختصار •

* تنبيه : هناك ألفاظ خاطئة يطلقها بعضهم على النبي (صلى الله عليه وسلم)

بحسن نية — أو بسوء نية — كقولهم عنه : انه عبرى ، أو فيلسوف

أو بطلس الأبطال !

تعريف النبي والرسول :

النبي : رجل حر أوحى الله اليه بشروح ولم يؤمر بتبليغه . أو أمر أن يبلغ شريعة سابقة ، ن غير نسخ لبعض أحكامها .

والشطر الأول من هذا التعريف : يصدق على النبي (صلى الله عليه وسلم)

قبل نزول سورة المدثر عليه ، ولهذا قيل : (نبي باقراً وأمر بالمدثر)

والشطر الثاني من التعريف : يصدق على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام —

الذين أمروا أن يحكموا بالتوراة المنزلة على موسى (عليه الصلاة والسلام) وذلك

في قوله تعالى : * انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين

أسلموا للذين هادوا واليهانيم والأحبار * (المائدة : ٤٤) .

والرسول : رجل حر أوحى الله اليه بشروح ابتداءً وأمر بتبليغه . مثل :

موسى (عليه الصلاة والسلام) وغيره من المرسلين .

فالنبي والرسول : يشتركان في تلقي الوحي . ويفترقان في التبليغ فكل رسول

نبي وليس كل نبي رسولاً .

والدليل على التفريق بينهما : قول تعالى : * وما أرسلنا من قبلك من رسول

ولا نبي الا اذا اذننى ألقى الشيطان في أميته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم

الله آياته * (الحج : ٤٢) . فمطف نبي على رسول يدل على المفارقة

بينهما (١) .

(١) انظر الفرق بين النبي والرسول في :

المأوردى : أعلام النبوة ص ٣٧ .

وابن تيمية : النبوات ص ١٧٧ .

والبيضاوى : أصول الدين ص ١٥٤ .

وعلى الغزالي : المنحة الالهية ص ٩ .

وحسن عتر : نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) في القرآن ص ٤٧ .

وطبارة : مع الأنبياء في القرآن ص ١١ .

والتيجرى : فتح المعهود ص ١٢٠ فما بعدها .

ورشيد رضا : الوحي المحدث ص ٣٧ .

معنى الايمان بهم*

هو التصديق بأن الله تبارك وتعالى بعث الى عباده أنبياء ومرسلين مبشرين
ومنذرين ، بلغوا ما أُرسلوا به على أكمل وجه . وأنهم يؤيدون بالمعجزات الدالة على
صدقهم .

ويجب الايمان بهم اجمالا ، الا من سمى الله لنا منهم فيجب الايمان بهم
على التفصيل . وأنه لا يحصى عددهم الا الله تعالى .

والمذكورون منهم في القرآن الكريم هم :

آدم ، ادريس ، نوح ، هود ، صالح ، ابراهيم ، لوط ، اسماعيل ، اسحاق ،
يعقوب ، يوسف ، يونس ، أيوب ، شعيب ، موسى ، هارون ، داود ، سليمان ،
الهاشمي ، المسيح ، ذو الكفل ، زكريا ، يحيى ، عيسى ، محمد (عليهم جميعا
أفضل الصلاة وأتم التسليم) .

وقد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى : * وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم
على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم . ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا
هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون
وكذلك نجزي المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى والهاشمي كل من الصالحين . واسماعيل
والمسيح ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين * (الأنعام ٨٣ - ٨٦) .

■ ■ ■

قال الشاعر :

حتم على كل ذي التكليف معرفة	بأنبياء على التفصيل قد علموا
في (تلك حجتنا) منهم ثمانية	من بعد عشر يبقى مائة وهم
ادريس هود شعيب صالح وكذا	ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا (١)

* انظر كتاب الايمان لشيخنا الفضل محمد نعيم ياسين ص ٤٨ .

(١) البيهقري : تحفة المريد ص ٢٤ .

صفاتهم

يتصفون (عليهم الصلاة والسلام) : بالصدق والأمانة والتبليغ والقطانسة
والعصمة والسلبية من الميوب المنفسرة •

عصمتهم (١) :

العصمة : هي حفظ الله عز وجل لأتباعه (عليهم الصلاة والسلام) عن ارتكاب
المعاصي • وأجمع الجمهور على عصمتهم • وتأولوا ما روى عنهم من زلات : بأنها
كانت قبل النبوة ، أو أنها محمولة على الخطأ في الاجتهاد ، أو أنها خلاف
الأولى ، أو أنها من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين •

معجزاتهم (٢) :

وقد أيدهم الله تعالى بالآيات البينات ، وبخوارق العادات ، والمعجزات
المادية والمنهضة •

(١) انظر : ابن تيمية : منهاج السنة ٢٢٦/١ •

والزبير : الروض الباسم ص ١١٠ •
والبندي : الفرق بين الفرق ص ٣٤٣ •
والآمدى : الاحكام ١٦١/١ و ١٢٠ •
والذهبي : المنتقى من منهاج الاهدال ص ٥٠ •
والفراهي : عيون المقائد ص ١٤٣ •
والرازي : الأربعين في أصول الدين ص ٣٢٩ •
والألمى : مع المفسرين والمستشرقين ص ١١٢ •

(٢) انظر : الباقلاني : التصحيح ص ١٣٢ •

والشرقي : نير البرهان ٤٦/١ •
وابن تيمية : شرح العقيدة الاصفهانية ص ٨٨ •
والماوردي : اعلام النبوة ص ٢٢ •
والفراهي : عيون المقائد ص ١٦١ فما بعدها •

حكم منكرهم (١) :

يكفر كل من أنكر واحدا منهم :

قال تعالى : " ان الذين يكفرون بالله ورسله يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ينكفرون ببعض يريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا " (النسا : ١٥٠ و ١٥١) .

كلمة التوحيد :

جاء الأنبياء والمرسلون (عليهم الصلاة والسلام) بكلمة التوحيد (لا اله الا الله) ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور ومن الضلال الى الهدى ومن الكفر الى الاسلام . وهذه الكلمة — وان كانت قصيرة المباركة — طيها مدار الحياة الاسلامية ، لأنها تقتضى أن الله هو رب العالمين وخالقهم ومالكهم والمتصرف بهم ويدبر شؤونهم ، وأنه وحده — جل وعلا — المستحق لجميع أنواع الحمد والمعبادة ، وأنه المتصف بصفات الجلال والكمال والسنزه من النقائص . وهذه الكلمة أيضا : هي قضية الحياة الكبرى التى يمض الله من أجلها الرسل لمباده ، وجاء كل رسول لتعريف قومه بها أولا والعمل بها ثانيا . قال تعالى : " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " (الذاريات : ٥٦) .

ولا اله الا الله : معناها لاحكامية ولا طاعة ولا عبادة الا الله عز وجل . ولا خالق

وارازق ولا محيى ولا ميت ولا نافع ولا ضار الا من بهمه

الخلق والأمر .

(١) انظر كلام الشهرستانى فى منكرى النبوة (كتاب نهاية الاقدام فى علم الكلام —

ص ٤٢٨) .

وكل الأنبياء والمرسلين (عليهم الصلاة والسلام) بمشوا لتقرير هذه المقيسة :

" ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين : ألا تعبدوا الا الله ...

" والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم : اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ...

" والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم : اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ...

" والى مد يمن أخاهم شعيبا قال يا قوم : اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ...

(هود : الآيات ٢٥ و ٢٦ و ٥٠ و ٦١ و ٨٤) .

" قال فمن ربكما يا موسى : قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى (طه : ٤٩ و ٥٠)

" واذ قال الله يا عيسى ابن مريم .. ما قلت لهم الا ما أمرتنى به : أن اعبدوا الله

وس ربكم .. (المائدة : ١١٦ و ١١٧) .

" وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه : انه لا اله الا أنا فاعبدون " (الأنبياء :

٢٥) .

موقف الجاهلييات من دعوة المرسلين :

لقد وقف أهل الجاهلية — على مدار التاريخ — وقفة شرسة عاتية فى وجه

دعوة الحق ، لأن المعركة بالنسبة لهم معركة حياة أو موت ، فلا عجب ان كان موقفهم

الأعراس والرفض للدعوة والتعذيب والاضطهاد والاستهزاء للداعين ! ومن الشريـب

حقا أن الكلمة التى قالها المرسلون (عليهم الصلاة والسلام) واحدة — كما رأينا —

وأن الموقف الذى واجهه الدعاة من قبل الجاهليات واحد كذلك " ، كما سنرى الآن :

" لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره انى أخشاف

عليكم هذا يوم عظيم . قال المأمن قومه انا لنراك فى ضلال مبين " (الأعراف : ٦٠ و ٦١)

" والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون . قال

المأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة وأنا لنظنك من الكاذبين " (الأعراف :

٦٥ و ٦٦) .

■ انظر كتاب التصوير الفنى فى القرآن الكريم لسيد قطب ص ١١٩ فما بعدها .

* والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءكم من بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بمسوة فأتخذكم عذاب السيم قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون . قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون * (الأعراف ٧٣ و ٧٥ و ٧٦) .
 * ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم انهم أناس يقطهرون * (الأعراف : ٨٠ و ٨٢) .
 * والى مد بن أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءكم بينة من ربكم فآوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلك خير لكم إن كنتم مؤمنين قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتهمتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون * (الأعراف : ٨٥ و ٨٨ و ٩٠) .
 * وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل موسى بنى اسرائيل قال الملأ من قسري فرعون ان هذا ساحر عظيم قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لأقطنن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلنكم أجمعين وقال الملأ من قوم فرعون أعذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهسون * (الأعراف : ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٦ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٢٧) .

وصدق الله العظيم :

* تلك القرى نقص عليك من أنبيائها ولقد جاءهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطعم الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين * (الأعراف : ١٠١ و ١٠٢) .

سبب اعراض الجاهليين عن دعوة المرسلين :

لو استمرضنا تاريخ الأنبياء والمرسلين (عليهم الصلاة والسلام) مع أقوامهم ، لوجدنا أن الملأ الذين استكبروا استخفوا أقوامهم فأطاعوهم وجعلوا ولائهم للناس لهم من دون الله ، وأحذولهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال !

وكلما جاء رسول بدعوة التوحيد — التي تزلزل عروش الظلمة وتهز كيان الباطل وتبدده شذر مذر ، وعين للعالمين الأفضل لأحد على أحد إلا بالتقوى — تصدى له الملأ بادعى بدى بدى ، لأن هذه الدعوة تجعل الولاء لرب الناس ، وبذلك ينقطع ولائهم للخلق للكرهاب الزائفة ، وصبح الجميع متساوين أمام العدالة ، وتزول عبادة المباد للكرهاب ، ويتجه الحكماء والمحكومون للذى فطر السماوات والأرض . وهذا ما لا يريد الطغاة — فى كل زمان ومكان — ولا يسمحون بتحقيقه ، ولو أريق الدماء .. وانتهكت الأعراض .. وعم الفساد المباد ! لأن الأمر والنهى يفلتان من أيديهم إذا كان المشرع والمعبود هو الله .



وأما سبب اعراض بطانة الحاكم — التى استبدت دنياها بدنياها وأصلحت دنيا رعاياها بفساد دينها | — من دعوة المرسلين : فهو أنها تخشى على مصالحها الدينية من الزوال ، لأنها لم تقدم صالحا لمادها ، فتخاف أن نجحت الدعوة أن تخسر الدنيا والآخرة معا " ذلك هو الخسران المبين " (الحج : ١١) .

فلا عجب إذن إذا زينت هذه الزمرة الضالة لحكامها المفسدين ، الحق بأنه باطل ، أو حرضتهم على محاربة المرسلين وأتباعهم ، واصفة إياهم بأنهم من المفسدين .

" وقال الملأ من قوم فرعون أثذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض " (الأعراف : ١٢٢) ،

وأن الصلحة تقتضى سحق الدعوة والدعاة لئلا تتقلب الأمور على رؤوسهم !
وهذا نعرفه من خلال دراستنا لواقف الجاهليات من دعوة المرسلين — السبب
الرئيسى لضلال الملأ والحاشية وهو : لمن الحكم ؟ لمن الأمر والنهى ؟
لمن السلطة والتنفيذ ؟ من الاله المطاع والرب المعبود ؟
هل هو الله — من يهدى مقاليد السماوات والأرض وهو يجبر ولا يجار عليه — ؟
لم المعبود الضمير المخالوق ؟ !

أساليب الجاهلية في مواجهة أصحاب الدعوات :

يسلك الطفلة وأعوانهم في مواجهة الصالحين أساليب شتى ، تدل على أنهم
يمكرون الليل والنهار في سبيل محو نور الحق من الوجود .

ومن هذه الأساليب : اتهام أصحاب الدعوات بأنهم يتسترون وراء دعوة
الإصلاح لمآرب أخرى — أممها الوصول إلى الحكم — • وإثارة الشبهات حول
مآجاء به الدعوة إلى الله • ووصفهم بالسفه والجنون والكذب والاضلال والاقتساد • •
ومن ثم السخرية منهم ، والتضييق عليهم ، والمدوان عليهم • • مع أن الطفلة
وأعوانهم يعرفون — في قرارة نفوسهم — أنهم هم على باطل ! لكنهم يخشون
من زوال زعامتهم الفارغة المنتفخة التي تكبروا على عباد الله بها !

والطفلة لا يريدون لفهم — من عباد الله — أن يتفكروا فيما جاء به المرسلون ،
فلو عرف الناس الحقيقة وتركوا وشأنهم ، لانفضوا من حول السادة ولتفرقوا عنهم شذر مذر •
ومن الأساليب التي يستخدمونها في حريمهم للدعوة والدعاة : التلويح بالمال أو الجاه
أو السلطان أو المتاع • • ولذلك لاستدراج الدعاة ، ومن ثم الانقضاض عليهم واجتثاث
الدعوة من جذورها ، أو باماتهم — عن طريق اغراقهم في متاع الدنيا ! — •

وكم من الدعاة من صبر على الابتلاء في أقبيسة السجون ! ولكنه تهاوى أمام
المال أو المنصب أو المتاع ! !

والأمثلة على ذلك كثيرة : منها : أن يهودا الاسخريوطي — أحد الحواريين —
خان نبي الله عيسى (عليه الصلاة والسلام) مقابل دربهات معدودة !

وها هوذا عبيد الله بن جحش — الزوج السابق لأم المؤمنين أم حبيبة (رضي الله عنها)
آمن وصبر على الأذى والاضطهاد • • وهاجر إلى الحبشة فرارا بدينه • • ولكنه
تصر هناك أمام المفريات !

فالامتحان فى الترفع - كما يقول أستاذنا محمد أديب الصالح - أشد وأقصى منه فى الترهيب ! لأن النفس البشرية تختار الصالح القريبة على المنافع الآجلة . وهذه الآيات الكريمة تبين لنا أساليب الجاهليات - على مدار التاريخ - فى مواجهة المؤمنين :

- " وصنع الفلك وكلما مر عليه ملأمن قومه سخروا منه " (هود : ٣٨)
- " قالوا يا هود ٠٠٠ ان نقول الا اعتراك بمضى آلهتنا بسوء " (هود : ٥٤ و ٥٥)
- " قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتهنتنا أن نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لقى شك مما تدعونا اليه مرهبا " (هود : ٦٢)
- " قالوا يا شعيب لصاكتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء انك لأنت الحليم الرشيد " (هود : ٨٧)
- " وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون ٠ لو ماتنا ننتها بالملائكة ان كنت من الصادقين " (الحجر : ٦ و ٧)
- " وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراء وأعطاه عليه قوم آخرون فقد جاؤوا ظلما وزورا ٠ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تلى عليه بكرة وأصيلا " (البقرة : ٤ و ٥)
- " وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ٠٠ ماسمنا بهذا فى الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق " (ص : ٤ و ٧)

- " ودوا لوتدهن فيه هتون " (القلم : ٩)
- " ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ٠ واذا مروا بهم يتغامزون ٠ واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهمين ٠ واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون " (المطففين : ٢٩ - ٣٢)

وقد عرض المشركون على النبی (صلى الله عليه وسلم) أن يعبدوا الهه يوما ويمبد آلهتهم يوما ! فأنزل الله سورة الكافرون رفضا للمرض ، ولتمهيق الحد الفاصل بين الكفر والايمان !

وهذا مثال يوضح بعض أساليب الجاهلية في مواجهة الحق :

قال عتبة بن ربيعة — وكان سيدا في قومه — يوما : وهو جالس في نادي قريش ،
ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش !
ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شمسنا ،
ويكف ضنا ؟ . فقالوا : بلى يا أبا الوليد ! قم إليه فكلمه . فقام عتبة حتى جلس
إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال : يا ابن أخي ! انك منا حيث قد علمت
من السطة — الشرف والمزلة — في العشيرة ، والمكان في النسب ، وقد أتيت
قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفيت به أحلامهم ، وعبت به من مضى من آبائهم ،
فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . فقال رسول الله :
(صلى الله عليه وسلم) : قل يا أبا الوليد أسمع . قال : يا ابن أخي :
((ان كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا ، جميعنا لك من أموالنا حتى تكون
أكثرنا مالا . وان كنت تريد به شرفا ، سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك . وان كنت
تريد به ملكا ، ملكناك علينا . وان كان هذا الذي يأتيك رثيا نراه لا نستطيع رده عن
نفسك : طلبنا لك الطب ومذ لنا فيه أموالنا حتى نبترك منه) (١)

— وما هوذا أبو طالب يقول للنبي (صلى الله عليه وسلم) : يا ابن أخي ! ان
قومك جاءني وقالوا كذا وكذا ، فابق على وعلى نفسك ، ولا تحملني مالا أطيئق
أنا ولا أنت . فاكف عن قومك ما يكرهون من قولك . فقال (صلى الله عليه وسلم)
(والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ! ما تركت هذا الأمر حتى
يظهره الله ، أو أهلك في طلبه) (٢) |

(١) محمد الحسني : العقد الثمين ١/ ٢٢٧ .

وتهذيب السيرة ص ٦٤ .

(٢) ابن عبد الوهاب : مختصر السيرة ص ٦٢ .

وعبد الله بن محمد : مختصر السيرة ص ٩٢ .

موقف الرسول من أقوامهم :

لقد بلغ الأنبياء الرسالة وأدوا الأمانة ونصحوا الأمة ، وصبروا على ما كذبوا وأوذوا ، وجاهدوا في الله حق جهاد ، وماتوا على التوحيد ونفوسهم مستريحة ، وصعدت أرواحهم الطاهرة الى ربها لتدخل في عباد الله وجنته — التي أعادت للمتقين — راضية مرضية .

ان موقف الرسل (عليهم صلوات الله وسالمة) يعلمنا معشر أتباعهم : أن علينا أن نبليح دين الله كما أنزل ، دون زيادة أو نقص أو تمويه أو استحيا ، وأن نبين أن شريعة الله دنيا وآخره أصلها في الأرض وامتدادها في السماء ، دون موازنة أو هوادة أو تدسس أو شك مرعب .

وحيثما يستعرض المرء تاريخ الأنبياء والمرسلين — عليهم الصلاة والسلام — وجهاد أتباعهم المؤمنين ، ومواقفهم المشرفة تجاه الطواغيت ، يبرز في قرارة نفسه — ان كائن جادا — على مجابهة الجاهلية ومواجهتها في هردأرها ، مهما ادلهمت الخطوب وعظم الابتلاء وكثرت التضحيات .

لقد نادى الرسل — عليهم السلام — بالتوحيد وتحكيم شرع الله ، ولم ينتظسروا ان يأتي الناس اليهم ، بل ذهبوا اليهم ولفوهم كلام الله وهديه . ولم يتحقق للطغاة — في كل عصر — ما يحلمون به من القضاء على صوت الحق والقوة والحرية — صوت الاسلام الدوى : الله أكبر والله الحمد — ، بل آمن بالرسول نفر قليل . . . ضحوا في سبيل عقيدتهم بالمال والرخيص . . . وعدها . . . حصل الابتلاء — وهذه سنة الله في خلقه — لالهوان المؤمنين عند الله ولمنزلة الكافرين وعلو شأنهم — بل كما قال سبحانه : " وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء " والله لا يحسب الظالمين . . . ولمحس الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . . . أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين " (آل عمران : ١٤٠-١٤٢) .

* أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون • ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين * (العنكبوت : ٢ و ٣) •
ومن سنة الله تعالى في خلقه : أن يزداد الذين كفروا في طغيانهم • • ليزداد عذابهم • فهو تعالى يسهل ولا يسهل • ومن سنته كذلك أن يزداد الذين آمنوا إيماناً • يصبرهم وجهادهم • ليستحقوا رضوان الله عز وجل في الحياة الدنيا وفي الآخرة •

فعلى الدعاة إلى الله أن يستخلصوا العبر من موقف الأنبياء والمرسلين • طيبهم صلوات الله أجمعين • تجاه أقوامهم • وأن يصبروا كما صبروا وأن يجاهدوا كما جاهدوا وأن يقدموا كل ما يملكون • في سبيل الله • كما قدموا • • ليفوزوا برضوان الله ومغفرته وجنته كما فازوا •

والاقتداء بهم • وأتباعهم • ليس عسيرا على من فقه الدعوة وهدى السبيل صراط مستقيم • لأنهم بشر ونحن بشر •

* فاصبر كما صبر آلو العزم من الرسل * (الأحقاف : ٣٥) •

* لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا * (الأحزاب : ٢١) •

يجب علينا أن نعمل • • والنجاح موكولة لرب المزة وحده • فكل شيء ضده • بقدر • لنكون • بإذن الله • مع * المتقين في جنات ونهر • وفي مقعد صدق عند مليك مقتدر * (القمر : ٥٤ و ٥٥) • وما ذلك على الله بعزيز •

والماقبة للمتقين

للباطل جولة •• وللحق جولات ••

وسينتصر الحق وأهله •• ولو بعد حين •• فالذين يموتون •• من المصلحين

•• ينالون الشهادة من رب العالمين •• ونفوسهم مطمئنة لقيامها بواجب الدعوة •• ••

والذين يمشون حتى حين •• يذوقون حالة النصر •• ويستمررون في الدعوة السي

الله •• والماقبة الحميدة لهم في الدارين :

" فأخرجناهم من جنات وعيون •• وكثر مقام كريم •• كذلك وأورثناهم بني إسرائيل ••

وأنجينا موسى ومن معه أجمعين •• ثم أغرقنا الآخرين •• أن في ذلك لآية وما كان

أكثرهم مؤمنين " (الأعراف : ٥٧ و ٥٨ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧) ••

" قال رب أن قومى كذبون •• فافتح يمنى ومنهم فتحا ونجنى ومن مى من

المؤمنين •• فأنجينا ومن معه فى الفلك المشحون •• ثم أغرقنا بعد الباقين •• أن فى

ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين " (الشعراء : ١١٧ - ١٢١) ••

" كذبت عاد المرسلين •• فكذبوه فأهلكناهم أن فى ذلك لآية وما أن أكثرهم

مؤمنين " (الشعراء : ١٢٣ و ١٣٩) ••

" كذبت ثمود المرسلين •• فمقرؤها فأصبحوا نادمين •• فأخذهم المصذاب

أن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين " (الشعراء : ١٤١ و ١٥٧ و ١٥٨) ••

" كذبت قوم لوط المرسلين •• فنجينا وأهله أجمعين •• إلا عجوزا فى الفاهرين ••

ثم دمرنا الآخرين •• وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين •• أن فى ذلك لآية

وما كان أكثرهم مؤمنين " (الشعراء : ١٦٠ و ١٧٠ - ١٧٤) ••

" كذب أصحاب الأيكة المرسلين •• فكذبوه فأخذهم غاب يوم الظلة أنه كان غاب

يوم عظيم •• أن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين " (الشعراء : ١٧٦ و ١٨٩ و ١٩٠) ••

ولله در شهيد الدعوة حيث يقول (١) :
=====

قد اختارنا الله في دعوتك	وانا مفضى على سنتك
فما الذين قسروا نحبهم	وما الخسوف على ذمتك •
سأشار لكن لرب وديمن	وأضى على سنتي في يقين
فأما الى النصر فوق الأنعام	وأما الى الله في الخالدين !

والعاقبة للمتقين ••• ولأعدوان الأهل الظالمين !

(١) لحن الكفاح ص ٨ و ١٠ •

الفصل الخامس

شرا الإيمانيات باليوم الآخر

في تربية النفس

تمهيد :

اليوم الآخر : هو نهاية الحياة الدنيا وانها . . وداية الحياة الأخرى

وما يتعلق بها .

ومعنى الايمان باليوم الآخر :

هو الاعتقاد الجازم بما يكون بعد الموت . . ما ورد فى الكتاب والسنة .

من الحياة البرزخية ، والحشر ، والنشر ، والصف ، والميزان ، والحساب ،
والجزاء ، والصراط ، والحوض ، والشفاعة ، والجنة . . جملنا الله من أهلها . .
والنار . . أعادنا الله منها . .

وفى الآيات الآتية مراحل يوم القيامة حتى دخول الجنة أو النار :

* وماقدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات
بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون . ونفخ فى الصور فصعق من السماوات ومن نفس
الأرض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون . وأشرقت الأرض بنور
ربها ووضعت الكتاب وجمعى بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون .
ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفملون . وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا
حتى اذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم
آيات ربكم ونذروكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة المذاب على الكافرين .
فقبل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين . وسيق الذين اتقوا
ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم
طيبتم فادخلوها خالدين . وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا
من الجنة حيث نشاء فنضم أجر العاملين . وترى الملائكة حافين من حول
العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين *

(الزمر : ٦٧ - ٧٥) .

* انظر مراحل أهوال اليوم الآخر فى كتاب عبد الملك الكليب : أهوال القيامة .

ومنورد فيما يأتي — بأذنه تعالى — مشاهد من اليوم الآخر — مأخوذة من

الكتاب والسنة •

بعد مفارقة الروح الجسد

• وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحمد * (ق : ١٩) •

• كلا إذا بلغت التراقي • وقيل من راق • وظن أنه الفراق • والتفت الساق

بالساق • إلى ربك يومئذ المساق * (القيامة : ٢٦ — ٣٠)

بعد ذلك تبدأ الحياة البرزخية :

• ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون * (المؤمنون : ١٠٠) •

وقد رُبدت صفة الحياة في بعض آيات قرآنية منها : * النار يحرضون عليها

غدوا وعشيها يوم تقيم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب * (غافر : ٤٦) •

• يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت^(١) في الحياة الدنيا وفي الآخرة * (إبراهيم :

٢٢) • من أنس بن مالك — رضى الله عنه — قال : قال نبي الله —

(صلى الله عليه وسلم) — : " إن المبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه

إنه ليسمع قرع نعالهم قال يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا

الرجل ؟ قال فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله • قال فيقال له :

انظر إلى مقعدك من النار قد أبد لك الله به مقعدا من الجنة • قال نبي الله —

صلى الله عليه وسلم — : فيراهما جميعا * (٢) •

والأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت — كما يقول الامام ابن القيم — :

فمنها أرواح في أعلى اعلى في الملأ الأعلى وهي أرواح الأنبياء — صلوات الله وسلامه

عليهم أجمعين — وهم متفاوتون في منازلهم •

(١) من البراء بن عازب : * يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا

وفي الآخرة * قال : نزلت في عذاب القبر — انظر مسلم ٢٢٠٢/٤ •

(٢) مسلم ٢٢٠٠/٤ ، ويعنى بالرجل : النبي (صلى الله عليه وسلم) •

ومنها أرواح فى حواصل طير خضر تصرح فى الجنة حيث هات وهى أرواح بعض الشهداء — لاجميعهم — لأن من الشهداء من تجس روحه عن دخول الجنة لـ
 له يمن عليه ! ومنها من يكون نجساً على باب الجنة . . . ومنها من يكون مقره باب الجنة . . . ومنها من يكون محبوباً فى الأرض لم تصل روحه إلى الملأ الأعلى ، لأنها كانت روحاً سفلية أرضية ! (١)

النفخة الأولى :

وحينما يشاء الله قيام الساعة* : يأمر اسرافيل — عليه السلام — بالنفخ فى الصور فيموت من فى الكون — إلا من شاء الله — :

* " ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله "

(الزمر : ٦٨) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى ذلك عبد الله بن عمرو — رضى الله عنهما — : " يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين — لا أدرى أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً — فيمكث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطأها فيهلكه . ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين هداوة . ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان الا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لـخلته عليه حتى تقبضه — قال سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال : فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكراً . فيمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبيون ؟ فيقولون فما تأمرنا فيأمرهم بمهادة الأوثان وهم فى ذلك دار رزقهم حسن عيشهم . ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد الا أضغى اثغى ليتها ورفع ليتها !

* انظر ما كتبه الامام الفزالي عما يكون بعد الموت . . . حتى دخول الجنة أو النار فى كتابه الأربعين ص ١٤ فما بعدها .

(١) ابن القيم : الروح ص ٥٥ و ٥٦ .

قال : وأول من يسمعه رجل يلوط حوض أبله قال فقصق وتصق الناس . * (١)

التفخمة الثانية :

وفيها يبعث الله من في القبور • وتذهل كل مرضعة عما أرضعت • وتضع كل ذات حمل حملها • وترى الناس سكارى وما هم بسكارى !

وتحيل الأرض والجهال فتدك دكة واحدة وتتشق السماء فهي يوشد واهية • وتتأثر الكواكب • وتفجر الأنهار والبحار • ويذهب بضوء النجوم • وتبدل الأرض غير الأرض والسموات غير السموات • وتسير الجبال . . .

قال تعالى : * ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون • وأهرقت الأرض ينسورها • ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء • وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون * (الزمر : ٦٨ و ٦٩)

* ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون • قالوا يا ويلنا مسن بحثنا من مرقدنا • هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون • إن كانت الاصححة واحدة فإذا هم لدينا مضرون * (يس : ٥١ - ٥٣)

وما بين التفختين أريمون :

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما بين التفختين أريمون) قالوا : يا أبا هريرة أريمون يوم ؟ قال : أبوت - أى أبوت أن أجزم بأن المراد بذلك أريمين يوم أو شهرا أو سنة - قالوا أريمون شهرا ؟ قال أبوت قالوا : أريمون سنة قال : أبوت •

ثم ينزل الله من السماء ماء فينبثون كما ينبث الهقل •

(١) مسلم ٢٢٥٩ / ٤ كبد جهل : وسطه ودخله • فى خفة الطير وأحلام السباع : أى فى سرهم إلى الشر وقضاء الشهوات والفساد والمعدوان • ألبت : صفحة المنق - جانبه - •

يلوط حوض أبله : يطينه ويصلحه •

قال وليس من الانسان شيء الا يلقى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب
ومنه يركب الخلق يوم القيامة)) (١)

ويقبض الله عز وجل الأرض ويطوى السماوات بيمينه ويقول أنا الملك :
” يوم تطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيدُه وهذا علينا
أنا كما فاعلين ” (الأنبياء : ١٠٤) .
” وما قدرُوا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات
بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ” (الزمر : ٦٧) .

عن عبد الله بن عمر — رضى الله عنهما — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(يطوى الله عز وجل السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن يده اليمنى ثم يقول :
أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوى الأرضين بشماله ثم يقول
أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون)) (٢)
وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :
(يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك
أين ملوك الأرض ؟)) (٣) .

الحشر :

ويحشر الناس جميعا فى صعيد واحد ، حفاة عراة غرلا — غير مختونين — ويحشر
الكفار على وجوههم عيا وكما وصا |

(١) عجب الذنب : هو العظم اللطيف الذى فى أسفل الصلب وهو رأس العصعص .
وهو أول ما يخلق من آدمى . وهو الذى يبقى منه ليماد تركيب الخلق عليه .
انظر مسلم ٢٢٧٠ / ٤ .

(٣٥٢) مسلم ٢١٤٨ / ٤ .

”وهم نسير الجبال وتسرى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا • وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا • ووضح الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ••• (الكهف : ٤٧ - ٤٩)

”ونحصرهم يوم القيامة على وجوههم عما وكما وكما ما واهم جهنم كلما خبت زدناهم سميرا • (الاسراء : ٩٧) •

عن عائشة رضى الله عنها - قالت سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (يحشر الناس يوم القيامة خفاة عراة غللا • قلت يا رسول الله النساء والرجال جميعا ينظر بعضهم الى بعض ؟ قال صلى الله عليه وسلم : (يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم الى بعض) (١) •

وعن سهل بن سعد - رضى الله عنه - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقيس ليس فيها علم لأحد)) (٢)

ثم تدنو الشمس من الخلائق :

عن المقداد بن الأسود - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميسل) قال سليم بن عامر - راوى الحديث فوالله ما أدري ما يعنى بالميل ؟ أمسافة الأرض أم الميل الذى تتحل به الميىن •

قال فيكون الناس على قدر أعمالهم فى المرق • فمنهم من يكون الى كمبيسه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقيبته ومنهم من يلجمه المرق الجاما (٣)

(١) مسلم ٢١٩٤/٤ •

(٢) مسلم ٢١٥٠/٤ ومعنى عفراء : بيضاء الى حمرة ، والنقى : الدقيق الحوارى وهو الأرض الجديدة ، كأن النار غيرت بيلاض وجه هذه الأرض الى الحمرة • ليس فيها علم لأحد : أى ليس بها علامة سكنى أو بناء ولا أثر •

(٣) مسلم ٢١٩٦/٤ قال وأشار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بيده الى فيه •

وفي هذا الموقف الرهيب يظل الله هؤلاء بظله يوم لا ظل الا ظله : عــــــن
 أبي هريرة - رضى الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سبعة يظلهم
 الله في ظله يوم لا ظل الا ظله : الامام المادل ، وشاب نشأ بعبادة الله ،
 ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ،
 ورجل دعه امرأة ذات منصب وجمال فقال : ائني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة
 فأخفاها حتى لاتعلم يمينه ماتتفق شماله ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه)) (١) .
 ورضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((ان الله
 يقول يوم القيامة ائمن المتحابون بجلالي اليوم اظلمهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي)) (٢)
 ثم يلقى يومئذ بجهنم (اعادنا الله منها) :

” وحيى يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى يقول يا ليتني
 قدمت لحياتي ” (الفجر : ٢٣ و ٢٤) .

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (يلقى بجهنم يومئذ لها سبعون
 ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها) (٣) .
 يطلب الجبار تبارك وتعالى من ابي البشر آدم - عليه الصلاة والسلام -
 ان يخرج بمعث النار !

عن ابي سعيد الخدري - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله -
 صلى الله عليه وسلم - : (يقول الله عز وجل : يا آدم فيقول : لبيك وسعديك والخير
 في يديك . قال يقول : اخرج بمعث النار قال : وما بمعث النار قال : من كل ألف
 تسعمائة وتسعة وتسعين ! قال : فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل
 حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)) (٤) .

(١) مسلم ٢/٢١٥ وفي البخارى والموطأ (حتى لاتعلم شماله ماتتفق يمينه) .

(٢) مسلم ٤/١٩٨٨ بجلالى : بمعظمى وطاعتى لا للدنيا .

(٣) مسلم ٤/٢١٨٤ .

(٤) مسلم ١/٢٠١ بمعث النار : أى ميز أهل النار من غيرهم . وما جوج وما جوج :
 أصله من أجيج النار وهو صوتها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدة نهم واضطرابهم
 بعضهم فى بعض .

ثم يأتى المؤمنون الحوض :

والحوض — كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) — : ((حوض — مسيرة شهر وزواياه سواء ، وماؤه أبيض من الورق ، وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء ، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدا)) (١)

وعن أسماء بنت أبي بكر — رضى الله عنهما — قالت : قال النبي — صلى الله عليه وسلم — : ((ابنى على الحوض حتى أنظر من يرد على منكم ، وسيؤخذ أناس دوى فأقول : يارب منى ومن أمى ؟ فيقال : أما شعرت ما فعلوا بعدك ؟ والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم)) (٢) ،

وعن أنس — رضى الله عنه — قال :

(بيننا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ذات يوم بين أظهرنا إذ أغشى أغماء ثم رفع رأسه متبسما فقلنا : ماضحكك يا رسول الله ؟ قال : أنزلت على أنفا — سورة — فقرأ " بسم الله الرحمن الرحيم • انا أعطيناك الكثير • فصل لربك وانحر • ان شانك هو الأبر " (الكثير : ١ — ٣) ثم قال : أتدرون ما الكثير ؟ فقلنا الله ورسوله أعلم • قال : فانه لهرود نيسه رى هر رجل عليه خير كثير • هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آتيه عدد النجوم فيختلج المبد منهم فأقول : رب انه من أمتى فيقول : ما تدري ما أحدثت بعدك) • (٣)

(١) مسلم ١٢٩٣/٤ ومعنى وزواياه سواء • أى طوله كموضه (مقانا الله منه) • والوزق : القصة •

(٢) مسلم ١٢٩٤/٤

(٣) مسلم ٣٠٠/١ بين أظهرنا : أى بيننا ، أغشى أغماء : أى نام نومسة • أنفا : قريبا ، شانك : مفضك ، الأبر : المنقطع المقب • يختلج : يتنزع ويقتطع •

والأحاديث الواردة فى ذكر الحوض كثيرة رواها من الصحابة بضع وثلاثون صاحبيا •

انظر : الغزالي : احياء علوم الدين ٥٢٩/٤ ، والهراس : شرح الواسطية ١٢٥ •

الحساب :

ومن فضل الله تعالى على النبي - صلى الله عليه وسلم - وعلمى
أمته أن يجعلهم أول من يحاسب :

قال تعالى عن الحساب : " فلنساءلن الذين أرسل إليهم ولنساءلن المرسلين •
فلنقضن عليهم بحلم واثنا غائبين * (الأعراف : ٦٤ و ٦٥)

* اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون * (الأنبياء : ١)

* ان الينا اياهم • ثم ان علينا حسابهم * (الفاشية : ٢٥ و ٢٦)

ومن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
(نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة • بيد أن كل أمة أوتيت الكتاب - من
قبلنا وأوتيناها من بعدهم) (١)

وفى رواية أخرى : (نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم
القيامة المقضى لهم قبل الخلائق) (٢)

ويحاسب الله عباده :

* فأما من أوتى كتابه يمينه • فسوف يحاسب حسابا يسيرا • ونقلب إلى أهله
مسجورا • وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا له • ويصلى - مسجورا *
(الانشقاق : ٧ - ١٢) •

وتشهد أعضاء الانسان على صاحبها بما عمل :

* اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون *
(يس : ٦٥) * حتى اذا جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم
بما كانوا يعملون • وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق
كل شئ * (فصلت : ٢٠ و ٢١) •

(١) مسلم ٥٨٥/٢ بيد : تكون بمعنى غير وممنى على وممنى من أجل (وكله صحيح هنا) •

(٢) مسلم ٥٨٦/٢ وفى رواية (المقضى بينهم) •

• وكل انسان الزمان طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا •

اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا * (الاسراء : ١٣ و ١٤) •

سولا ترجمان يومئذ بين الله وعباد •

عن عبد ي بن حاتم — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) •

((ما منكم من أحد الا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان • فينظر أيمن منه فلا يرى

الا ما قدم • وينظر أهمل منه فلا يرى الا ما قدم • وينظر بين يديه

فلا يرى الا النار تلقاه وجهه • فاتقوا النار ولو بشق تمرة)) (١) •

— وأول ما يحاسب به الناس يوم القيامة الصلاة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ان أول ما يحاسب به العبد يوم

القيامة من عمله الصلاة)) (٢)

— وأول ما يقضى به بين الناس الدنيا :

عن عبد الله بن مسعود — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدنيا)) (٣)

— والمراؤون أول من يقضى عليهم وهم لكون :

عن أبي هريرة — رضى الله عنه — قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم —

يقول : ((ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه

فعرفها قال : فما علمت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت •

ولكنك قاتلت لأن يقال جريح • فقد قيل • ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في

النار • ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها • قال

فما علمت فيها ؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن • قال : كذبت •

ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم • وقرأت القرآن ليقال هو قاري • فقد قيل •

(١) مسلم ٢/٢٠٣ •

(٢) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه انظر الفتح الكبير ١/٣٢٨ •

(٣) مسلم ١٣٠٤/٣ •

ثم أمر به فمسح على وجهه حتى ألقى في النار • وزجـل وسع الله عليه
وأعطاه من أصناف المال كله • فأتى به فعزفه نعمة فعرها • قال فما عملت فيها؟
قال : ما تركت من سبيل أحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك • قال كذبت •
ولكنك فعلت ليقال هو جواد • فقد قيل • ثم أمر به فسحب على وجهه • ثم ألقى
في النار)) (١) •

الميزان :

وفيه تـوزن أعمال الإنسان — وله كفتان ولسان ولا يعلم حقيقة إلا خالقه
عز وجل •

ولاعجب في وزن الأعمال بالميزان • فقد أوجد العلم الحديث موازين لقياس
الحرارة والبرودة والهواء والضغط والذبذبات • • • قال تعالى :
” ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وإن كان مثقال حبة من خردل أثينا بمهسا •
وكفى بنا حساسين ” (الأنبياء : ٤٧) •

وقال تعالى : ” فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون • ومن خفت موازينه
فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ” (المؤمنون : ١٠٢ و ١٠٣) •
قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : ((كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان
في الميزان جهيبتان إلى الرحمن سبحان الله وحده سبحان الله العظيم)) (٢) •
وقال أيضا : ((انه لياتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند
الله جناح بمنزله • اقرؤا : ” فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا ” (الكهف : ١٠٥))) (٣)

(١) مسلم ١٥١٤/٣

(٢) مسلم ٢٠٧٢/٤

(٣) مسلم ٢١٤٧/٤

وعن معاوية بن قسرة عن أبيه : أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه -
 كان يجنى لهم نخلة فهبت الريح فكشفت عن ساقية ، فضحكوا - من دقة ساقية -
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أتضحكون من دقة ساقية ؟ والسدي
 نفسى بيده لهما أثقل في الميزان من جهل أحد) (١) .

الصراط :

وهو جسر منصوب على ظهر جهنم تروطيه الخلائق ، وهو أحد من السبيل
 وأرق من الشعر .

ويكون اجتياز الصراط بحسب أعمال الخلائق في الدنيا ، فمنهم من يمر كالسبرق
 الخاطف ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كالجواد ، ومنهم من يمشى هرولة ،
 ومنهم من يمشي هرجاء ، ومنهم من يزحف زحفا ، ومنهم من يتساقط في النار بواسطة
 الكلاب التي على جانبيه | قال تعالى : * وإن منكم إلا واردها كان على ربك
 حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا * (مريم : ٧١ و ٧٢) .
 (قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : قسما واجبا . وقال مجاهد - رضي الله عنه - :
 قضا . فاذا مر الخلائق كلهم على النار وسقط فيها من سقط من الكفار
 والعصاة نجى الله المتقين منهم بحسب أعمالهم) (٢) .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((وضرب الصراط بين ظهرى
 جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجوز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل . ودعوى الرسل
 يومئذ : اللهم سلم سلم . وفي جهنم كلاب مثل شوك السعدان هل رأيستم
 السعدان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : فأنها مثل شوك السعدان غسسير
 أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله . تخطف الناس بأعمالهم فمنهم المؤمن بقى بعمله ،
 ومنهم المجازى حتى ينجى . حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج

(١) الخطيب الهندي : تاريخ بغداد ١ / ١٤٨ .

(٢) محمد الرافعي : تيسير المولى القدير ٢ / ٦٢٣ .

برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان
لا يشرك بالله شيئاً...» (١)

الشفاعة :

الشفاعة : هي سؤال الخير للغير ، وهي تكون من الأنبياء والعلماء
والشهداء والصالحين ، فحين يحضر الناس إلى ربهم عز وجل يبلغ المنايا منهم
مبلغاً عظيماً ، من شدة الهول وصعوبة الموقف . . يرغبون في أن يحكم الله تعالى
بينهم ، فيريحهم من شدة الموقف وأتعايبه .

ويكون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أول من يفتح باب الشفاعة حين يشفع
في فصل القضاء . وهي الشفاعة المظنية المختصة به ، والتي ينهبط عليها الأولون
والآخرون ، وهي المقام المحمود المذكور في قوله تعالى : " عسى أن يبعثك ربك
مقاماً محموداً " (الإسراء : ٧٩) .
والشفاعة خمسة أنواع :

أ (الشفاعة في فصل القضاء لراحة الخلق جميعاً من طول الموقف وأهواله ، وهي
مختصة بالنبي (صلى الله عليه وسلم) ، وتسمى الشفاعة المظنية .

ب (الشفاعة في إدخال فريق الجنة بغير حساب ، وهي مختصة كذلك بالنسبي -
(صلى الله عليه وسلم) .

ج (الشفاعة في زيادة الدرجات .

د (الشفاعة في مرتكب الكبيرة المستحق دخول النار قبل أن يدخلها .

هـ (الشفاعة في إخراج مرتكب الكبيرة من النار .

وتنقسم الشفاعة يوم القيامة إلى قسمين : شفاعة منفية ، وشفاعة ثابتة . . .

فالشفاعة المنفية قسمان : شفاعة الألهة التي عبدت من دون الله تعالى أو معه .

(١) مسلم ١٦٤/١ ومعنى يضرب الصراط: أي يمد . وجيز: أي يضي عليه ويقطعه .
والكذاليب: جمع كلوب وهي حديدية معطوفة الرأس يملق فيها اللحم =

- والشفاعة بدون اذن الله للشافع ، أو عدم رضاه عن المشفوع له .
- والشفاعة المثبتة قسمان : شفاعات النبي (صلى الله عليه وسلم) التي ذكرناها ...
- وشفاعات غيره من الأنبياء والأولياء والصالحين والشهداء ... (١)

النار — أعادنا الله جميعا منها — :

- وقد أعادها الله للذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم من العصاة والكافرين —
- ويكفى للحديث من أهوالها قول الله تعالى فيها : " يوم نقول لجهنم هل استأذنت وتقول هل من مزيد " (ق : ٣٠) وقوله تعالى : " إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفر — تكاد تميز من الغيظ " (تبارك : ٧ و ٨) .
- وعذابها مستمر لا يفتى ، والكافرون — لا العصاة — خالدون فيها أبدا .
- " ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدون فيها أولئك هم شر البرية " (الهنئة : ٦) .
- وللنار سبعة أبواب : (أعلاها جهنم وتحتها لظى ثم الحطمة ثم السمير ثم سقر ، ثم الجحيم ثم الهاوية) (٢)

-
- والسعدان : نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب .
 - (١) انظر : ابن تيمية : التوسل والوسيلة ص ٧-٣ و ص ١١٢ و ١٢٨ و ١٣٧ .
 - وحسن أيوب : مع رسل اللوكتيه واليوم الآخر ص ٢٠٢ — ٢٠٤ .
 - والجزائري : عقيدة المؤمن ص ١٥٣ — ١٦٣ و ٣٤٣ .
 - والحكمي : ممارك القبول ٢/٣٠٥ — ٣١٢ .
 - والوداعي : الشفاعة ص ١٧ فما بعدها .
 - انظر أحاديث الشفاعة فسي صحيح مسلم ١/١٧٨ — ١٩١ .
 - (٢) القرطبي : الاحياء ٤/٥٣١ .

وهي موجودة الآن ، خلافا للمعتزلة القائلين بوجودها يوم القيامة . (١)
والواجب على المؤمن أن يعلم بأن هناك نارا حامية أعدها الله تعالى للمذاب -
هي جهنم - وأنها تسمى وتوقد وتشتعل على الشكل الذي يريد الله تعالى .
وأن ألم من قضى عليه بالدخول فيها من أشد الآلام . (٢)
يقول عز بن الخطاب - رضي الله عنه - : (أكثروا ذكر النار فان حرها
شديد وان قمرها بعيد وان مقامها حديد) . (٣)

يقول الامام الفزالي - رحمه الله - :

((ياليتها الفافل عن نفسه ، المبرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا -
المشرفة على الانقضاء والنزوال ، دع التفكير فيما أنت مرتحل عنه ، واصرف الفكر
الى موردك ، فانك أخبرت بأن النار مورد للجميع اذ قيل : " وان ملككم الا
وارد ها كان على تلك حتما مقضيا " ثم تنجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا "
(مريم : ٢١ و ٢٢) .

فأنت من الموردين على يقين ، ومن النجاة في شك ، فاستشعر في قلبك هول ذلك
المورد ، فمساك تستمد للنجاة منه . وتأمل في حال الخائف وقد قاسوا - من
دواهي القيامة ما قاموا فيها هم كرسيا وأهوالها ، وقفا ينتظرون حقيقة أنباءها -
وتشفيع شفعتها ، اذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شغب ، وأظلت عليهم نار
ذات لهب . فانظر يا مسكين في هذه الأهوال ، وأعلم أن الله تعالى خلق
النار بأهوالها ، وخلق لها أهلا لا يزيدون ولا ينقصون ، وهذا أمر قضى وفرغ منه .

(١) اللقاني : تحفة المريد ص ٢٣٨ .

(٢) الصواف : القيامة رأى العين ص ٢٢ .

(٣) ابن حجر الهيتمي : التزاجر ٢/٢٥٢ .

فان قلت : ليست شمري • ماذا يوردى والى ماذا مالى ويرجمسى ؟

وما الذى سبق به القضاء فى حقى ؟

فلك علاقة تستأنس بها • وتصدق رجاءك بمنيتها وهى : أن تنظر الى أحوالك وأعمالك • فان كلاً ميسر لما خلق له • فان كان قد يصر لك سبيل الخير فأبشّر فانك مهتد عن النار • • • (١)

وأهون أهل النار عذاباً : رجل متعل بنعلين يفلّس منهما دماغه •
عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشرا كان من نار يفلّس منهما دماغه كما يفلّس الرجل ما يصرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً) (٢) •

ويقاسى أهل جهنم الأهوال والشدائد • • • ودعون بالويل والثبور • • • ولا أحد يهتم بكائهم وعراخهم وعولهم : لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون •
(الأنبياء : ١٠٠) •

(١) القاسمى : موهظة المؤمنين ص ٤٥ •

تنبيه : لا يستلزم الخوف من عذاب الله ترك عبادة الأرض وإهمال شؤون الحياة • فذلك يناقض الحكمة من إيجاد الخلق • ولا تمراض فى حق المسلم بين العمل للدنيا والعمل للآخرة • فكسل أوقاته عبادة ان صح عمله وخلعت نيته : ((فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً)) (الكهف : ١١٠)

(٢) وفى رواية (أهون أهل النار عذاباً أبو طالب • وهو متعل بنعلين يفلّس منهما دماغه) •

انظر مسلم ١٩٦/١ •

شراكان : الشراك أى سيمر الفعل • وهو الذى يكون على وجهها وعلى ظهر القدم • يفلّس : الخلفان هو عذبة لضطراب الماء ونحوه على النار لشدة اتقادها •

المرجل : قدر معروف • سواء كان من حديد أو نحاس أو حجارة • • •

• وأعدنا لمن كذب بالساعة سميرا • إذا رأيته من مكان بعيد سموا لها

تضيظا زفيرا • وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا • (الفرقان :

١١ - ١٢) • والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف

عهم من عذابها كذا لك نجزي كل كفور • وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل

صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاعكم الذير فذوقوا

فما للظالمين من نصير • (فاطر : ٣٦ و ٣٧) •

• تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون • ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم

بها تكذبون • قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين • ربنا أخرجنا منها

فإن عدنا فانا ظالمون • قال اخسروا فيها ولا تكلمون • (المؤمنون : ١٠٤ - ١٠٨) •

وطعام أهل النار :

الضريع • والفلسين • والزقوم •

قال تعالى : • ليس لهم طعام الا من ضريع • لا يسمن ولا يغنى من جوع •

(الفاصحة : ٦ و ٧) •

وقال تعالى : • فليس له اليهم هاهنا حميم • ولا طعام الا من غسلين • لا يأكله

الا الخاطئون • (الحاقة : ٣٥ - ٣٧) •

وقال تعالى : • ان شجرة الزقوم • طعام الأثم • كاللؤلؤ ينفلى في البطون •

كفلى الحميم • (الدخان : ٤٣ - ٤٦) •

وقال أيضا : • أذل لك خير من لا أم شجرة الزقوم • انا جعلناها فتنة للظالمين •

انها شجرة تخرج في أصل الجحيم • طلعها كأنه رؤوس الشياطين • فانهم لا كلون

منها فما للون منها البطون • ثم ان لهم عليها لشوا من حميم • (الصافات : ٦٢ - ٦٧) •

((٠٠ انها تطعم من شوك ترعاء الابل اذا كان رطباً وتعافه اذا جف إلا يسمن ولا يفنى من جوع ٠ فيجتمع على تلك الوجوه عذاب الروح بالذل والخزي ٠٠ الى عذاب البدن بالنصب والنار الى عذاب الظما والطوى ٠٠)) (١)

وشرايهم :

المهل ٠ والحميم ٠ والصديد ٠

والمهل شديد الحرارة شاو للوجود حارق للجسد :

" وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتقفا "

(الكهف : ٢٩)

والحميم يصهر الرؤوس والجلود والبطون :

((يصب من فوق رؤوسهم الحميم ٠ يصهر به مافي بطونهم والجلود)) (الحج :

١٩ و ٢٠) " وسقوا ماء حميمًا فقطع أمماهم " (محمد : ٦٥)

((قال الضحاك : الحميم يغلى منذ خلق الله السماوات والأرض الى يوم

يسقونه وصب على رؤوسهم ٠))

وقيل : هو ما يجمع من دموع أعينهم في حوض النار فيسقونه (٢) .

والصديد : يفسد به شايه — الذي كان جباراً غداً في الدنيا — ولا يكاد

يسقيه من شدة الألم :

" وخاب كل جبار غداً ٠ من وراء جهنم ٠ وسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد

يسقيه وماتيه الموت من كل مكان وما هو بميت " (ابراهيم : ١٥ — ١٢)

ويعذب أهل النار كذلك : بالساحل والأنكل والقود

(١) سيد قطب : مشاهد القيامة في القرآن ص ١٥٨ .

(٢) ابن حجر الهيتمي : الزواجر ٢/٢٥٣ .

- * فسوف يحملون • اذنا الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون • في الحميم
ثم في النار يسجرون * (غافر : ٢٠ - ٢٢) •
- * خذوه فقلوبه • ثم الجحيم صلوه • ثم في سلسلة ذرعهما سمون ذراعا فأسلكوه *
(الحاقة : ٣٠ - ٣٢) •
- * ان أعدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا * (الانسان : ٤) •
- * انا لندينك أنكالا وجحما * (المزمل : ١٢) •
- ومع أن النار كافية لصهر كل ما فيها واماتته • إلا أن أهلها لا يموتون فيها • ولا
يخفف عنهم من عذابها • وتزداد باستمرار تأججا واستعارا على من فيها :
- * ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم بجلود
جلودا غيرها ليدوقوا العذاب * (النساء : ٥٦) •
- * والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها *
(فاطر : ٣٦) •
- * ما واهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا * (الاسراء : ٩٧) •
- ومعذون كذ لك بالتائب والتوبخ والتقريع :
- * اصلوها فاصبروا أولا تصبروا سوا • عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون * (الطور :
١٦) •

الجنة :

لقد أهد الله تعالى لمبادء المتقين جنة عرضها السماوات والأرض جزاء بما كانوا يعملون • وفيها من الثمير الدائم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر • والطريق الموصل إلى الجنة هو :

الايمان بالله — وما يتعلق به — والعمل الصالح • كالانفاق في السراء والضراء • وكظم الفيت • والمغفرة عن الناس • والاحسان — بجميع أنواعه — وذكر الله • والاستغفار • والتوبة • والجهاد في سبيل الله — بجميع أنواعه — والصبر :

قال تعالى : * الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب * (الزمر : ٢٩)
وقال تعالى : * وان للمتقين لحسن مآب • جنات عدن مفتحة لهم الأبواب • متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب • وعندهم قاصرات الطرف أتراب • هذا ما تعدون ليوم الحساب * (ص ٤٩ — ٥٢) •

وقال تعالى : * الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الفيت والمافسين من الناس والله يحب المحسنين • والذين اذا عملوا فاجسة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون • أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر الماملين * (آل عمران : ١٣٤ — ١٣٦) •

وقال تعالى : * ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون * (التوبة : ١١١) •

وقال تعالى : * وجزاؤهم بما صبروا جنة وحريرا • متكئين فيها على الأرائك لا يسرون فيها شمس ولا زمهريرا • ودائية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا * (الانسان :

((دار النعيم — جعلنا الله جميعا من أهلها — عدة جنات متجاورة •
 منها الفردوس — وهي أفضلها وأعلاها — ومنها جنة الخلد • ومنها جنة النعيم •
 ومنها جنة عدن • ومنها دار السلام)) (١)

وفي الجنة : أنهار وعيون • • • وثمرات متنوعة • • • وحرر عيون • • • وولدان مخلصون • • •
 ولحم طير مما يشتهون • • • وفواكه مما يتخيرون • • • وأباريق وكأس من معين • • •
 وفرش مطاشها من استبرق • • • وظل ممدود • • • وما مسكوب • • •

" ودانية عليهم ظلالها • • • وذللت قطوفها تذليلا • • • ومطاف عليهم بآنية من فضة
 وأكواب كانت قواريرا • • • قوارير من فضة قدروها تقديرا • • • يسقون فيها كأسا كان مزاجها
 زنجبيلا • • • عينا فيها تسمى سلسبيلا • • • ومطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم
 حسبتهم لؤلؤا منثورا • • • وإذا رأيت ثم رأيت نعيما ملكا كبيرا • • • عليهم ثياب سندس
 خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا " (الانسان : ١٤-٢١)

" مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير
 طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات
 ومغفرة من ربهم " (محمد : ١٥)

وأهل الجنة في نعيم عظيم • • • يسقون من رحيق مختوم • • • تعرف في وجوههم
 نضرة النعيم • • • ينظرون إلى الملك الكريم • • • لا يحزنون ولا يخافون • • • ولا يجوعون
 ولا يمتطعون • • • ولا يمتخطون ولا يتفوطون ولا يبولون • • • وهم فيما اشتبهت أنفسهم
 خالدون • • • تسلم عليهم الملائكة المطهرون • • •

(١) اللقاني : تحفة العريد ص ٢٣٨

* هناك أشياء كثيرة حرمت على المؤمنين في الدنيا — كالحرير والذهب — وأبيحت
 في الآخرة • • • إلا العري والتكشف فإنه محرم في الدارين • • •
 قال تعالى : " عليهم ثياب سندس خضر واستبرق " (الانسان : ٢١)

وتحبيهم قائلة : " هذا يومكم الذي كنتم تهودون " (الأنبياء : ١٠٣) .
وهذه مشاهد من صفة الجنة ومن نعيم أهلها :
في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها :
عن سهل بن سعد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ((ان في الجنة
لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها)) (١)
ويحل الله الرضوان على أهلها فلا يسخط عليهم أبدا .
عن أبي سعيد الخدري أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ((ان الله
يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يدك
فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى بأرب وقد أعطيتنا ما لم تمنح
أحدا من خلقك . فيقول : ألا أعطيتكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يارب وأى شيء
أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا)) (٢) .
وفي الجنة يتراءى أهل الغرف فيها كما يرى الكوكب في السماء :
عن سهل بن سعد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ((ان أهل
الجنة ليتراءون الغرف في الجنة كما تراءون الكوكب في السماء)) (٣) .
وفي سوق الجنة ينال أهلها الحسن والجمال :
عن أنس بن مالك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : ((ان في الجنة
لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وشياهم فيزدادون حسنا
وجمالا . فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا ، فيقول لهم أهلهم
والله لقد ازدادتم حسنا وجمالا . فيقولون : وأنتم والله لقد ازدادتم حسنا
وجمالا)) (٤)

(١) مسلم ٢١٧٦/٤

(٢) مسلم ٢١٧٦/٤

(٣) مسلم ٢١٧٧/٤

(٤) مسلم ٢١٧٨/٤

وأول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر :

عن أبي هريرة قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر • والتي تلوها على أضواء كوكب دري فسي السماء • لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان • يرى مخ سوقهما من وراء اللحم • وما في الجنة أعزب)) (١) :

ومن صفات أهل الجنة أنهم :

((يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتخطون)) قالوا فما بال الطعام ؟ قال - صلى الله عليه وسلم - : جشأ • ورشح كرشح الممك • يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس)) (٢) •

وأهل الجنة في نعم دائم :

عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : قال : ((ينادى مناد : ان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا • وان لكم أن تحبوا فلا تموتوا أبدا • وان لكم أن تشبها فلا تهرموا أبدا • وان لكم أن تتحموا فلا تبأسوا أبدا)) فذلك قوله عز وجل : " ونودوا أن تكلم الجنة أو رثمتوها بما كنتم تعملون " (٣) (الأعراف : ٤٣) •

وللمؤمن في الجنة خيام :

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا)) (٤)

(١) مسلم ٢١٧٨/٤ والزمرة هي الجماعة • ورواه آخرون بلفظ عرب •

(٢) مسلم ٢١٨٠/٤ يتفلون : يصفقون • جشأ : تنفس المصحة من الامتلاء •

(٣) مسلم ٢١٨٢/٤

(٤) مسلم ٢١٨٢/٤

(١) يقول الامام ابن القيم - رحمه الله - في وصف الجنة :

فحى على جنات عدن فانتها	مظورك الأولى وفيها المقيم
ولكننا سبي المد وفهل تسمى	نمود الى أوطاننا ونسلم
وحى على روضاتها ونهايتها	وحى على عرشها ليس يسام
وحى على يوم المزيك وموسمها	المحبين طوبى للذى هو منهم
وحى على واد بها هو أنصح	وتربته من أنقر الملك أعظم
ومن حولها كثران مسك مقاعد	لن ذنوبهم هذا الفخار المعظم
يرون به الرحمن جل جلاله	كرهه يدر الت لايتوههم
وبناهم فى عيشهم وسرورهم	وأرزاقهم تجرى عليهم وتقسم
إذا هم ينور ساطع قد بدا لهم	فقبل أرواحهم أبصاركم فإذا هم
برهم من فوقهم وهو قائم	سلام عليكم طيبم وسلمتم
فيا عجبها ما قدر من هو مؤمن	بهذا ولا يسمى له ويقدم ؟

ويقول أيضا :

ويرونه سبحانه من فوقهم	رعا الميمان كما يرى القمران
هذا حواتر من رسول الله لم	ينكره إلا فامد الايمان
وأتى به القرآن تصريحاً وتم	رعا هما بحياقه نوعان
(٣) وهى الزيادة قد أتت فى يونس	تفسيره قد جاء بالقرآن
ورواه عنه مسلم بصحيحه (٤)	يروى صحيحاً فلا كتمان
وهو المزيك كذا فى تفسيره أبو	يكر هو الصديق ذو الايمان
وعليه أصحاب الرسول وثابتم	هم بعد هم تبعية الاحسان

- (١) ان القيم : طريق الهجرتين ص ٩٠ .
 (٢) أحمد بن إبراهيم : شرح قصيدة ابن القيم ٥٦٧/٢ .
 (٣) قال تعالى : " للذين أحسنوا الحسنى زيادة " (يونس : ٢٦) .
 (٤) قال صلى الله عليه وسلم : (إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ؟ قال فيكشف الحجاب فما أعظوا شيئاً أحب إليهم من النظر الى ربهم عز وجل) مسلم ١٦٣/١ .

اليوم الآخر في حسن المسلمين الأوائل :

إن من آثار الايمان بالله واليوم الآخر : تحرير النفس من سيطرة الآخرين ومن
المبودية لغير الواحد القهار أو الخضوع لغير الله . وحتى يكون التحرير من
الخضوع لغير الله تعالى كاملاً ، فإن القرآن الكريم ينفي شبهة القدا ســـــــة
عن أى فرد ولو كان نبيا رسولا ، قال تعالى : " ليس لك من الامر شئ " (آل عمران : ١٢٨) .

وهذا الايمان في الحقيقة : ثورة على جهازة الارض وطواغيت الجاهلية ،
وثورة كذلك على كل عبودية ، وثورة على النفس للسيطرة على أهوائها ، وثورة على
المستبدين ، ونداء عالى لتحرير الانسان من عبودية غير الله تعالى . (١)
" وقد غنى القرآن الكريم بمشاهد القيامة - البعث والحساب والنعيم والعذاب -
فلم يعد ذلك العالم الآخر الذى وعده الناس بمشاهد عظيمة ،
ههنا هذا العالم الحاضر موصوفاً فحسب ، بل عاد مصوراً محسوساً
وحياً متحركاً وبارزاً شاخصاً .

وعاش المسلمون في هذا العالم عيشة كاملة : رأوا مشاهد وتأثروا بها ،
وخفقت قلوبهم تارة واقتشعرت جلودهم تارة ولفحهم من النار شواظ ورقب اليهم من
الجنة نسيم . ومن ثم باتوا يعرفون هذا العالم تمام المعرفة قبل اليوم الموعود " . (٢)
ولقد بعث الايمان بالآخرة في قلوب المسلمين شجاعة خارقة للمادة وحيثما
غريباً الى الجنة واستهانة نادرة بالحياة .

(١) عبد الكريم عثمان : الثقافة الاسلامية ص ٣٨ ، والقراضى : الايمان
والحياة ص ٢٦ .

ومحمد المبارك : نحو انسانية سعيدة ص ٥٤ .

(٢) سيد قطب : مشاهد القيامة في القرآن ص ٣٢ .

تثقلوا الآخرة وتجعلت لهم الجنة بنعمائها كأنهم يرونها رأى العين ، فطاروا إليها طيران الحمام الزاجل لا يلوى على شيء .

وقد رفع هذا الايمان رأسهم عاليا وأقام صفحة عنقهم فلم تنحن لغير الله أبدا ، لا لطك جبار ولا لحبر من الأخبار ولا لرئيس دنيوى ولا دينى .

ولأهذا الايمان قلوبهم وميوتهم بكريا* الله تعالى وعظمته ، فهانت وجوه الخلق وزخارف الدنيا ومظاهر العظمة . فإذا نظروا الى الطوك وحشمتهم وما هم فيه من ترف ونعيم ، فكأنهم ينظرون الى صور دى كسيت ملاهى الانسان . (١)

وهذه أمثلة من حياة الرعيل الاول من رضى الله عنهم ورضوا عنه تبين كيف عاشوا اليوم الآخر ، وكيف كان حبهم لله تعالى وخوفهم من ناره وشوقهم لجننته ، وكيف انهم كانوا يدهنون على الأرض وأرواحهم معلقة فى السماء ، وكيف تغلست نفوسهم من حظ نفوسهم ، وكيف باعوا كل ما يملكون وقد مو الغالى والرخيص رغباً ورهباً ، طمعا برحمة الله وخوفاً من عقوبته . لقد خافوا الموت عز وجل خوف من يرى أنه لو أتى الله تعالى بكل حسنات أهل الأرض لم يتقبلها منه . . . ورجبوا الله رجاء* من يرى أنه لو أتى الله بسميات أهل الأرض غفرها له .

(ويجب ألا يطنى الخوف من عذاب جهنم على الأمل بالفوز بنعيم الجنسية ، لأن رحمة الله التى وسعت كل شيء* فتحت باب التوبة حتى الموت) . (٢)

أرسل عمر - رضى الله عنه - الى عبد الرحمن بن عوف يستسلفه أربع مائة درهم . فقال عبد الرحمن - رضى الله عنه - : أتستسلفنى وعندك بيت المال ؟ ألا تأخذ منه ثم ترده ؟ فقال عمر : انى اتخوف أن يصيبنى قدرى ، فتقول أنت وأصحابك : اتركوا هذا لأمر المؤمنين ، حتى يؤخذ من ميزانى يوم القيامة . ولكنى استسلفها

(١) الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٠٣ و ١٠٤

(٢) النورسى : عصا موسى ص ٥٩

منك لما أعلم من شحك ، فإذا مت جئت فاستوفيتها من ميراثي . (١)

وشرب عمر - رضى الله عنه لبنا فأعجبه . فسأل الذى سقاه . من اين لك هذا اللبن ؟ فأخبره أنه ورد على ما* - قد ساء - فإذا نعم من نعم الصدقة وهم يسقون ، فحلبوا لى من ألبانها فجعلته فى سقائي فهو هذا . فأدخل عمر يده فاستقاه . (٢)

وكان لعمر - رضى الله عنه - خازن يقال له (معيقب) على بيت المال . فكنس البيت يوما فوجد فيه درهما ، فدفعه الى ابن لعمر فقال له عمر : ويحك يا معيقب . أردت أن تخافنى أمة محمد فى هذا الدرهم يوم القيامة ؟ (٣)

وسئل عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - . ما كان سبب توبتك ؟ قال : كنت أضرب يوما غلاما . فقال لى . اذكر الليلة التى تكون صبيحتها يوم القيامة . فعلم ذلك الكلام فى قلبى . (٤)

انطلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه حتى سبقوا المشركين الى بدر ، وجاء المشركون فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لا يقدم من أحد منكم الى شىء حتى أكون^{أنا} دونه) فدنا المشركون فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (قوموا الى جنة عرضها السماوات والأرض) فقال : نعم ، قال : بخ عليه وسلم - : (قوموا الى جنة عرضها السماوات والأرض) قال : نعم ، قال : بخ بخ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يحملك على قولك بخ بخ ؟ قال : لا والله يا رسول الله . الا رجاء أن أكون من أهلها . قال : فانك ممن أهلها . فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن . ثم قال : لئن أنا حييت حتى

(١) أبو عبيد : الاموال ص ٣٤١ و الطبرى : الرياض النضرة ١٣٦/٢

(٢) الامام مالك : الموطأ ص ١٨٢

(٣) ابن الجوزى : الشفا ص ٨٣

(٤) الغزالي : التبر المسبوك ص ٢٦ ، وابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز

أكل تمراتى هذه انها لحياة طويلة ؟ فرى بما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قتل . (١)

لما نزل قوله تعالى : " وان جهنم لموعدهم أجمعين . لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم " (الحجر : ٤٣ و ٤٤) أتى رجل من الأنصار النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال : ان لى سبعة ممالك وانى قد عتقت لكل باب منهم مملوكا . فنزلت الآية : " فيشرعاه الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه " (الزمر : ١٧ و ١٨) . (٢)

لما ودّوا عبد الله بن رواحة - رضى الله عنه - أثناء ذهابه مع الجيش المتوجه الى موثة بكى . فقالوا : ما يبكيك ؟ فقال : أما والله ما بى حب الدنيا ولا صباية اليها ولكنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقرأ : " وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا " (مريم : ٧١)

فلست أدري كيف لى بالصدر بعد الورود ؟ (٣)

لما طعن حرام بن ملحان - رضى الله عنه - وقيل : عامر بن فهيرة - رضى الله عنه - يوم بئر معونة . . قال بالدم هكذا فنضحه على وجهه ورأسه . . ثم قال :

-
- (١) انظر : مالك : الموطأ ص ٢٨٩
وابن أبى شيبة : المصنف ٢٩٩/٥
والبيهقي : الثقات ١٦٨/١
والاسفرايينى : مسند أبى عوانة ٣٦/٥
والسفارينى : شرح ثلاثيات الامام أحمد ٢٧٨/١
حتى أكون دونه : أى قد اده متقدما فى ذلك الشئ لثلاث يفوت شئ مسن المصالح التى لا يعلمونها .
بخ بخ : كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه فى الخير .
الارجاءة : أى الا رجاء .
قرنه : أى جمية النشاب .
(٢) السيوطى : لباب النقول ص ١٨٤ .
(٣) عبد القادر بدران : تهذيب تاريخ دمشق الكبير ٩٣/١

فزت ورب الكعبة . (١)

قال أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - وهو بحضرة العدو قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (ان أبواب الجنة تحت ظلال السيوف) (٢) فقام رجل رث الهيئة فقال : يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : قال : نعم . قال فجاء الى أصحابه فقال : أقرأ عليكم السلام . . ثم كسر جفنين سيفه فألقاه ثم مضى بسيفه قدما يضرب به حتى قتل . (٣)

أتى أعرابي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال :

يا عمر الخير جزيت المنية أكس بنياتى وأمهتني

وكن لنا من الزمان جنسة أقسم بالله لتفعلنني

فقال عمر : ان لم أفعل يكون ماذا ؟

فقال : اذن أبا حفص لأذهبه .

فقال عمر : واذا ذهبت يكون ماذا ؟ فقال :

يكون عن حالى لتسألني يوم تكون الأعطيات هنسي

وموقف السوء ول يهتني أما الى نار وأما الى الجنة

فبكى عمر حتى خضبت لحيته وقال : يا غلام أعطه قيصي هذا لذلك اليوم لالشعره ،

(١) الطبراني : المعجم الصغير ١ / ١٩٥

والزهري : المغازي النبوية ص ٩٥

وابن حجر : الترغيب والترهيب ص ١٢١

والاسفراييني : مسند أبي عوانة ٥ / ٤٢

(٢) مسلم ٣ / ١٥١١

(٣) انظر الحاكم : المستدرک ٢ / ٧٠

والبيهقي : السنن الكبرى ٩ / ٤٤

وابن أبي شيبة : المصنف ٥ / ٢٩٢

وابن الفاسي : جمع القوائد ٢ / ٦

فانى والله لا أملك غيره . (١)

عن محمد بن كعب القرظي قال :

لما استخلف عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - بعث الى وأنا بالمدينة ،
فقدت عليه . . فلما دخلت جعلت أنظر اليه نظرا لا أصرف بصرى عنه تعجبا .

فقال لى : يا ابن كعب . انك لتنظر الى نظرا ما كنت تنظره الى من قبل .

قلت تعجبا . قال : وما أعجبك ؟ قلت : ما حال من لونك ونحل من جسمك

وتساقط من شعرك .

فقال : كيف لو قد رأيته بعد ثلاث قد دلت في حفرتي وسالت حد قنای

على وجنتي وسال منخرای صديدا أو دما . . كنت أشد لى نكرة . . (٢)

ان المسلم يعيش حياته لغاية سامية نبيلة ولأهداف عالية كريمة على عبادة الله

تمالى والقيام بالخلافة فى الأرض على ضوء منهج الله وشريعته ! وهذا ما يميزه عن

غيره من بنى جنسه :

" والذين كفروا يمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار شوى لهم " (محمد : ١٢)

وهو قن المسلم أنه لم يخلق - هو أو غيره - عبثا أو سدى : " أفحسبتم أنما

خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون " (المؤمنون : ١٥) .

والايان باليوم الآخر يجعل المسلم يعيش هذه الأهداف ويسعى لتحقيق هذه

الغاية الكبرى ولو أدى ذلك لفقد الرخيص والنفيس ، فما عند الله خير للابرار .

وقد ورد الايمان بالله تعالى فى كثير من الآيات الكريمة مقترنا باليوم الآخر ،

ولا تكاد سورة قرآنية تخلو من الحديث عن اليوم الآخر وما فيه من نعم وعذاب ، فلا

فائدة من ايمان لا يتبعه عمل لليوم الآخر ، ولا فائدة من عمل لم ينبع من ايمان بالله .

(١) الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٢٨

(٢) أبو يوسف : الخراج ص ٥٣ ، وابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز

ولعل هذا هو السر في الجمع بين الايمان بالله والايمان باليوم الآخر :

" ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " (البقرة : ٦٢) .

" ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك هم الذين صدقوا وأولئك هم المتقون " (البقرة : ١٧٧) .

وقد شاءت ارادة المولى جل وعلا أن يعيش الناس متفاوتين فى أرزاقهم وأعمالهم وأحوالهم : فمنهم الشقى والسعيد . . ومنهم الغنى والفقر . . ومنهم القوى والضعيف . . ومنهم الحاكم والمحكوم . . ومنهم الظالم والمظلوم . . . فلو كانت هذه الحياة هى نهاية المطاف . . ولا حساب أو جزاء . . لكان ذلك منافيا للعدالة الربانية والحكمة الالهية . وكان الغالب على أمر الناس الافساد فى الارض .

والمرء اذا لم يخش عاقبة أمره ولم يهتم بيوم معاده ، يتوهم أن مصلحته فسى أن يكون أنانيا ظالما ، لأن دنياه هى فرصته الوحيدة للتمتع بزينة الحياة وزخرفها . وقد نعى الحق - تبارك وتعالى - على من يظن أن عاقبة المؤمن والكافر سواء بقوله : " أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار " (ص : ٢٨)

فالיום الآخر . . بما فيه من مكافأة المحسن على احسانه ومجازاة السيىء على اسائه . . هو مقتضى عدل الله ، وتحقيق الحق الذى خلقت من أجله السماوات والارض : " أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لاترجعون " (المؤمنون : ١١٥) .

ولا يتحقق الحق ولا تأخذ العدالة مجراها ، الا بيعت الناس وسوء البهيم وحسابهم ومجازاتهم على أعمالهم وأقوالهم ونياتهم ، ان خيرا فخير . . وان شرا

ففسر . . " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره " (الزلزلة :

٧ و ٨) .

ولا علمأئينة الى عدل الله عزوجل ، الا بالايمان بيوم الحساب والمجازاة . وما أقل ادراك الشيوعيين . وغيرهم من الكفرة والمشركين - حين لا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ، ولا يعملون لله وباليوم الآخر .

فإذا كانت الحياة تنتهى بالموت - ولا بعث ولا نعمم ولا عذاب بعد ذلك - فما الذى يردع المرء عن القتل والسرقه والفسخ والسرقه والكذب . . مادام كل شئ ينتهى بالموت ومادامت الدنيا هى نهاية الطاف ؟

يقول فضيلة الشيخ سيد سابق - حفظه الله :

" ان الله سبحانه يتصف بصفات الكمال ، ومن صفاته الكماله العدل والحكمة ، فهو سبحانه عادل لا يظلم أحدا من خلقه ، وحكيم لا يضيع الشئ " فى غير موضعه . ومن عدله وحكمته ألا يسوى بين البر والفاجر ولا بين المؤمن والكافر ولا بين المحسن والمسيء ، فان التسوية بينهما منتهى الظلم والسفاهة .

والله تعالى أرسل رسله - عليهم الصلاة والسلام - بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، فاهتدى فريق الى الله وانحرف فريق عن هدايته ، فلم تكن له العقيدة الحققة ولا المباداة الصحيحة ولا العمل الصالح .

والذين اهتدوا كلفتهم الهداية جهادا شاقا وتضحيات سريرة ومغالبة للهوى ومعاربة للبائل ومكافحة للشهوات والآثام ، وطال جهادهم حتى اللحظات الأخيرة من حياتهم . فهل يستوى هؤلاء الأبرار مع التافهين والفارغين الفسقة الذين

استحبوا الصغى الهدى وآثروا الفسى على الرشاد ؟ .

لقد قضى كل من الفريقين حياته ، هذا يجاهد فى سبيل الله ليعملى كلمته وليرفع راية الحق وليطهر الارض من الفساد ، وذلك يجاهد من أجل شهواته وغرائزه سائرا فى ركب الشيطان مؤتمرا بأمر نفسه الأمارة بالسوء .

فهل من العدل والحكمة أن يكون مصير هؤلاء جميعا واحدا ؟ ان ذلك لا يجوز
 فى العقل السليم بله الله أعدل العادلين وأحكم الحاكمين » (١)
 ان الايمان باليوم الآخر يهذب النفس ويحثها على الالتزام بالأخلاق الفاضلة
 والقيم المثلى والحث العالية .

وهذا الايمان يهذب سلوك الفرد ، ويجعل هذا السلوك نظيفا فى السر
 والملاينة وفى الضراء والسراء . وكيف لا يسير المؤمن على الجادة المستقيمة دون
 اغترار بمناج الدنيا - وهو يعلم أن ما عند الله خير وأبقى ؟

فالايمان باليوم الآخر يجعل المرء مستقيما مطيعا لله تعالى فى كل أموره ، يرجو
 رحمته ويخشى عذابه . ويجعله كذلك مستقيما فى علاقته مع الناس ، فيعاملهم بالرفق
 والادب والحسنى ، لا يؤذى غيره ولا يظلمه ولا يعتدى عليه ، لأنه ان لم يشط على
 الصراط المستقيم فى الدنيا فلن يجوز الصراط فى الآخرة . وتبا لمن يبيع آخرته
 بمرضى من الدنيا قليل .

والايمان باليوم الآخر : يجعل المسلم مراقبا لله تعالى فى أقواله وأفعاله
 وتفكيره ، لأنه يعلم أن الحاكم العادل تبارك وتعالى يعلم السر وأخفى ولا يعزب
 عنه مثقال ذرة فى السماوات والأرض : " يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور "

(غافر : ١٩) . " وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين "

(الانبياء : ٤٧)

والايمان باليوم الآخر - الذى هو من مستلزمات الايمان بالله - يفرض على المؤمن
 التخلق بأخلاق الاسلام بينه وبين نفسه ، وبينه وبين أهله وبينه وبين أقاربه
 وأصحابه وجيرانه ، وبينه وبين أفراد مجتمعه - أصدقائه وأعدائه مؤمنين وكافرين -
 ، وبينه وبين الدولة التى يعيش فى ظلها .

(١) . سيد سابق : العقائد الاسلامية ص ٢٧٩ بتصرف يسير .

(ويتحول المرء في ظل الايمان باليوم الآخر الى مقدّم لكل شئ : من مال ونفس ووقت وجهد دون أن يطلب في الدنيا شيئاً . أنه يلتزم بكل ما عليه من واجبات .. بل يزيد عليها .. دون أن يطلب أى حق دنيوى لأن الله تعالى سيمطيه يوم الدين جزاء لا يقدر بكل جزاءات الدنيا (١)

وحول هذا المعنى يقول صاحب الظلال (رحمه الله) :

.. ان الله سبحانه - في موضع التربية ، وفي مجال اقرار القيم الأساسية فسى التصور الاسلامى ، لا يعد المؤمنين بالنصر أو يقهر الأعداء أو بالتكئين فى الأرض .. ولا يعدهم شيئاً من الأشياء فى هذه الحياة .. ما يعدهم به فى مواضع أخرى ، وما يكتبه على نفسه لأوليائه فى صراعهم مع أعداءه . أنه يعدهم هنا شيئاً واحداً عمو (ما عند الله) . فهذا هو الأصل فى هذه الدعوة . وهذه هى نقطة الانطلاق فى هذه العقيدة .:

التجرد المطلق من كل هدف وغاية ومن كل مطمع . حتى رغبة المؤمن فى غلبة عقيدته وانتصار كلمة الله وقهر أعداءه الله .. حتى هذه الرغبة يريد الله تعالى أن يتجرد منها المؤمنون ويكلوا أمرها اليه ، وتتخلص قلوبهم من أن تكون هذه شهوة لها ، ولو كانت لاتخصها .

هذه العقيدة : عطاء ووفاء وأداء .. فقط . وبلا مقابل من أعراض هذه الأرض ، وبلا مقابل كذلك من نصر وظبة وتكئين واستملاء .. ثم انتظار كل شئ هناك . ثم يقع النصر ويقع التكئين ويقع الاستملاء .. ولكن هذا ليس داخل فى البيعة .. ليس جزءاً من الصفقة ، ليس فى الصفقة مقابل فى هذه الدنيا وليس فيها الا الأداء والوفاء والعطاء .. والابتلاء .. (٢)

(١) عبد الودود يوسف : بناء الاسلام ص ٧٨ .

(٢) سيد قطب : الظلال ١ / ٥٥٠ و ٣ / ١٥٧١ و ١٥٧٢ بتصرف يسير

والايمان باليوم الآخر يجعل المسلم ربانيا متجردا لله تعالى فى ظاهره وباطنه ،
 لا يهتم الا بالخير ، وان فكر بالشركف عنه ، خوفا من حساب يوم القيامة .
 ويجعل المسلم كذلك قائما بما وكل اليه من مهام دينوية أحسن قيام ، فلا يفتش
 فى علمه فى الرخاء أو الشدة : سواء كان فى متجره أو مزرعته أو مدرسته أو مختبره
 أو مصنعه أو عيادته أو دائرته أو وظيفته . ويجعله قرآنيا فى البيت وفى الشارع وفى
 المنتدى وفى المقهى وفى المسجد وفى أى زمان ومكان . لأن المسلم يعلم أن عليه
 أن يكون قرآنا يدب على الأرض محل حلاله ويحرم حرامه ، ليكون من الفائزين يوم
 الدين ،

والايمان باليوم الآخر يحث المؤمن على ازدراء الكفر ومقت الكافرين - ولو كانوا
 أكثر أموالا وأولاداً وسلاحاً ونظيراً - لأن عاقبة هؤلاء جهنم وبئس المصير :
 " لا يفرنك تقب الذين كفروا فى البلاد . متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد "
 (آل عمران : ١٩٦ ، ١٩٧) .

" ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا - من
 فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبوابا وسرا عليها يتكئون . وزخرفا وان كل
 ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين " (الزخرف : ٣٣ - ٣٥)
 ويحث المسلم كذلك على الانفاق والبعد عن الشح والبخل ، فإذا مات الانسان
 لن يأخذ معه شيئا من متاع الحياة الدنيا فلماذا لا ينفق ما آتاه الله ؟
 " ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو غيرا لهم بل هو شر
 لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة " (آل عمران : ١٨٠)

" والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فيشروعهم بعسذاب
 اليم . يوم يحس عليها فى نار جهنم فتكون بها جباههم وجنوبهم وظهرهم هكذا
 ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون " (التوبة : ٣٤ و ٣٥)

والمؤمن بالله واليوم الآخر يسعى بجد للوصول الى الروحانية والمادية ، دون

انفصال بينهما ولا تتأفر ، فكلاهما يؤدى الى طريق واحد هو رضوان الله والجنة :
 " قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك

أمرت " (الانعام : ١٦٢ و ١٦٣) .

ان الايمان باليوم الآخر مرغبا للقيام بأوامر الله - دون مرواغة أو مباحكة -
 والابتعاد عن منهياته - دون ثعنات أولجاج - للفوز بسعادة الدارين والابتعاد
 عن عذاب الكافرين :

" ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها
 وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتمدد حدوده يدخله نارا خالد فيها
 وله عذاب مهين " (النساء : ١٣ و ١٤)

" فأتاكم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين " (آل عمران :

١٤٨) .

والايمان باليوم الآخر يدعو المسلم الى الصبر والاناة ، فالعاقبة للمهتدين :
 " الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم

صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون " (البقرة : ١٥٦ و ١٥٧) .

والايمان باليوم الآخر يكبح جماح النفس ، ويجعل المؤمن يضع مخافة الله بين
 عينيه فى جميع أحواله ، لأنه يعلم أن : " من ظنى . وآثر الحياة الدنيا . فسان
 الجحيم هى المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هى
 المأوى " (النازعات : ٣٧ - ٤١)

ولأنه يعلم أن الله سبحانه وتعالى يهمل ولا يهمل ، ولأنه يعلم أنه عز وجل
 يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الآخرة الا من أحب .

وباختصار :

ما الذى يجعلنى - كسلم - أمتنع عن تناول الماء البارد فى نهار رمضان

القائظ - د ون أن يرائى أحده - اذا لم أكن موقنا بمذاب يوم القيامة ؟
وما الذى يحفزنى لأخراج زكاة مالى عن طيب نفس - د ون أن يطا لبنى بهما
أحد فى زمن غربة الاسلام - اذا لم أومن بمنعيم وعذاب الآخرة ؟ ، وما الذى يدفعونى
للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصبر على ذلك - د ون أجز من الناس أو خسوف
منهم - اذا لم أطمئن بأن ما أفقده فى الدنيا - من أهل ومال وجاء ونفس - لمن
يضيع عند الله يوم التنازع ؟ .

والايمان بالعوض - كما يقول فضيلة المشرف - يقتنع الانسان بأن يكتفى بالحلال
ولا يتجاوز الى الحرام لكى لا يكون من الخاسرين " يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من
أتى الله بقلب سليم " (الشعراء : ٨٨ و ٨٩) .

وما الذى يدفعنى للقيام بصلوى - الذى انيط به أدائه - خير قيام ، اذا لم
يكن فى حسى الجنة . . أو النار ؟ .

ولو لم يكن هناك يوم آخر : لكان القول بأن (الغاية تبرز الوسيلة) هو عين
الحكمة والصواب ؟ . ولكانت الفضيلة هى تحقيق مصالح الفرد الشخصية فحسب .
وهذا - ما لا يقوله عاقل ، ولو كان من أصحاب الديانات المنحرفة الضالة .
ولله نار القائل :

فلو أنا اذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حسى
ولكننا اذا متنا بعثنا ونسأل بعده عن كل شىء

ولذا فان الايمان باليوم الآخر يطمئن النفوس الى عدل الله وقضائه .

جاء فى كتاب دراسات قرآنية :

((يولى القرآن الكريم أهمية بالغة للايمان باليوم الآخر حتى ليلحقه فى كثير من
المواضع بالايمان بالله مباشرة اثباتا ونفيا . . فيوصف المؤمنون بأنهم هم الذين
يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويوصف الكافرون بأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر .

وهكذا يجيىء الايمان باليوم الآخر مرتبطا ارتباطا وثيقا بالايمان بالله وضمما له . ولا عجب فى ذلك حين ننظر الى الثمرة النهائية للايمان بالله وهى الطاعة الكاملة لله . . . ولقد علم الله - وهو العليم بمن خلق - أن هذه الطاعة لا يتم تمامها - عند كثير من الناس - بمجرد الايمان بالله ، انما بالايمان الراسخ بأن هناك بعشا وحسابا وثوابا وعقابا . . . فتهبج المؤمن الى الأعمال التى تقره من الله اتقا لعذابه وطمعا / ثوابه . . .

ولقد نحسب - لأول وهلة - أن الحديث المستفيض عن اليوم الآخر فى السور المكية كان سببه أنكار العرب للبعث - وحقا لقد كان هذا الانكار الجازم فى حاجة الى حديث مستفيض حتى يزول عنه اصراره العنيد - ولكن استمرار الحديث عن اليوم الآخر فى السور المدنية ، يمد أن قام المجتمع المسلم والدولة المسلحة ووجد جيل من الناس يؤمن بالله واليوم الآخر ويجاهد فى سبيل الله فيقتل ويقتل نتيجة ايمانه بالله واليوم الآخر ، استمرار الحديث يمد هذا دليل على أن الحديث المستفيض عن اليوم الآخر فى السور المكية لم يكن كله بسبب انكار المنكرين للبعث ولا كان كله موجها الى أولئك المنكرين . انما كان جزء منه - طى الاقل - موجها للذين آمنوا بالفعل بالله واليوم الآخر . . ثم هو دليل كذلك على أن الذين آمنوا بالفعل ليسوا فى غنى عن التذكير باليوم الآخر انما هم فى حاجة دائمة الى ذلك التذكير . . ولو علم سبحانه - وهو العليم بخلقه - أن مجرد حدوث الايمان باليوم الآخر يكفى لما عاد القرآن لتذكيرهم المرة بعد المرة . . انما علم الله تعالى أنه لابد من التذكير . . واعادة التذكير ولا بد اذن من سبب دائم يدعو الى التذكير .

انه لاشيى يمكن أن يقنع الانسان بالتنازل عن الصاع الزائد عن الحد المدفوع اليه بفطرته والالتزام بالحدود التى رسمها الله لهذه الدوافع وأمر الناس ألا يمتدوها . . الا الايمان الجازم بأن ما يتركه هنا فى الدنيا - من أجل طاعة الله - يلقاه فى الآخرة مضاعفا لا فى الدرجة فعسب . . بل فى النوع كذلك ، حيث

النعميم الخالد الذى لا يزول . وأن ما يمحى الله فيه فى الدنيا - اندفاعاً وراء شهواته - يعدّ ب عليه عذاباً لا تطيقه النفوس والأبدان . وتصبح الموازنة حينئذ بين متاع هنا فى الدنيا زائل زائل - ليس أقل عيوبه ما يشوبه من القلق الدائم على انتباهه وزواله - ومتاع هناك خالد لا يزول ، ومن نوع أجمل وأعمق وأمتع وأصفى . . وموازنة كذلك بين ألم من عدم تحقيق القدر الزائد من المتاع وهو محتمل فى جميع أحواله ، وألم فى الآخرة يفوق طاقة الاحتمال . .

وحين توضع الموازنة فى هذه الصورة ، يكون من الحماقة الشديدة - ولا شك - إضاعة النعميم الخالد بالنعميم الزائل . لذا كان التركيز الشديد على عقيدة اليوم الآخر . . لأنها هى الثقل الذى يعادل جاذبية الشهوات . .

ثم أن المجينة البشرية عجيبة عصية لا تستقر بسهولة فى داخل القلب الذى تتحقق به سلامتها فى الدنيا والآخرة . وإنما هى دائمة التلوى والتحرك مندفعاً خارج حدود القلب تريد أن تنفط مع الشهوات . . ومن ثم فهى لا تنضبط مسرة واحدة وينتهى الأمر ويستقر بها المقام . إنما هى فى حاجة إلى علية ضبط دائمة لا تكل ولا تفتر ، لأنها هى لا تفتر عن الاندفاع والاندلاع - إلا أن تستقيم بعد طول المجاهدة وتطمئن إلى طريق الله - .

ولا بدّ أيضاً من جهاد لا قرار منهج الله . . جهاد يحرم الإنسان حتى من المتاع السباح . . ويعرضه لأن يفقد ماله أو راحته أو أمنه أو أهله . . بل قد يعرضه للتعذيب والتشريد . . وقد يعرضه للموت بوسيلة من وسائل القتل - وذلك غير القتال فى سبيل الله وما يصاحبه من المشقة والحرمان الذى يصل إلى الموت فى ساحة القتال - فماذا يموض المؤمن عن ذلك كله ، ويفريه بتحمل العذاب فى الدنيا بشتى صنوفه ، إلا ذلك الايمان الجازم بأن كل حرمان يتعرض له فى الأرض - فى سبيل الله - جزاؤه النعميم الخالد الذى لا ينفد ؟ وماذا يمنعه من التقاعس - خوفاً من عذاب الأرض - إلا الايمان الجازم بأن عذاب الله تعالى عن هذا التقاعس

هو المذاب الأشد ٤ .

لذلك كان التذكير الدائم - للمؤمنين - باليوم الآخر لكي يتقوا على الجهاد ،
ولا تقعد بهم شقاوة وعذاباته وحرمانه عن المضي فيه ابتغاء مرضاة الله . . . ولهم
على ذلك الجنة .

والتصوير المبدع لمشاهد القيامة في القرآن الكريم هو الذي جعل الجيل الأول -
من المسلمين - يمشي بوجوده في الآخرة وهو يخطو بجسده على الأرض . وأوجد
في نفوسهم تلك الحساسية الهائلة في كل تصرف يتصرفونه خشية أن يحرّمهم - من
النعيم ويؤدى بهم إلى النار . .

وهكذا يفعل الإيمان باليوم الآخر حين يستقر في النفس ويرسخ . . . فيعيش
الإنسان بوجوده في الآخرة ، بينما هو بكل طاقاته يحمل في الأرض . (١)

(١) محمد قطب : دراسات قرآنية من ص ٦٣ - ٨٢ باختصار

الفضل السامع

أمر الإيمان بالقضاء والقدر

في تربية النفس

تمهيد :

الايان بالقضاء والقدر - خيره وشره - هو الركن السادس والاخير من
أركان الايمان ، وهو أكثر ركن دار حوله النقاش منذ الجاهلية الاولى - عند بعثته
(صلى الله عليه وسلم) - حتى الجاهلية المعاصرة . وقد احتج به المشركون على
كفرهم ، فقالوا كما أخبرنا بذلك القرآن الكريم :

"سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من شيء" ،
كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ،
ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون " (الانعام : ٤٨) .

وقد ظهرت فرق اسلامية بسبب عدم الفهم الصحيح للقضاء والقدر ، ومن أشد
الفرق انحرافا وضلالا عن مفهوم القضاء والقدر :

(أ) القدريّة : الذين نفّسوا القدر .

(ب) الجبريّة : وهم على النقيض من القدريّة .

والسميد من تمسك بمذهب السلف - أهل السنة والجماعة - الذين ذهبوا الى
أن ما شاء الله تعالى كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه تعالى خلق الخلق وخلق أعمالهم
وجعلهم مختارين ، وأنه أمر العباد ونهاهم ، وأنه تبارك وتعالى " لا يسأل عما يفعل
وهم يسألون " (الانبياء : ٢٣) . وأن كل امرئ ميسر لما خلق له " فأما من أعطى
واتقى . وصديق بالحسن . فسنيسره للميسر . وأما من بخل واستغنى . وكذب
بالحسن . فسنيسره للمسر " (الليل : ٥ - ١٠) .

ومن الافضل للمسلم أن يسلك عن الخوف في القضاء والقدر ، وعليه أن يسمى

ويجتهد ثم يتوكل على الله ، وصديق القائل :

" فملى أن أسمى وليس على ادراك النجاح "

ويقول (صلى الله عليه وسلم) : " اعملوا فكل ميسر من كان من أهل السعادة يسر
لعملها . ومن كان من أهل الشقاوة يسر لمعملها " (١)

تعريف القضاء والقدر :

اختلف العلماء في تعريفها ، واختلفوا هل مترادفان أو

متغايران ؟

ف قيل : هما النظام المحكم الذي وضعه الله تعالى لهذا الكون ، والقوانين العامة والسنن التي ربط الله بها الاسباب بحسبها .
وقيل : هما حكم الله تعالى في شئ بحمده أو زمه ويكونه وترتيبه على صفة كذا وإلى وقت كذا .

وقيل : القضاء : هو حكم الله تعالى ألا بوجود الشئ أو عدمه .

ويطلق في القرآن الكريم ويراد به :

ايجاد المقدر : كقوله تعالى : " فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته

الا دابة الارض تاكل منسأته " (سبا : ١٤) .

والاخبار بما سبق ما قدر : كقوله تعالى : " وقضينا الى بنى اسرائيل في

الكتاب لتفسدن في الارض موتين " (الاسراء : ٤)

والامر والوصية : كقوله تعالى : " وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين

احسانا " (اسراء : ٢٣) .

والحكم : كقوله تعالى : " وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون " (الزمر : ٦٩)

(١) انظر تعريف القضاء والقدر في :

الفزالي : الايمين في أصول الدين ص ١٠

وابن حزم : الفصل ٥٢/٣

ودراز : المختار من كنوز السنة ص ٢١٨

وعبد الرحمن آل الشيخ : خمس رسائل ص ٣٤١

وحمود التويجري : فتح الميمود ص ٢١

والهوطي : كبرى اليقينيات ص ١٦٧

ووهبي اللبناني : أركان الايمان ص ٣٠٣

وسيد سابق : العقائد الاسلامية ص ٩٥

وكمال محمد عيسى : العقيدة الاسلامية ص ٤٢١

والقدر : هو ايجاد الله تعالى للأشياء على كفية خاصة في زمن معين .

قال تعالى : " انا كل شيء خلقناه بقدر " (القمر : ٤٩) .

وقيل : القدر : قدرة الرحمن . وهذا ما ذهب اليه الامام أحمد .

وقيل : القدر : هو ما قدره الله تعالى وهضاه وسبق بمعلمه وارادته وفرغ من كتابته

قبل خلق السماوات والارض بخمسين ألف سنة . (١)

ومعنى الايمان بالقضاء والقدر :

هو التصديق الجازم بأن كل خير وشر بقضاء الله وقدره ، وأنه عز وجل الفاعل

لما يريد ، لا يكون شيء الا بإرادته ولا يخرج شيء عن مشيئته ، ولا محيد لاحد عن

القدر المقدور ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور . وأنه تعالى علم مقادير

الأشياء وأحوالها وأزمنها قبل ايجادها ثم أوجد منها ما سبق في علمه أنه يوجسده

على نحو ما سبق في علمه ، وأنه تعالى يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته .

وأنه تعالى خلق المباد وخلق أفعالهم وجعلهم مختارين ، (٢)

(١) والمراد : تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ لا أصل التقدير فان ذلك

أزلى .

(٢) انظر معنى الايمان بهما فى :

محمد بن عبد اللطيف : رسالتنشر الوهابية للدين ص ٩٠

ومحمد بن عبد الوهاب : الرد على الرافضة ص ٤٣

وحافظ حكى : معارج القبول ٢ / ٣٤٨

وسليمان بن عبد الله : تيسير العزيز الحميد ص ٦٨٥

والسلمان : مختصر الاسئلة والاجوبه لاصولية ص ٢٢

مراتب القدر (الثي / لم يؤمن بها لم يؤمن بالقدر) :

علم الله عز وجل السابق بما الخلق به عاملون قبل ايجادهم .

وكتابة ذلك عنده قبل خلق السماوات والارض .

ومشيئة الله تعالى المتناولة لكل موجود .

وخلقه للخلق وابدانهم وتكوينهم (١) .

أو بمعنى آخر - كما يقول ابن تيمية رحمه الله - : الايمان بالقدر على درجتين :

الاولى : الايمان بأن الله تعالى علم بما الخلق عاملون به بعلمه القديم ، وعلم جميع

احوالهم من الطاعات والمعاصي والا رزاق والا جال ثم كتب في اللوح المحفوظ .

مقادير الخلق .

الثانية : مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة . وقد أمر العباد بطاعته ونهاهم عن

معصيته . والمباد فاعلون حقيقة ، والله تعالى خالقهم وخالق أفعالهم (٢) .

الاحتجاج بالقدر :

المؤمن مأثور أن يرجع الى القدر عند المصائب لا عند الذنوب والمعاصي فعليه

أن يصبر على المصائب ويستغفر من الذنوب .

ولهذا قال غير واحد من السلف : لا يبلغ الرجل حقيقة الايمان حتى يعلم أن ما

أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

وأما الذنوب : فليس لاحد أن يحتج فيها بالقدر ، بل طيه الا يفعلها ، وإذا

فعلها فعليه أن يتوب منها ، كما حدث من آدم (عليه الصلاة والسلام) (٣)

(١) ابن القيم : شفاء العليل ص ٦٦ ، وطريق الهجرتين ص ١٥٧ بإيجاز .

(٢) ابن تيمية : العقيدة الواسطية ص ٦١ و ٦٢ باختصار .

(٣) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ١ / ٣٦٣ بتصرف يسير .

ولو كان الاحتجاج بالقدر مقبولا : لم يكن للناس أن يمشوا . ان كان لكل من اعتدى عليهم أن يحتج بالقدر فيقبلوا عذره ولا يعاقبه . ولا يمكن لاثنتين من أهل هذا القول أن يمشيا ، ان لكل واحد منهما أن يقتل الآخر محتجا عليه بالقدر . (١)

فشر الخلق : من يحتج بالقدر لنفسه ولا يراه حجة لغيره ، يستند اليه في الذنوب ولا يطمئن اليه في المعصية . كما قيل : هو عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبرى .

وخير الخلق : الذين يصبرون على المصائب ويستغفرون من المصائب ، قال تعالى :

" فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك " (غافر : ٥٥) .

فالقدر : يؤمن به ولا يحتج به ،

فمن لم يؤمن به : ضار المجوس . ومن احتج به : ضار المشركين . ومن طمئن في عدل الله : صار كإبليس (والعيان بالله) (٢)

ولله در القائل :

وما شئت كان ، وان لم أشأ	وما عشت ان لم يشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت	ففى الملم يجرى الفتى والمسن
على ذا مننت ، وهذا خذلت	وهذا أعنت ، وذا لم تمسن
فمنهم شقى ، ومنهم سعيد	ومنهم قبيح ، ومنهم حسن .

ولله در الامام ابن القيم حيث يقول :

(والافتحالى أمر أن تدفع السيئة - وهى من قدره - بالحسنة - وهى من قدره - . وكذلك الجوع من قدره ، أمر بدفعه بالاكل الذى هو من قدره ، ولو استسلم

(١) ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤١٣

(٢) ابن تيمية : أقوم اقليل فى المشيئة والحكمة والقضاء والقدر والتحليل وطلان

الجبر والتعطيل ص ١٣٣

وابن تيمية : منهاج السلف النبوية ١ / ٣٦٢

المبدء لقدر الجوهج قدرته على دفعه بقدر الاكل حتى مات ؛ مات عاصيا . وكذلك
البرد والحر والعطش . كلها من اقداره ، وأمر بدفعها بأقدار تضادها .
والدافع والمدفوع والدفع من قدره .

وإذا طرق العدو من الكفار بلد الاسلام طرقوه بقدر الله تعالى . أفيحل للمسلمين
الاستسلام للقدر وترك دفعه بقدر مثله ، وهو الجهاد الذى يدفعون به قدر الله
بقدره ؟ وكذلك المعصية إذا قدرت عليك وفعلتها بالقدر ، فادفع موجبها
بالتوبة النصوح وهى من القدر .

ودفع القدر بالقدر نوعان :

أحدهما : دفع القدر الذى قد انعقدت أسبابه . ولم يقع . بأسباب أخرى من
القدر تقابله ، فيمتنع وقوعه ، كدفع العدو بمقاتله ، ودفع الحر والبرد ونحوه ..
الثانى : دفع القدر الذى قد وقع واستقر بقدر آخر يرفعه ويزيله ، كدفع قدر
المرض بقدر التداوى ودفع قدر الذنب بقدر التوبة ودفع قدر الاساءة
بقدر الاحسان .

فهذا شأن المعارفين وشأن الاقدار ، لا الاستسلام لها وترك الحركة والحيلة فانه
عجز والله يلوم على العجز فإذا غلب المبدء وضاعت به الحيل ولم يبق له مجال
فهناك الاستسلام للقدر ولا تطراح كالسيت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء . وهنا
ينفع الفناء فى القدر علما وحالا وشهودا .

وأما فى حال القدرة وحصول الاسباب فالفناء النافع : أن يفشى عن الخلق بحكم
الله وعن هواه بأمر الله ، وعن ارادته ومحبهه بارادة الله ومحبهه ، وعن حوله وقوته
بحول الله وقوته وأعانتة . فهذا الذى قام بحقيقة " اياك نعبد و اياك نستعين " علما

(١) (وحسبنا)

معنى (يضل من يشاء ويهدي من يشاء) ؛
يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالي في قوله تعالى " فان الله يضل من يشاء ويهدي
من يشاء " (فاطر : ٨) . الخطب في ذلك سهل ، ولن نذهب في بيانه السى
أحمد من كتاب الله لمن شاء أن يفهم " ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر " (القمر : ١٧) ، ونحن نجد أن إطلاق المشيئة في آية ، وثيقة أخرى يذكر
فيها الاختيار الانساني صريحا .
أى أن اضلال الله تعالى لشخص ، معناه ؛ أن هذا الشخص أثر القى على الرشاد ،
فأقره الله على مراده ، وتم له ما يبغي لنفسه . . .
" فلما زاغوا أزعج الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين " (الصف : ٥) .
وانظر الى قيمة التنويه بالاتجاه البشرى الممتاد : " ومن يشاقق الرسول من بعد
ما تبين له الهدى ويتبع غير سهيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا " (النساء : ١١٥) .
فهل بقي غموض في إطلاق المشيئة ؟ لا .
ان معنى قوله تعالى " يضل من يشاء " لا يمد وقوله تعالى " وما يضل به الا الفاسقين
الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه " (البقرة : ٢٥ و ٢٦) .
وكذلك الحال في (يهدي من يشاء) ،
انظر الى قيمة الايراد لانسانية في قول الحق وهو يتكلم عن ارادته :
" قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من انا . الذين آمنوا وتعلمن قلوبهم يذكر
الله ألا يذكر الله تعلمن القلوب " (الرد : ٢٧ و ٢٨) .
فهو يهدي اليه من انا " ان الله لا يهدي القوم الفاسقين " (المنافقون : ٦) .
اجعل أيها القارئ هذا الصباح بين يديك ، وسر في نوره بين شتى السور ، فلن
تجد في دين الله قلقل أو اضطرابا . وانما القلق والاضطراب في عقول المحققين
وقلوب الغافلين .

وهنا قد يسأل بعض الناس عن حدود الإرادة الدنيا والعليا في الاعمال ؟
 ومع أن هذا السؤال لا مبرر له ، ونحن نتبرع بالاجابة عنه حتى يظهر السرفى نسبة
 الهداية والاضلال ، تارة لله تعالى وتارة للانسان ،
 هل تعرف ما يفعله الفلاح في حقله ؟

انه يلقى البذر ويتعمده بالسقى ، وعلى الله الانبات والاشمار .
 تستطيع أن تسمى الفلاح زارعا - وانت صادق - لقيامه بالسبب ، وتستطيع أن تسمى
 الحق - تبارك وتعالى - زارعا (١) لقيامه بالعمل .
 " أفرايتم ما تحرثون ، أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ، لو نشاء لجمعنا عظاما فظلمتم
 تفكهمون . انا لمفرمون . بل نحن محرومون " . (الواقعة : ٦٣ - ٦٧)
 فازرع عرك - ان شئت - خيرا ، فان يد القدرة سوف تسميه لك وردا بانعا . أو ازرعه
 - ان شئت - شرا ، فان يد القدرة تسميه هوكا .

" وقل اعلموا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون الى عالم الغيب والشهادة
 فينبئكم بما كنتم تعملون " (التوبة : ١٠٥) . (٢)

قلت :

اذا علم أستاذ أن أحد طلابه يجتهد في دروسه ، متصفا بالذكاء والنجابة ، فانه
 يعرف أن تلميذه سينجح في نهاية العام - وذلك قبل تقديم الاختبارات ولكنه لا يضع

(١) تنبيه : مع احترامنا الكبير لفضيلة شيخنا (الغزالي) واعتقادنا بحسن نيته ،
 الا أنه جانب الصواب بتسميته المولى جل وعلا (زارعا) . لان الله تعالى لا يسمى
 الا بما سمي به نعمة أو ساء به رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، وأسأوه عز وجل
 توقيفا ولا يجوز اطلاق اسم عليه من طريق القياس ، كتسميته تعالى . زارعا أو
 حارثا أو مهندسا أو مدبرا أو مديرا للكون الى غير ذلك من الالفاظ التي لم ترد
 في الكتاب أو السنة . انظر الفرق بين الفرق ص ٣٣٧ ، والنصيحة في صفات الرب
 (٢) الغزالي : عقيدة المؤمن ص ١٠١

له العلامة - نتيجة الاختبار - الا بعد تقديم الامتحان والاجابة عن الاسئلة .
والله عز وجل - وله النبل الاعلى - يعلم أن أي عبد سيدخل الجنة أو النار ، لأنه
سيمثل بعمل أهلها - كما كتب ذلك في اللوح المحفوظ - ولكنه سبحانه وتعالى
جمل على الانسان كراما كاتبين ، لا يسجلون الحسنة أو السيئة الا بعد عملها .
فعلمه جل شأنه لا يقتضى ارتكاب المعصية ، لان أحدا من الخلق لم يطلع على الغيب
" وما كان الله ليطلعكم على الغيب " (آل عمران : ١٧٩) .
ومن نفى القدر واحتج به على الكفر فقد خسر الدنيا والاخرة وذلك هو الخسران
المبين .

عن ابن بريدة قال :

(وردنا المدينة فأتينا عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - فقلنا : يا أبا عبد الرحمن
أنا نؤمن في الأرض فنلقى قوما يزعمون أن لا قدر . فقال : من المسلمين ؟ من
يصلى للقبلة ؟ فقال : نعم . من يصلى للقبلة . قال : فغضب ، حتى وددت أنى
لم أكن سأله . ثم قال : اذا لقيت أولئك فأخبرهم أن عبد الله بن عمر منهم
بريء وأنهم منه براء) (١)

وهذه أشلقطى أثر الايمان بالقدر في نفوس المؤمنين :

ما فتئت الخنساء - رضى الله عنها - تبكى أخاها صخرا في الجاهلية . . حتى

عميت . وقالت :

ولولا كثرة الباكين حوالى على اخوانهم لقتلت نفسى

وحين أكرمها الله بالاسلام وحضرت معركة القادسية ومعها بنوها أربعة رجال ،
وعظمتهم وحرصتهم على القتال وعدم الفرار . فلما أصبحوا بأشروا القتال واحدا بعد
واحد . . حتى قتلوا جميعا . فبلغها الخبر فقالت : (الحمد لله الذى شرفنى
بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعنى بهم فى مستقر رحته) (٢)

(١) ابن أبي شيبة : كتاب الايمان ص ٤٠

(٢) ابن أعثم : الفتوح ٢٠٦ / ١ و ٢٠٧ =

يقول خالد بن الوليد - رضى الله عنه - : (١)

فالميلة نهدي الى يدي فيها عروص أنا لها محب ، أو أبشر فيها بفلام ، أحب السى
من ليلة شديدة الجليد فى سرية من المجاهدين أصبح بها العدو . لقد علمت القتل
فى مظانه - موطنه التى يرجى فيها - فلم يقدر لى . ولقيت كذا وكذا زحفا ، فمسا
فى جسدى موضع الا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بهم . وها أنا ذا
أبوت على فراشى حتف أنفى كما يموت الحيز . فلا ناست أمين الجبناء .
فى السنن من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - قال :

ذكرت الحى عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسبها رجل . فقال رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - (لا تسبها فانها تنفى الذنوب كما تنفى النار عبيد الحديد) (٢)
يقول الامام ابن القيم - رحمه الله - :

ذكرت مرة وأنا محبوس قول بعض الشعراء يسبها :

زارت مكفرة الذنوب وودعت تباليها من زائر ومسودع
قالت : وقد عزمت على ترحالها ماذا تريد ؟ فقلت : ألا ترجعنى
فقلت : تباليه . ان سبمانهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن سبه .
ولو قال :

زارت مكفرة الذنوب لصبتها أعليها بها من زائر ومسودع
قالت : وقد عزمت على ترحالها ماذا تريد ؟ فقلت : ألا تقضى
لكان أولى به ولا علمت عنه . فأعلمت على سريعا (٣)

= وابن عبد البر : الاستيعاب ٤ / ٢٩٥ - ٢٩٧

وابن حجر : الاصابة ٤ / ٢٨٠ - ٢٨٧

والهاشمي : جواهر الادب ٢ / ٣٩٥ - ٣٩٧

(١) ابن أبى شيبة : المصنف ٥ / ٣٩٧

وابن المبارك : الجهاد ص ٥٦ و ٩١

وابن قتيبة : المعارف ص ١١٦

وابن حجر : المطالب العلية ٤ / ٨٩

(٢) سلم ٤ / ١٩٩٣

(٣) ابن القيم : الطب النبوى ص ٢٣

لما جاء معاذة - رضي الله عنها - ثعى زوجها وابنها . جاء النساء ..
 فقالت : ان كنتن جئتن لتهنئتنا بما أكرمنا الله به فذلك . والا فارجمن .. (١)
 اقتضت حكمة الله تعالى ورحمته بعباده أن يحجب عنهم ما لا حاجة بهم إلى
 معرفته سلفا ، وما يضرهم علمه ولا ينفعهم ، كمعرفة أعمارهم وأرزاقهم وما يصيبهم من
 خير وشر .

(ولو أمكن انسانا من الناس أن يعرف الحوادث التي في الارض والسماء جميعا
 وطبائعها ، لفهم كيفية ما يحدث في المستقبل) (٢) ولو حدث ذلك - وهذا
 مستحيل شرعا وعقلا - لكانت عيائته كلها خوفا وقلقا واضطرابا .

فالايمان بالقدر : يدعو المسلم إلى العمل الجاد في كسب الرزق - له ولمن
 يعمل - " وسخر لكم ما في السماوات وما في الارض " (الجاثية : ١٣) .
 " فاشوا في منابها وكلوا من رزقه وأليه النشور " (الطك : ١٥) . وهذا الايمان
 يدفع أيضا : إلى الشجاعة في مقارعة الأعداء ، بالحجة والبيان وبالسيف والسنان -
 كل مقام بما يناسبه - وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويقول كلمة الحق فسي
 الرضا والغضب : لان الحياة والموت بيد الله وحده ، والشجاعة لا تنقص من عمر
 الانسان لحظة واحدة ، والجهنم لا يزيد في العمر ثانية كذلك .

فالموت أت للخلاص لكها قلم المخافة من جراح سنان ؟

والايمان بالقدر : يعمق الايمان في قلب المسلم ويجعله يوقن بأن الله وحده هو
 النافع الضار المانع المعطي المميز المذل ، وهذا يدعو بالتالي للتوكل عليه والاعتماد
 عليه والخوف منه ، وعبادته حق العبادة ، وتقديم طاعته وأوامره على كل شيء - ولو سخط
 عليه الناس جميعا - .

(١) ابن المبارك : الجهاد ص ١٢٧

(٢) ابن سينا : النجاة ص ٣٠٢

والايمان بالقدر : يجعل نفس المؤمن راضية مرضية ، مطمئنة لما كان وما هو كائن وما سيكون . وما دام كل شيء يسير بإرادة الله وشيئته النافذة فلم الوقوع في الشرك الأصغر أو الأكبر ؟ .

ويدعوه كذلك : لعدم اليأس والجزع والقنوط ، وعدم البطر والتكبر وغطى حقوق الآخرين . فقضاء الله للمؤمن - في السراء والضراء - كله خير ، كما جاء في الحديث : " عجلت من قضاء الله للمؤمن . أن أمر المؤمن كله خير وليس ذلك إلا للمؤمن : إن أصابته سراء فشكر كان خيرا له ، وإن أصابته ضراء فصر كان خيرا له " . (١)

والايمان بالقدر : يحرر النفس من خوف غير الله عز وجل فكيف لا تتحرر نفسه من الخوف وهو يقرأ قول الله تعالى : " وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو " (يونس : ٦٠) وكيف يخاف على انقضاء حياته وهو يقرأ قول الله تعالى : " وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله كتابا مؤجلا " (آل عمران : ١٤٥) .

وكيف يخاف على انقضاء رزقه وهو يقرأ قول الله سبحانه : " وفي السماء رزقكم وما تعدون . فرب السماء والأرض أنه لحق مثلما أنكم تنطقون " (الذاريات : ٢٢ و ٢٣) وفي غمرة الحياة الدنيا قد يذوق الإنسان الفقر ، فيلذع الجوع أعصابه . . وقد يشعر بمرارة الألم والمصائب . . وقد تمر عليه الشدائد والأهوال فيتمنى الموت قائلا - بلسان حاله :

إلا موت يباع فأشتريه فهذا العيش مالا خير فيه

وقد يصاب بفقد عزيز لديه - أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه - ، وقد يخسر في تجارته التي يعمل من ورائها نفسه وأهله ، وقد يرى عدوه مزوها منتفشا يتحكم فيسه ، وقد يكون غنيا افتقر أو عالما ضاع بين جهال أو عزيزا ذل . . عند ذلك ستضيق عليه الأرض بما رحبت ولن يجد ملجأ من الله إلا إليه . وفي هذه الحالات وما يماثلها يسكب

الايمان بقضاء الله وقدره ، والاستسلام التام لمشيئة الله عز وجل . الطمأنينة والسكينة والهدوء في نفس المؤمن ، فلا ينظر للحياة بمنظار قاتم ، لانه يعلم أن ما أصابه لمسم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وان مع العسر يسرا (ولن يغلب عسر يسرين) . يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الحديث الصحيح :

قال الله تعالى : اذا ابتليت عبدي المؤمن ولم يشكني الى عواده ، أطلقته من اسارى
ثم أبدلته لحما خيرا من لحمه ودمه خيرا من دمه ، ثم يستأنف العمل (١)
(وان القلب اذا ذاق طعم عبادة الله تعالى ، لم يكن عنده شيء قط أحلى من
ذلك ولا أنفذ ولا أمتع ولا أغلب) . (٢)

والايامن بالقدّر - خيره وشره - يدعو للجراة في قول الحق وفي مقارعة الالهوال والخطوب، والصمود في وجه الباطل والظغيان .

لان الخلق كلهم لن يد فموا عنه الموت و يحولوه عنه اذا حان الاجل : " فـاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون " (الاعراف : ٣٤) ولا بأس بالموت اذا حان الاجل . وهذا الايمان يزيد من اعتقاد المسلم بألا أحد من دون الله تبارك وتعالى يملك له نفعا ولا ضرا ولا ملكا ولا جأها ولا حياة ولا نشورا . . وهذا يدعو للتوكل على من بيده مقاليد السماوات والارض - وهو يجير ولا يجار عليه - والالتجاء اليه تعالى وحده ، وقصر المهادة عليه . ويدعو كذلك للانفة والمزة وألا يعطى رأسه لغير مالك الطك وملك الطوك ، فلا يتطلع لغير السماء ، ولا يشكو ما به الا لمن يملك الاجابة - جل جلاله - :

لا تسألن بني آدم حاجســــــــــــة وسل الذي أبواه لا تحجب
فاله يفضب ان تركت سؤــــــــــــــــاله وبني آدم حين يسال يفضب .

(١) الالبانى : الاحاديث الصحيحة ١٤٣/٣

(٢) ابن تيمية : العبودية ص ٩٩

فالإيمان بالقدر يدعو المؤمن للصبر إن ضاق عليه رزقه - فقد يكون ذلك ابتلاء له -
والسمى للطلب بالحلال وعدم تعدية إلى الحرام ، وألا يركع - في سبيل الحصول على
الرزق - أمام أصحاب الجاه والأموال :

" ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها أن
ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم " (الحديد : ٢٢
و ٢٣) . وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

" كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة . وكان
عرشه على الماء " (١) .

والإيمان بالقدر يدعو المؤمن لحب الله تعالى وتعظيمه والتسبيح بحمده واجلاله ،
لأنه عز وجل هداه إلى صراط مستقيم ، ويصره لعبادة العليم الحكيم ، فكل مسرلما
خلق له :

عن علي - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم
جالسا وفي يده عود ينكت به - فرفع رأسه فقال : (ما منكم من نفس إلا وقد طعم
منزلها من الجنة أو النار) . قالوا : يا رسول الله . فلم نعمل ؟ أفلا نتكسل ؟
قال (لا . اعملوا فكل مسرلما خلق له) . ثم قرأ : " فأما من أعلى واتقى .
وصدق بالحسنى " . إلى قوله : " فسنيسره للمسررى " (الليل : ٥ - ١٠) (٢)

والإيمان بالقدر أيضا يدعو المؤمن للخوف من الله والدوام على طاعته . . وعدم
مخالفة أمره - ومراقبته تعالى ، ودعائه بحسن الخاتمة ، لأن القلوب بيد الله يقلبها
كيف يشاء ، ولا يدخل انسان الجنة بعمله ، وهذا يدعو المؤمن لعدم الاغترار
بعمله ، ويحثه على أن يكون دائما بين الخوف والرجاء :

(١) مسلم ٤ / ٤٤ - ٢٠ ، وكان عرشه على الماء : أى قبل خلق السماوات والأرض .

(٢) مسلم ٤ / ٤٠ - ٢٠

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

" ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها . وأن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها " (١)
وقال أيضا :

(ان قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصفه حيث يشاء) ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك) . (٢)

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

(لن ينجي أحدكم منكم عمله) قال رجل : ولا اياك يا رسول الله ؟ قال : (ولا اياي .
الا أن يتفقدني الله منه برحمته . ولكن سددوا) (٣)

(١) مسلم ٢٠٣٦/٤

(٢) مسلم ٢٠٤٥/٤ وهذا من أحاديث الصفات ويجب الايمان بها من غير تعرض لتأويل ولا لمعرفة المعنى ، بل تؤمن أنها حق وأن ظاهرها غير مراد ،
(وكل ما خطر ببالك فإله خلاف ذلك) .

(٣) مسلم ٢١٦٩/٤

ومذهب أهل السنة والجماعة : أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا ايجاب ولا تحريم ولا غيرها . . الا بالشرع . والله تعالى لا يوجب عليه شيء ، بل العالم كله والدنيا والاخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء ، فلو عذب المطيعين أجمعين وأدخلهم النار كان عدلا منه . وإذا أكرمهم وأدخلهم الجنة فهو فضل منه ، ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك . ولكنه تعالى أخبر - وخبره صدق - أنه لا يفعل هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ، ويعذب الكافرين ويخلد هم في النار عدلا منه . وظاهر هذه الاحاديث دلالة لاهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته .
وأما قوله تعالى : " ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون " (النحل : ٢٣٢) =

ومن أثر الايمان بالقضاء والقدر في تربية النفس الانسانية يحدثنا الاستاذ محمد قطب - حفظه الله - قائلا :

(والايمان بالقدر يؤدي في حياة المؤمن عدة مهام :

فهو من ناحية : يتصل بالايمان بالله تعالى وأنه هو المدير لكل أمر الخصر فيسه
بلا شريك - أى أنه متصل بالجانب الاعتقادي من الايمان - .

ومن ناحية أخرى : يتصل بسلوك المؤمن في واقع الارض اذ الاحداث . . وهذا أمر
ذو أهمية بالغة ، ويستحق منا وقفة لبيان حقيقة : بعد أن شوهدا واقع المسلمين
المنحرف من جهة ، وكلام أعداء الاسلام من جهة ثانية ، وكلام الجاهل من المسلمين
- سواء كانوا من الجاهل حقيقة أم من الذين ينقلون كلام أعداء الاسلام ثم يصفون
أنفسهم بأنهم مثقفون - من جهة ثالثة . ان السلوك الايماني الصحيح هو التسليم
لقدر الله . فما معنى التسليم ؟ هل هو - كما يقول أولئك الجاهل - القعود عن
العمل وعن تغيير الواقع السيئ لانه (قدر من عند الله) لا تنبغي مقاومته ؟ .

ومن أين جاء أولئك الجاهل بهذا المعنى الغريب على الاسلام ؟ وهل هذا المعنى
كان غائبا عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو يتلقى الوحي من الله ويتعلم الاسلام
الصحيح من عند الله ؟ وفيما اذن كان جهاده المتواصل لتغيير الواقع السيئ
الذي كانت عليه الجزيرة العربية والارض كلها آنذاك ؟ . ألم يكن ذلك الواقع

وفيرها من الايات فلا يمارض هذه الاحاديث ، بل معنى الايات : أن
دخول الجنة بسبب الاعمال ثم التوفيق للاعمال ، والهداية والاخلاص فيها
وقبولها برحمة الله وفضله . فيصح أنه لم يدخل - مجرد العمل - وهو مراد
الاحاديث - ويصح أنه دخل بالاعمال أى بسببها وهي من الرحمة .
ومعنى يتخمدني : أى يلبسنيها ويغمدني بها .
ومعنى سدوا : أى اطلبوا الصواب واعملوا به فلا تغفلوا ولا تقصروا .

الشيء قدرا من عند الله ؟ فكيف تجوز مقاومته اذن اذا كان معنى التسليم لقدرة الله هو هذا المعنى المنتكرا الذي لم تعرفه الامة الاسلامية الا في عصر انحدارها وتدهورها ؟ سيقول قائل منهم : انه (صلى الله عليه وسلم) قاومته وسمى الى تغييره بأمر من الله . ونقول : نعم . وهذا الامر من الله قائم من ذلك الحين واستمر الى أن تقوم الساعة . . لم يطرأ عليه تعديل ولا تبدل . ولم يقل الله ان هناك أميرا مميئا يطالب الناس فيه بالتغيير ثم يبطل بعد ذلك الامر ويحيى بدلا منه التسليم للواقع السئ والقعود عن تغييره .

وانما قال سبحانه وتعالى :

"وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" (التوبة : ١٠٥) .

انما التسليم لقدرة الله معنى آخر مختلف تماما . . ففهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) وفهمه منه الصحابة (رضوان الله عليهم) فكانت منهم تلك الامة الفريدة التي وصفها مخالفا بقوله " كنتم خيرا امة اخرجت للناس " (آل عمران : ١١٠) ، والتي صنعت بايمانها بالله وقدر الله ذلك التاريخ الفذ في تاريخ البشرية كله . فهم منه الرسول (صلى الله عليه وسلم) انه يجاهد ويجاهد ويجاهد . . ثم حين لا يؤمن كفار قريش بعد هذا الجهاد كله ، فذلك قدر من الله لاحيلة له فيسسه ولا مسئولية عليه . " انك لا تهدي من احببت " (القصص : ٥٦) . ولقد كان صحبا على نفس الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يدعوهم فيمرضوا وهو الذي يحب لهم الخير . وكان الاسى يملا قلبه الكريم عليهم ، حتى ليواسيه الله تعالى " لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين " (الشعراء : ٣) .

ولكنه في النهاية يعلم أنه قدر من الله فيستسلم لهذا القدر . . ؟ بمعنى ماذا ؟ بمعنى أن يكف عن الجهاد والدعوة ؟ .

ان هذا لم يحدث قط . . والتاريخ معروف ، وسيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)

معروفة . . انما بمعنى أن يخف الالم الذي يسببه له اعراض المعرضين

فلا يمود ذلك الالم القاتل " لعلك يلاخع نفسك " ثم يمضى فى طريقه لا يكف لحظة عن الجهاد . .

كذلك فهم منه - صلى الله عليه وسلم - أنه يجاهد ويجاهد ويجاهد . . ثم يتلقى من الأذى من قريب وغيرهم من كفار العرب ، ويتلقى أتباعه المؤمنون به التشريد والتغذيب - الذى يفوق الطاقة - دون أن يستطيع تغيير الوضع ولا كف الأذى عن المؤمنين فيعلم أن هذا قدر من الله فيستسلم له . . بمعنى ماذا ؟ بمعنى أن يكف عمن الجهاد والدعوة ، أو يكف أتباعه عن الإيمان ؟ . كلا . إنما بمعنى أن ترضى نفوسهم وهو يتلقون الأذى والتغذيب ، ويعلمون أن الله تعالى قادر على نصرهم إذا شاء ، ولكن قدره شاء الآن أن يتلبهم . . فليصبروا . . ولا تتحطم أرواحهم تحت الضغط . . ولا يتخلوا عن عقيدتهم ولا عن التصميم عليها حتى يغير الله ما بهم بقدر جديد ، فينصرهم على الكافرين . . . وكيف نفذ القدر الجديد ؟ أنه قدر من عند الله ، نعم هو الذى نصرهم - ببدر - وهم أذلة . . ولكن كيف كان تصرفهم مع هذا القدر ؟ هل قعدوا فى بيوتهم وقالوا : إذا كان الله قدر لنا النصر فسينصرنا ولا حاجة بنا إلى العمل والجهاد والمشقة ؟ . هل ذكر التاريخ شيئاً من ذلك فى حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ؟ أم ذكر التاريخ لهم الجهاد المتواصل لنصر الحق ، وهم الذين وعدوا وعداً صريحاً بالنصر ، فعملوا أن قدر الله لهم هو النصر ؟ وهكذا يكون الاستسلام لقدر الله - فى معناه الصحيح - حافزاً لمزيد من الجهد ، لأنه يضمن الطاقة أن تتحطم أزاء الأحداث ، ويصون النفس أن تنكسر من الحزن والغم فتقعد عن السير .

ولم يفهم المسلمون كذلك أن الاستسلام لقدر الله معناه إعفاء أنفسهم من التبعممة إذا كان قدر الله قد أصابهم بسبب خطأ وقع منهم . إنما يستسلمون لقدر الله - أى يرضون نفسياً بوقوعه ما دام قد وقع بالفعل - ثم يدركون مسئوليتهم فى وقوعه فلا يمودون لهذا الخطأ مرة أخرى ، ثم يحاولون أن يححو آثاره بجهد يبذلونه

من عند أنفسهم ، ليستحقوا قدرا جديدا من عند الله تعالى بغير الشر الى خير ..
 هذا هو المعنى الصحيح للايمان بالقدر ، وذلك هو أثره في نفوس المؤمنين به :
 دفعة هائلة للحركة والجهاد في واقع الارض ، هي التي كتبت ذلك التاريخ الزاهر
 لامة الاسلام . . فأما حين بدأت الامة تنحرف عن التصور الصحيح للاسلام ، وتنحرف
 كذلك عن السلوك الصحيح ، فقد وقع ذلك الانحراف في عقيدة القضاء والقدر ،
 الذي يحسبه الجاهل هو الاسلام . (١)

(١) محمد قطب : دراسات قرآنية من ص ٩٣ - ٩٨ باختصار .

الباب الثاني

ارتكاز النوجهات السياسية والحربية
والاقتصادية والأخلاقية التي تنظم
حياة المجتمع على العقيدة الإسلامية

تمهيد :

شئت ارادة المولى جل وعلا أن يكون الانسان من بين مخلوقاته — خليفة فى هذه الأرض : " انى جاعل فى الارض خليفة " (البقرة : ٣٠) .
والغاية من ايجاده هي العبادة : " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " (الذاريات : ٥٦) .

واقترضت ارادة الله — سبحانه وتعالى — كذلك أن تكون الشريعة الاسلامية خاتمة الشرائع السماوية ببعثة النبى الخاتم محمد بن عبد الله — صلوات الله وسلامه عليه — :

عن محمد بن جهور بن مظعم عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذى يمحو بي الكفر وأنا الحاشى الذى يحشر الناس على عقبي وأنا العاقب . والعاقب الذى ليعبر به نبي . (١)
وفى رواية أخرى :

" وأنا العاقب الذى ليعبر به أحد " . وقد سماه الله روموا رحيم . (٢) وهذه الرسالة التى جاء بها خاتم الأنبياء والمرسلين (صلى الله عليه وسلم) هى الوسيلة الوحيدة — منذ بعثته حتى يرث الله الأرض ومن عليها — للهداية والسعادة والفلاح فى الحياة ومعدى المات .

ولأن هذه الشريعة جاءت للعالمين الى يوم الدين ، فانها صالحة لكل زمان ومكان ، ووافية بجميع متطلبات الحياة الدينية والدنيوية .

(٢٥١) مسلم ١٨٢٨/٤

والعاقب : أى جاء عقبهم ، والعاقب والعقب : الذى يخلف فى الخير من كان قبله ، ومنه عقب الرجل : لولده .
وقد سماه الله روموا رحيم : قال تعالى " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عظم حرص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم " (التوبة : ١٢٨)

وجاءت هذه الشريعة — التي رضى عنها الله تعالى للبشرية ولا يرضى غيرها بعد البهشة
المحمدية — بالأسس والقواعد والمبادئ والتوجيهات والأصول التي تلبي حاجات
الإنسان — الروحية والمادية معا — وتتناسب أيضا مع الفطرة الإنسانية السوية .

وصا جاء به محمد — صلى الله عليه وسلم — من عند ربه هو عقيدة وشريعة •
شريعة منبثقة من عقيدة • وعقيدة مترجمة الى شريعة •

أو بمعنى آخر : منهج حياة • نزل من عند العلم الخبير لوجه البشر في جميع
شؤونهم ولحكم الحياة في شتى نواحيها •

وتتوقف سعادة البشرية أو شقاؤها وفوزها أو خسرتها — في الدنيا والآخرة —
على موقفها من تعاليم هذا الدين وأخذها به كلية أو اعراضها عنه :

” فمن اتبع هدي فلا يضل ولا يشقى • ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا •
ونحشره يوم القيامة أعمى “ (طه : ١٢٣ ، ١٢٤)

وأحكام هذا الدين العظيم وشرائعه مستوفاة ومقررة وغير قابلة للتفسير أو التبديل
أو التحريف أو الزيادة أو النقص أو النسخ أو التعديل •

وهذا لا يعني بالطبع جمود الحياة — والأحياء — على نمط معين أو قالب محدد •
فالحياة متطورة والظروف متغيرة • ولكن أصول الشريعة ثابتة خالدة الى يوم الدين •

وقد فتح الاسلام الباب للاجتهاد والاستنباط فيما لم يرد فيه نص — من كتاب أو

سنة — • وهذا الاجتهاد من حق العلماء فقط • ولم يحدد الاسلام تفاصيل

النظام السياسي أو النظام الاقتصادي أو النظام الحربي أو النظام الثقافي — التعليمي

— أو النظام التربوي • • فتذروا الرياح أو تجرفه الأعاصير بتغير الزمن وتبدل الأوضاع

وتقلب الظروف • ولكنه وضع أصولا عامة وقواعد ثابتة منطلقا من أهدافه الفضلى

وغاياته العاصية ومن نظرت العامة للحياة والكون والإنسان •

وترك الاسلام الجزئيات والتفاصيل وما تنتجه هذه الأصول من تطبيقات تركها

للملما يجتهدون فيها — من خلال فهمهم لروح الشريعة وضمونها — حسب
اختلاف الزمان والمكان والمجال •

والكتاب الكريم — والسنة مفسرة له — هو الذي يرجع إليه حين التنازع والخلاف •
ولا يحق لأحد — حاكم أو غي : أو فقيه أو كبير أو شريف أو . . . أن يشرع للناس
من عند نفسه ، فهذا كفر مخرج من الملة ! فما ورد في الكتاب والسنة يجب الأخذ
به كما ورد •

ومالم يرد في الكتاب والسنة فهو متروك لاستنباط واجتهاد علماء المسلمين •
وقد جاء في الشريعة الإسلامية أشياء كثيرة يمكن للمالم أن يستخرج مقاصد ها
وأهدافها وعللها — مراعاة ظروف الزمان والمكان والأحوال — بشرط أن يكون ذلك
نابعا من روح الشريعة وغاياتها •

وهذا الاجتهاد فيما سكنت عنه الشريعة متروك لأهل الشورى وللحاكم المسلم أن
يطبقه على رعيته بعد أخذ رأى أهل الحل والعقد •

أما ما ورد فيه نص — في الكتاب الكريم أو السنة المظهرة — فلا يحق لأهل الشورى
— ولا لأى كان — التدخل فيه بالتغيير أو التبديل أو الزيادة أو النقص •

والهدف من إباحة الاجتهاد فيما ليس فيه نص : هو التوسعة على المسلمين •
ومراعاة ظروفهم وأحوالهم في كل زمان ومكان ، لأن هذه الشريعة لم تنزل لأناس
معينين أو لمكان محدد أو لقوم أو لجنس أو للون . . . بل نزلت للثقلين في شتى المصير •
فترك الاسلام المجال واسعا لصياغة ما يحتاجه الناس في كل عصر ومصر ضمن دائرة
الشريعة ووفق أهدافها الربانية السامية •

فما يتفرع عن ركائز الاسلام من جزئيات — تركت للاجتهاد — هي من الاسلام •
يقول الاستاذ سيد قطب — رحمه الله — :

• من الخاصية الأساسية للتصور الاسلامي — خاصية الروائية — تتبثق سائر الخصائص الأخرى • وما أنه رباني صادر من الله • فوظيفة الكينسونة الانسانية فيه هي التلقى والاستجابة والتكيف والتطبيق في واقع الحياة • وما أنه ليس نتاج فكر بشري • ولا بيئة مميّنة • ولا فترة من الزمن خاصة • ولا عوامل أرضية على وجه المموم • • انما هو ذلك الهدى الموهوب للانسان هبة لدية خالصة من خالق الانسان • رحمة بالانسان • • بما أنه كذلك • فمن هذه الخاصية فيه تنشأ خاصية :

• الحركة داخل اطار ثابت حول • محور ثابت •

• هناك ثبات في مقومات هذا التصور الأساسية وقيمها الذاتية • فهي لا تتغير ولا تتطور • حينما تتغير ظواهر الحياة الواقعية • وأشكال الاوضاع العملية • • فهذا التفسير في ظواهر الحياة يظل محكوماً بالمقومات والقيم الثابتة لهذا التصور • • ولا يقتضي هذا تجميد حركة الفكر والحياة • ولكنه يقتضي السماح لها بالحركة — بل دفعها الى الحركة — ولكن داخل هذا الاطار الثابت • وحول هذا المحور الثابت • •

• وهذه السمة هي طابع الصنعة الالهية في الكون كله — فيما يبدو لنا — لا في التصور الاسلامي وحده •

• مادة هذا الكون ثابتة الماهية • ولكنها تتحرك • فتتخذ أشكالاً دائمة التفسير والتحول والتطور •

• وانسانية هذا الانسان • المستمدة من كونه مخلوقاً فيه نفخة — من روح الله — اكتسب بها انسانيته المتميزة عن سائر طبائع المخلوقات حوله • • انسانية ثابتة • ولكن هذا الانسان يمر بأطوار جنينية شتى من النطفة الى الشيخوخة • يمر بأطوار اجتماعية شتى • يرتقى فيها وينحط حسب اقترابه وابتماده من مصدر انسانيته • • ولكن هذه الأطوار تلك لا تخرجه من حقيقة انسانيته الثابتة ونوازمها وطاقاتها

واستعداداتها المنبثقة من حقيقة إنسانيته .

• ونزوع هذا الإنسان الى الحركة لتغيير الواقع الأرضي وتطويرة . . حقيقة ثابتة كذلك . . منبثقة أولا من الطبيعة الكونية العامة ، المثلثة في حركة المادة الكونية الأولى وحركة سائر الأجرام في الكون . ومنبثقة ثانيا من فطرة هذا الإنسان . وهى مقتضى وظيفته في خلاقة الأرض . فهذه الخلاقة تقتضى الحركة لتطويع الواقع الأرضي وترقيته . . أما أشكال هذه الحركة فتتنوع وتتغير وتتطوع . (١)

• وهكذا تهدد سمة : الحركة داخل إطار ثابت حول محور ثابت سمة حقيقة فسي

الصنعة الالهية كلها . ومن ثم فهى بارزة عيقة في طبيعة التصور الاسلامي .

• ان كل ما يتعلق بالحقيقة الالهية — وهى قاعدة التصور الاسلامي — ثابت

الحقيقة ، وثابت المفهوم ايضا . وغير قابل للتغيير ولا للتطويع . لتحرك ظواهر

السياسة واشكال الأوضاع فى اطارها ، وتظل محدودة اليها . ولتراعى مقتضياتها

فى كل تطور لأوضاع الحياة ، وفى كل ارتباط يقوم فى المجتمع ، وفى كل تنظيم لأحوال

الناس أفرادا وجماعات ، فى جميع الاحوال والأطوار .

• وقد تتسع الساحة التى تتجلى فيها مدلولات هذه المقومات والقيم ، كلما

اتسعت جوانب الحياة الواقعية ، وكلما اتسع مجال العلم الإنسانى ، وكلما تعددت

المفاهيم التى تتجلى فيها هذه المقومات والقيم . ولكن أصلها يظل ثابتا . وتحرك

فى أطاره تلك المدلولات والمفاهيم .

• وهذا يقتضى ألا يحال بين الإنسان ومزاولة حقه فى الخلاقة وفق منهج الله

المرسوم . ولا يعملوا شئ فى هذه الأرض على الإنسان . ولا تهدر قيمته الإنسانية

لبنشء قمارا صناعيا ، أو لىضاعف الانتاج المادى ! فهو سيد الأقمار الصناعية ،

وسيد الانتاج المادى . (٢)

(١) انظر : محمد قطب كتاب معركة التقاليد ص ٨٤ ، ٨٥

(٢) سيد قطب : خصائص التصور الاسلامي من ص ١٢٠ — ١٢٢ باختصار .

وننقل فيما يأتي الكلام القيم للاستاذ المبارك — رحمه الله — الذي بين فيه هذه الحقائق المتعلقة ببحثنا هذا :

" التشريع مصدره القرآن والسنة فيما حدد فيهما ، وليس الحاكم اولا الشئ مطلق الحرية في التشريع كما يشاء ، بل كلاهما مقيد بحسب اعتقادهما الاسلامي بما شرع الله تعالى ورسوله — صلى الله عليه وسلم — من شريعة .

" والمحدد في الكتاب والسنة بعضه كليات ومبادئ عامة تفسح المجال لتشريع اجتهد في زنى تنفيذها . وهذا شأن أكثر مبادئ الحكم وأكثر العقوبات على الجرائم والمخالفات وكثير من القواعد الاقتصادية . وبعضه الآخر أحكام تفصيلية محددة لاجال لتفصيلها وان كان ثمة مجال للنظر في كيفية تطبيقها أحيانا أو تقييدها بقيود قد توجهها المصلحة .

" والتشريع الاجتهادي مستمر غير منقطع ، ويشمل الأمور التي تركها الشرع ولم ينص عليها والأمور التي وضع فيها قواعد عامة وترك تفصيلها لجميع التنظيمات التي تدخل في صلاحية الحاكم ولي الأمر في تقييد بعض البهاحات أو منعها أو إيجابها حينما توجب المصلحة ذلك .

" ان هذه الأمور تدخل في الاصطلاح الحديث تحت عنوان التشريع . والعلماء السابقون لم يكونوا يعتبرونها تشريعا باعتبار أنها تستند في الأصل الى تشريع منصوص في الكتاب والسنة . ولذلك ينبغي الانتباه الى اختلاف الاصطلاح .

" ان هذا النوع من التشريع يقوم به (الامم) نفسه رئيس الدولة اذا كان عالما مجتهدا بمد استشارة العلماء وأهل الخبرة في الموضوعات المبحوث .

" ويمكن في عصرنا الحاضر أن يمهّد بذلك الى هيئة تشريعية تتألف من العلماء بالشريعة والخبراء بالموضوعات التي يشرع لها من مختلف أهل المهن . (١)

(١) المبارك : نظام الاسلام (الحكم والدولة) ص ٢٩ و ٨٠ .

ويقول الاستاذ عبد العظيم شرف الدين :

" أتى التشريع الاسلامي بقواعد كلية صالحة للتطبيق في كل حين ، ولم يأت القرآن بأحكام جزئية لحوادث فردية . وهذه المبادئ لا تتناقض بينها لأنها من عند الله المنزه عن النقص ، وقد قال تعالى : " أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا " . (النساء : ٨٢)

" والفقه الاسلامي هو ما فهمه المجتهدون من الأحكام الشرعية العملية ، سواء شرعت هذه الأحكام عن طريق النصوص الشرعية أو الاجماع أو استنباط المجتهد من النصوص الشرعية .

والجانب الكبير من الفقه الاسلامي جاء ولهدا الاجتهاد المجتهدين هذا الاجتهاد الذي لم يغفل الظروف والبيئات والمناسبات . فكانت الفتوى تختلف ويتغير الاستنباط حسب اختلاف البيئات ، فالفقهاء يختلفون في فهم النص الشرعي وان كان مراد الله من النص واحدا .

والخلاف في الفقه الاسلامي هو خلاف في فهم النص الشرعي وفي تطبيق نصوصه ومبادئه على ما جد من الحوادث . وان الخلاف في الاجتهاد امر طبيعي وله فائدة عظيمة ، وقد أذن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه بالاجتهاد وأذن للمسلمين في اتباعهم .

واختلاف الاجتهاد في الفقه الاسلامي فيه سمة ، ولو كان القول واحدا لوقع الناس في حرج وضيق .

وقد كان المجتهدون يختلفون لاختلافهم فيما بلغهم من أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

والشرعية لاتمالج أحكام الحوادث الجزئية وانما تأتي في صورة مبادئ عامة لأن الحوادث الجزئية لاتحصر وكل يوم تأتي بجديد منها ، فلو جاءت بذلك لوقع

الناس في حرج اذا ما جددت لهم حوادث جديدة . (١)

وستحدث فهم يأتى — باذن الله تعالى — : عن مفهوم الخلافة في الاسلام
 • وسنمعرض من خلال ذلك تعريفات العلماء للخلافة • ثم نبين أسس الحكم الاسلامى :
 مبتدئين الحديث عن الحاكمية — وسنخرج للحديث عن الحكم بغير ما أنزل الله —
 وستحدث عن انتخاب الامة للخليفة •

ثم نتحدث عن الطاعة • وعن الشورى • وعن العدل والمساواة • وما يتعلق
 بهذه الأسس المهمة •

وسنورد نماذج من سيرة الفاروق عمر — رضى الله عنه — كمودج للحاكم المسلم •
 وأمثلة حية من واقع حياة المسلمين السياسية •

(١) عبد العظيم شرف الدين : تاريخ التشريع الاسلامى ص ٢٢١ • ٢٢٢
 بتصريف يسير •

وانظر محمد يوسف موسى : تاريخ الفقه الاسلامى ١٠ / ١ — ١٥

ومناع القطان : التشريع والفقه في الاسلام ص ١٥

وعبد الوهاب ابو سليمان : دراسات في الفقه الاسلامى ص ٥ و ٤٥ •

الفصل الأول

النوحيات السياسية

لما كان الانسان - كما فطره الخالق العظيم - مدنيا بطبيعته (١) يألف ويؤلف ، ولا يستطيع أن يعيش منفردا عن غيره من بني جنسه ، وذلك لطبيعية تركيبه ، كان ضروريا بناء علاقات بينه وبين الناس للقيام بشئون الحياة الدنيا ، والدنيوية ، وحتى تسير دفة الحياة بانتظام .

وهذه العلاقات لا يمكن أن تسير في المسار الصحيح الا بوجود هيئة حاكمة تقوم بالدين والدنياهما . (٢)

واذا لم تكن هذه الهيئة قائمة في حياة المسلمين :

فمن يقوم بنشر وحماية العقيدة الاسلامية بين الناس؟ ومن يقوم باقامة الحسد ود والاختلاف على يد الظالم والانتصار للمظلوم ؟ ومعرفة أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ! ومن يقوم بازالة المنكرات والحث على الخيرات والامر بالطاعات واقامة الجمعة والجماعات . . اذا لم تقم هذه الدولة في الوجود والشهود ؟

ومن يقوم بالجهاد في سبيل الله - بجميع أنواعه - ؟

لقد أوجب الاسلام أن يكون هناك رب للأسرة ، يكون الرجل فيها هو المسؤول الكبير في هذه المملكة الصغيرة . . فما بالك بالأسرة الاسلامية التي تشمل كثيرا من الأجناس والأوطان ؟

(١) يقول العلامة ابن خلدون : (ان الاجتماع الانساني ضروري . ويصير الحكماء عن هذا بقولهم : الانسان مدني بالطبع ، أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم ، وهو معنى الممران . .) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٣٩ .

(٢) ملاحظة : ذهب الجمهور الى وجوب الامامة ، انظر :

الشوكاني : نيل الاوطار ٢٨٨/٨

والشنقيطي : أضواء البيان ٥٠/١

تعريف الخلافة :

الخلافة الاسلامية أو السياسة الشرعية أو نظام الحكم الاسلامي
أو الامامة أو الولاية أو نظام الاسلام السياسي . . كل هذه الالفاظ تسمى
واحدًا في المفهوم الاسلامي .

وهذه تعريفات مختلفة للخلافة :

يقول العلامة ابن خلدون :

(الخلافة : هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية
والدنيوية الراجعة اليها . اذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها
بمصالح الآخرة . فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة
الدنيا به) (١)

ويقول الشيخ الكتاني :

(الخلافة : هي الرئاسة المظنية والولاية العامة الجامعة القائمة بحراسة
الدين والدنيا) (٢)

ويقول الشيخ الخضري :

(الخلافة : هي مقام نيابة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في حراسة
الدين وسياسة الدنيا) (٣)

ويقول الأستاذ محمد العربي :

(نظام الحكم الاسلامي : هو تلك الأصول والمبادئ الكلية التي فرضها القرآن
والسنة في تنظيم شؤون الحكم . تلك الأصول والمبادئ التي طبقت في صدر الاسلام
تطبيقاً واقعياً مستقيماً على ضوء ظروف البيئة ومقتضيات العصر) (٤)

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ١٠٨

(٢) الكتاني : نظام الحكومة النجبية ٢/١

(٣) محمد الخضري : اتمام الوفاء ص ١٠٨

(٤) محمد العربي : نظام الحكم في الاسلام ص ٢٣

وايجاز : (الخلافة هي الحكم بما أنزل الله ، عقيدة وشريعة) •
وهذا التعريف المختصر : يشمل الدين والدنيا والآخرة • وكل ما فيه صلاح
الأمة وما يؤمن به لسعادتها في الدارين •
ويشمل القواعد والتوجيهات التي يجب أن تلتزم بها الهيئة الحاكمة وطريقة
ممارستها للحكم • ويربط الفرد والدولة والمجتمع بما لا سلام وفق شريعة الله •
ويشمل إقامة الشريعة والدفاع عنها وحملها الى البشرية •

ويحدثنا الامام ابن تيمية عن مفهوم الولاية في الاسلام قائلا :

« اعلم أن جميع الولايات في الاسلام مقصودها : أن يكون الدين كله لله ، وأن تكون كلمة الله هي العليا » .

والله تعالى انما خلق الخلق لذلك ، وهه أنزل الكتب ، وهه أرسل الرسل ، وعليه جاهد النبي - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنون :

« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (الذاريات : ٥٦) .

وقد أخبر عن جميع المرسلين أن كلا منهم قال لقومه :

« اعبدوا الله ما لكم من اله غيره » (هود : ٥٠ ، ٦١ ، ٨٤)

وعبادته عز وجل تكون بطاعته وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وذلك هو الخير والبر والتقوى والحسنات والقربات والباقيات الصالحات والعمل الصالح .

وهذا هو الذي يقاتل عليه الخلق ، كما قال تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » (البقرة : ١٩٣) .

وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم - لا في الدنيا ولا في الآخرة - الا بالاجتماع والتعاون والتناصر :

فالتعاون : على جلب مصالحهم . والتناصر : لدفع مضارهم ، فاذا اجتمعوا فلا بد لهم من أمور يفعلونها يجتنبون بها المصلحة ، وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة ، ويكونون مطيعين للأمر بتلك المقاصد والنهي عن تلك المفسد .

واذا كان جماع الدين وجميع الولايات هو أمر ونهي ، فالأمر الذي يبعث الله به رسوله (صلى الله عليه وسلم) هو الأمر بالمعروف ، والنهي الذي يبعث به همسوا النهي عن المنكر ، وهذا واجب على كل مسلم قادر » (١) .

(١) ابن تيمية : الحسبة في الاسلام من ص ١٤ - ٢١ باختصار

ويقول العلامة ابن القيم :

(فالسياسة المادة فرع من فروع الشريعة • من أحاط علما بمقاصدها وضمها
موضعها وحسن فهمه فيها لم يحتج معها الى سياسة غيرها البتة) (١)

ويلزم الامام من أمور الامة عشرة اشياء هي :

(حفظ الدين على الاصول التي أجمع عليها سلف الامة • فان زاحذو شبهة ضمه
بين له الحجة وأوضح له الصواب • وأخذ به بما يلزمه من الحقوق والحدود • ليكون الدين
محروسا من الخلل والامة ممنوعة من الزلل ثم تنفيذ الاحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام
بينهم •
ثم حماية البيضة والذب عن الحوزة • لتصرف الناس في المعاش وينتسروا في
الاسفار آمنين •

ثم اقامة الحدود • لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك وتحفظ حقوق عباده من
اتلاف واستهلاك •

ثم تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة • حتى لا تظفر الاعداء بنقرة
ينتهكون بها محرما ويسفكون فيها دما يسلم أو معاهد •

ثم جهاد من عاند الاسلام بحمد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة •

ثم جباية الفس • والعلاقات على ما أوجه الشرح نصا واجتهادا من غير عسف •

ثم تقدير المطاء وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقصير فيه • ودفعه
في وقته •

ثم استكفاء الامناء وتقليد النصحاء فيما يفرضه اليهم من الاعمال وكله اليهم من

الاموال • لتكون الاعمال مضبوطة والاموال محفوظة •

وأن يباشر بنفسه مشاورة الامر وتنصح الاحوال ليهتم بسياسة الامة وحراسة الملّة •

ولا يصول على التفويض تشاغلا بلفة أو عبادة • فقد يخون الامين ويغش الناصح) (٢)

(١) ابن القيم : الطوق الحكيم في السياسة الشرعية ص ٤ •

(٢) الفسراء : الاحكام السلطانية ص ٢٧ و ٢٨ • بتصرف يسير •

وانظر حقوق المحكومين على الدولة في كتاب المودودي : الخلافة والملك من
ص ٢٧ - ٣٠ •

((أسس الحكم الإسلامي))

الحاكمية :

من المعروف بدهة أن الله تبارك وتعالى هو الخالق السرازق
الممزل المذل المحيى المميت النافع الضار بيده مقاليد السماوات والارض وهو على كل
شيء قدير .

فبما أن الله تعالى وحده هو خالق كل شيء ومالكه ورازقه فيجب أن يكون وحده -
عز وجل - المشرع والمصرف والامر والنهى والممهد والمطاع :

" الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين " (الاعراف : ٥٤) .

والبشر مستخلفون فى الارض وفق ما اراد الله تعالى :

" وهو الذى جعلكم خلائف الارض " (الانعام : ١٦٥) .

" هو أنشاكم من الارض واستعمركم فيها " (هود : ٦١) .

وقد اعترف الناس - على كراههم - بأن الله تعالى وحده هو الخالق السرازق :

" قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمح والابصار ومن يخرج الحى من

الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون " (يونس : ٣١) .

" ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنسى

يؤفكون " (المنكوت : ٦١)

ولكن كثيرا من الناس لم يعترف بأن لله وحده الامر !

فبحث الله - سبحانه - أنبياءه ورسله - عليهم الصلاة والسلام - لتقرير هذه

الحقيقة :

" ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن

يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ،

واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك

صد ودأ . وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما . فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت وصلحوا تسليما * (النساء : ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨)

" ان الحكم الا لله أمر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون " (يوسف : ٤٠)

" وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يحض الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيننا " (الاحزاب : ٣٦)
ومن سلم بأن لله تعالى الخلق والامر فعليه أن يحلم بواجب العبودية على الخلق من الطاعة المطلقة لرب العالمين في كل الامر ، وقصر الحاكمية والتشريع عليه تعالى وحده ، والمهادنة له مع المحبة ، والخضوع له مع القذلل ، والخوف منه مع الرجاء ، والانابة اليه مع التوبة ، والاستسلام التام لارادته وشيئته ، فهو جل وعلا :

" لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " (الانبياء : ٢٣) .

فلا اعتراف بالالوهية يستلزم العبادة بقا لخالصة لله عز وجل :

" واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا " (النساء : ٣٦)

والاعتراف ببشرية البشر وأنهم عباد لاله واحد يعنى به سيطرة افراد ، تعالى بالعبادة — كما شرع — والتوكل والتذر والدعاء والاستغاثة والمحبة والخوف والرجاء .
(وان القلب — كما يقول شيخ الاسلام ابن تيمية — اذا ذاق طعم عبادة الله والاخلاص له لم يكن هذه شئ قط أحلى من ذلك ولا ألد ولا أمتع ولا أطيب) (١)

(١) ابن تيمية : العبودية ص ٩٩ .

والمعبودية — وهى طاعة الله تعالى باتباع أولامره واجتناب مناهيه والاستسلام لسه
 مع المحبة — وهى حق الله الحكيم المجيد على مخاليفه المبيد ، وهى أشرف منـازل
 السائرين الى مالك يوم الدين ، وهى شاملة لكل ما يتعلق بالانسان فى الحياة ومحمد
 الممات ، ولذلك كان من دعاء المسلمين :

” ربنا اتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ” (البقرة : ٢٠١)

والمعبودية الحققة لله — سبحانه — هى خير ما يتنافس فيه المتنافسون • وكلما ازداد

المرء منها ازداد تقربا من الله عز وجل •

وقد وصف المولى — تبارك وتعالى — بها خيرة الخلق محمد (صلى الله عليه وسلم)

فى أرفع المقامات فقال :

” سبحانه الذى أسرى بمحمد ، ليلامن المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى

باركنا حوله لنريه من آياته انه هو السميع العليم ” (الاسراء : ١) •

ووصف بها ملائكته الاطهار بقوله :

” بل عباد مكرمون ” (الانبياء : ٢٦) •

ووصف بها المؤمنين بقوله :

” وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا

سلا ” (الفرقان : ٦٣) •

وهؤلاء العباد — الذين حققوا واجب المعبودية — من دون المبيد ، ليس

للسهطان وأعوانه من سلطان عليهم :

” قال رب بما أغويتنى لانيئس لهم فى الارض ولاغوينهم أجمعين • الا عبادك

منهم المخلصين • قال هذا صراط على معتقهم • ان عبادى ليس لك عليهم سلطان

الا من اتهمك من الفاسين ” (الحجر : ٣٩ — ٤٢) •

ولله در القائل :

وما زادنى شرفا وتبها ~~يا~~ وكذت بأخصى أظا الثريا
دخولى تحت قولك يا ~~مهادى~~ وأن صيرت أحمد لى نبيها

وان من الحقائق المسلمة • أن للناس - من آمن منهم ومن كفر - مناهج يسبرون
عليها فى حياتهم ، أما المنهج الإلهى الذى رضىه الله عز وجل لعباده على ممر
المصور ، وهو الاسلام :

• " ان الدين هدى الله الاسلام " (آل عمران : ١٩) •

• " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً " (المائدة :

٣) •

وأما مناهج الجاهلية بمختلف أنواعها ، التى حمل لواحقها إبليس اللعين وذريته
من الشياطين وأولياهم من المالمين •

وكلا المنهجين منهج حياة !

وفى الحالىين تقع العبادة من الانسان ، ولكنها تختلف ، فاما عبادة الله تعالى
وحده ، ، واما عبادة للطاغوت ، وشتان بين عبودية الخالق وعبودية المخلوق !

فالاولى : عبادة الاله الرب الرازق المحيى الميت الممزال المذل النافع الضار •
والثانية : عبادة الذين لا يملكون لانفسهم ولا لغيرهم نفعا ولاضرا !

وليس المراد من هذه العبودية - لغير الله - تقديم الشماثر التمديدية للطفاة
أو الشياطين أو الشهوات • • بل هى طاعتهم أو منكرتهم أو الركون اليهم أو شرح
الصدور لما جاؤوا به •

وشتان بين نهضة العبود يتبنون !

أما مصير عبادة الملوحة فى الدنيا :

فهى السعادة والطمانينة والمزة والانفسة والاستعلاء والنصر - أو الشهادة - •

الشارد — من عز الطاعة الى ذل المعصية • ومن الميودية الكريمة لرب واحد الى عيودية الارباب الزائفة • ومن الحياة فى نور الايمان الى الحياة فى ظلم الشرك • ومن الحرية فى ظل الاسلام الى الكبت فى جور الاديان والاهواء والنحل • ومن سمادة الدنيا ونميم الاخرة الى نكد الحياة ونار الجحيم •

وما أروع أمثلة كتاب الله الكريم فى اقامة الحجة على الخلق :

" ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ • ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهدى — ينفق منه سرا وجهرا هل يستويون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون • وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت به خير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم " (النحل : ٧٥ و ٧٦)

ان على عهد المبيد كثيرا من التبعات والالتزامات قد تفوق — مع فارق المقارنة — ما تتطلبه عيودية الخلق للحق — عز وجل — •

وقد يخسر هؤلاء المناكيد متاع الدنيا — بالإضافة لخسران الاخرة — وذلك هو الخسران المبين !

ونتيجة لذلك : يحصل الفساد فى المجتمع وينتشر بين الناس :

" ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون " (الروم : ٤١) •

وينقسم الناس كذلك الى طبقة الملاء — السادة — وطبقة الضعفاء — المبيد — • ويقوم الذين استكبروا باستنفاد أكبر قدر من متاع الارض — فالدنيا فرصتهم الوحيدة للمتاع — •

ويقوم المستضعفون — الذين رضوا بهذا الواقع الميئ — ولم يحاولوا تغييره — بتقديم ما يطلبه سادتهم من ولاء وامتثال !

ان شريعة الله هي الهدى والنور ، وهي الخير والرشاد ، وهي الحق والصواب ، وهي الأمن والسلام ، وهي سفينة النجاة في الحياة ، وهي المومنية لرضوان الله وجنته بعد الممات ، مع الذين أنعم الله عليهم من المومنين وحسن أولئك رفيقا .
ان تحكيم شريعة الله كفيل بحل مشاكل البشرية في أسرع وقت وأقل الجهد والتكاليف ، لأن هذه الشريعة ربانية المصدر ، والخالق العظيم يعرف ما يصلح الانسانية وما يضرها :

* ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير * (تبارك : ١٤)

لن تجد خيرا الا وله في شريعة الله نصيب اما أمرا به أو حثا عليه أو ندبا له . ولن تجد شرا الا وتجد شريعة الله قد حذرت منه أو نهت عنه أو حرمته أو كرهته أو جعلت له في دائرة الشبهات ، التي يعتمد كل مسلم عليها بمقدار إيمانه وورعه وزهده وتقواه .

ان تحكيم شريعة الله صورة ومعنى هو مقتضى العبودية لله تعالى ، ولا تتحقق هذه العبودية الا بتحكيم الاسلام في كافة مناحى الحياة . قولاهم سرا وعلانية . والا :

فالكفر والظلم والفسق والتفاق والضللال والتهيه والتشرد والضماح والانحلال !!

والا فانه الزعم الكاذب والدجل والتضليل : * ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا . واذا قيل لهم تعالى الى ما أنزل الله والى

الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا . فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله أن أردنا الا احسانا وتوفيقا . أولئك الذين يعلم الله ما فسد

قلوبهم فأعرض عنهم وعظيهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا . وما أرسلنا من رسول الا ليطاع ما كان الله ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما . فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا

في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * (النساء : ٦٠ - ٦٥)

ص

وحين تمسك المسلمون بكتاب الله الكريم وضوا على المنة المطهرة بالنواجذ وحكموا
الاسلام - عقيدة وشريعة - ^(١) في مختلف نواحي الحياة . . حينذاك آتاهم الله ثواب
الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، وانتصروا على أعدائهم ، وطفقوا يعمرون الأرض على ضوء
المنهج الرباني وعرف كل من الراعي والراعية واجباته فأداها من تلقاء نفسه ، وحقوقه
فأخذها من غير غف ولا فتنة . وأصبحوا كالجمد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له
سائر الأعضاء بالحس والسر !

وحين تخلى المسلمون عن مصدر سعادتهم - في الدارين - جرت عليهم السنن
الربانية التي لا تتخلف : " ولن تجد لسنة الله تبديلا " (الاحزاب : ٦٢) . وزال
عظم الشرط الذي يمكن به في الأرض : " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولهمكن لهم دينهم الذي ارتضى
لهم وليد لنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك
فاولئك هم الفاسقون " (النور : ٥٥)

ولله در عمر - رضى الله عنه - حيث يقول :

(انكم كنتم اذل الناس واحقر الناس واقل الناس . . فأحركم الله بالاسلام . فبهما
تطلبوا المزة بخيره يذكركم الله) (٢)

ويقول الله تبارك وتعالى : " أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم
يوقنون " (المائدة : ٥٠)

(١) يقول الاستاذ سيد قطب (طيب الله ثراه) :

(الاسلام عقيدة تتمثل في شريعة ، وشريعة هي تفسير وتحقيق لهذه العقيدة
ووحدة شعورية تشريعية تتألف منها حياة واقعة ممثلة في العقيدة والسلوك
وفي المبادئ والمعاملات وفي السرائر والجوارح وفي الأفراد والجماعات) .
انظر معركة الاسلام والرأسمالية ص ٥٧ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٦٠ / ٧ .

" أجل ! فمن أحسن من الله حكماً ؟ ومن ذا الذي يجزوه على ادعاء أنه يشرع

للناس ، ويحكم فيهم ، خيراً مما يشرح الله لهم ويحكم فيهم !

وأية حجة يملك أن يسوقها بين يدي هذا الادعاء الفريض ؟ يستطيع أن يقول :

أنه أعلم بالناس من خالق الناس ؟ يستطيع أن يقول أنه أرحم بالناس من رب الناس ؟

استطيع أن يقول أنه أعرف بمصالح الناس من إله الناس ؟ يستطيع أن يقول إن الله -

سبحانه - وهو يشرع شريعته الأخيرة ، ويرسل رسوله الأخير ، ويجعل رسوله خاتم

النبيين ، ويجعل رسالته خاتمة الرسالات ، ويجعل شريعته شريعة الأبد ، ، كان -

سبحانه - يجهل أن أحوالاً ستطرأ ، وأن حاجات ستستجد ، وأن ملبسات ستقع ،

فلم يحسب حسابها في شريعته لأنها كانت خافية عليه ، حتى انكشفت للناس في آخر

الزمان ؟ !

" ما الذي يستطيع أن يقوله من ينهى شريعة الله عن حكم الحياة ، ويستبدل بها

شريعة الجاهلية ، وحكم الجاهلية ، ويجعل هواه هواً وهوى شعب من الشعوب أو وهوى

جيل من أجيال البشر ، فوق حكم الله ، وفق شريعة الله ؟ ما الذي يستطيع أن يقوله

.. وخاصة إذا كان يدعي أنه من المسلمين ؟ !

" الظروف ؟ الملبسات ؟ عدم رغبة الناس ؟ الخوف من الأعداء ؟ .. السم

يكن هذا كله في علم الله ، وهو يأمر المسلمين أن يقيموا بينهم شريعته ، وأن يسيروا

على منهجه ، ولا يفتنوا عن بعض ما أنزله ؟

" قصر شريعة الله عن استيعاب الحاجات الطارئة والأوضاع المستجدة ، والأحوال

المتغيرة ؟ ألم يكن ذلك في علم الله ، وهو يشدد هذا التشديد ويحذر هذا

التحذير ؟ " (١)

ان تحكم شريعة غير شريعة الله على مخالفيق الله • جريمة كبرى لا مثيل لها ففس تاريخ العالم - القديم منه والحديث - كيف لا وهي ادعاء بعدم صلاحية شريعة الله للحياة ؟

يا حصرة على المباد ! يا حصرة على من حكم بالجاهلية او يحكم بها او سيتحاكم اليها في حياته !

ان شريعة الجاهلية - بمختلف أشكالها وأنواعها - فيها الهوى والشهوات وفيها التخبیط في الظلمات وفيها القصور عن حل المشكلات • فما أتمس بها ! وما أتمس من يتحاكم اليها - ولو سميت بغير اسمها - كأتا من كان !

قد تحل شريعة الجاهلية مشاكل جزئية في بعض الأمكنة أو الأزمان أو الظروف أو المجالات • ولكنها حلول جزئية ولزمان ومكان معينين • ولمست هذه الحلول ثابتة دائمة راسخة كشريعة الله الخالدة •

وتحكم شرائع الجاهلية وقوانين الجاهلية في أى مجتمع يومى الى ظهور مشاكل جديدة ترتبت على حلول جاهلية لها • وهكذا دواليك • •

ان من كان له قتل أو ألقى السم وهو شهيد • يوقن بأن كل ما يتعلق بالجاهلية يومى الى الخسران في الدنيا • من قتل وظلم وسرقه وسهب وغش واغصاب واعتداء وكذب وفجور ونكذ وانهبها رعبى ومريض عضال وأفات اجتماعية •

يومى كذل الى غضب الله ومقته وعذابه في الدنيا والآخرة • يقول سيد قطب :
(والمائل الواعى الذى لم يأخذه الدوار الذى يأخذ البشرية اليوم • حين ينظر الى هذه البشرية المنكودة يراها تتخبیط في تصوراتها • وأنظمتها • وأوضاعها • وتقاليدها • وعاداتها • وحركاتها كلها تتخبیطا منكرا شنيعا • • يراها تخلع ثيابها وتمزقها كالمهروس ! وتتشنج في حركاتها وتتخبیط وتتلط كالممسوس • • يراها تفسر أزياءها في الملابس • وفق أهواء بيوت الأثرياء ! • • يراها تصرخ من الألم • وتجري

كالمطار ، وتضحك كالمجنون ، وتعريد كالسكر ، وتبحث عن لشيء ! وتجري وراء
أخيلة ! وتقذف بأثني مائتك ، وتحتضن أقدر ماتسك به يداها من أحجسار
وأوضار ! لعنة ! لعنة كالتى تحدث عنها الأساطير ! انها ثقل الانسان وتحوله
الى آلة . . لتضاعف الانتاج !

انها تقضى على مقومات الانسانية وعلى احساسه بالجمال والخلق والمعانى
السامية ، لتحقيق الربح لعدد قليل من الرابين وتجار الشهوات ، ومنتجى
الافلام السينمائية وموت الازياء ! وتنتظر الى وجوه الناس ، وفظراتهم ، وحركاتهم ،
وأزيائهم ، وأفكارهم وآرائهم ودعواتهم فضيل اليك أنهم هاربون مطاردون الا
يلوون على شيء ، ولا يشتبهون من شيء ! ولا يترهبون لبروا شيئا ما روية واضحة
صحيحة . . وهم هاربون فعلا ! هاربون من نفوسهم التى بين جنوبهم ! هاربون
من نفوسهم الجائعة القطة الحائرة ، التى لا تستقر على شيء ثابت ، ولا تدور
على محور ثابت ، ولا تتحرك فى اطار ثابت . . والنفس البشرية لا تستطيع أن تعيش
وحدها شاذة عن نظام الكون كله . ولا تلك أن تسعد وهى هكذا شاذة تافهة ،
لا تلمن الى دليل هاد ، ولا تستقر على قرار مريح !

" وحول هذه البشرية المنكودة زمرة من المستنغمين بهذه الحيرة الطاغية ،
وهذا الشرود القاتل . . زمرة من الرابين ، يهتفون لها بالمزيد من المسرع
والتخبط والدوار ، كلما تعبت وكلت خطاها ، وحنّت الى الدار المنضبط والمحور
الثابت ، وحاولت أن تعود ! زمرة تهتف لها . . التطور . . الانطلاق . .
التجديد . . بلا ضوابط ولا حدود . . وتدفعها بكلتا يديها الى التاهة كلما
قاربت من الثابة . . باسم التطور . . وباسم الانطلاق . . وباسم التجديد . .
" أنها الجريمة . الجريمة المنكرة فى حق البشرية كلها . وفى حق هذا
الجميل المنكود !

" وفكرة التطور المطلق ، لكل الأوضاع ، ولكل القيم ، ولأصل التصور الذى ترجع
اليه القيم . . فكرة تناقض الأصل الواضح فى بناء الكون ، وفى بناء الفطرة . ومن ثم

وماد منا بصدد الحديث عن الحاكمية ، فما حكم من حكم بغير ما أنزل الله ؟
لقد اطلعت على كثير من المراجع التي تناولت مسألة الحكم بغير ما أنزل الله ، فوجدت
أن هذا الموضوع شائك قد تنزل به الاقدام - لان قضية الايمان والكفر أخطر قضية في
الحياة - فتكفير المسلم أمر جد خطير ، وادخال الكافر في الاسلام - الواضح كفره -
أمر أخطر منه !

وأخطاء الخوارج قد بما حينما كفرت مرتكب الكبيرة ! وأخطاء المرجئة كذلك حينما
ذهبت الى أنه لا يضر مع الايمان معصية كما لا يرفع مع الكفر طاعة !
وسأقدم فيما يأتي - بإذن الله - خلاصة قراحتي لهذه المسألة ، فأقول وبالله
التوفيق :

اختلف العلماء - قد بما وحديثا - في تفسير الكفر الوارد في قول الله تعالى :

" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " (المائدة : ٤٤)

وهذه أقوال كثير منهم : قال الامام الطبري عند تفسير هذه الآية :

(يقول تعالى ذكره : ومن كتم حكم الله الذي أنزله في كتابه وجعله حكما بين عبادة
فأخفاه وحكم بغيره - كحكم اليهود في الزانيين المحصنين بالتجبية والتحميم وكتمانهم
الرجم - * فقد سوى الله بين جميعهم في الحكم عليهم في التوراة " فأولئك هم
الكافرون " يقول : هؤلاء الذين لم يحكموا بما أنزل الله في كتابه ولكن بدلوا وغيروا
حكمه وكتموا الحق الذي أنزله في كتابهم الكافرون . يقول : هم الذين ستروا الحق
الذي كان عليهم كشفه وتبيينه وعطوه عن الناس وأظهروا لهم غيره وقضوا به لسحبست
أخذه منهم عليه .

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل الكفر في هذا الموضع فقال بعضهم بنحو ما قلنا

في ذلك من أنه عني به اليهود الذين حرفوا كتاب الله بدلوا حكمه .

ومن قال بأن الآيات " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " " ومن

لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون " " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك

هم الفاسقون " (المائدة : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧) نزلت في الكافرين كلها

البراء بن عازب والضحاك وأبو مجلز وعذيفة وعكرمة وقتادة وعبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود .

وقال آخرون : بل عنى بذلك : كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق .
وقال بذلك :

عطاء وطاووس وابن عباس .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآيات في أهل الكتاب ، وهى مراد بها جميع
الناس مسلموهم وكفارهم .
وقال بذلك :

إبراهيم والحسن وابن مسعود والسدى .

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به . فأسما
الظلم والفسق فهو للمقر به .
وقال بذلك :

ابن عباس .

ويضئ الإمام الطبرى قائلا :

وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب : قول من قال :

نزلت هذه الآيات في كفار أهل الكتاب ، لأن ما قبلها وما بعدها من
الآيات ففهم نزلت وهم الممنون بها ، وهذه الآيات سياق الخبر عنهم فكونها خبرا
عنهم أولى .

فان قال قائل : فان الله تعالى ذكره قد عم بالخبر بذلك من جميع من لم يحكم
بما أنزل الله فكيف جعلته خاصا ؟

قيل ان الله تعالى عم بالخبر بذلك عن قوم كانوا يحكم الله الذى حكم به فسق
كتابه جاحدين فأخبر عنهم أنهم بتركهم الحكم على سبيل ما تركوه كافرين . وكذلك

القول في كل من لم يحكم بما أنزل الله جاحدا به هو بالله كافر - كما قال ابن عباس
لأنه بجحوده حكم الله بحمد علمه أنه أنزله في كتابه نظير جحوده نبوة نبيه بحمد
علمه أنه نبي . (١)

وقال الامام القرطبي :

بقوله تعالى : " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " و " الظالمون "
و " الفاسقون " نزلت كلها في الكفار ،
وعلى هذا المصظم ، فأما المسلم فلا يكفر وان ارتكب كبيرة (،
وساق رحمه الله أقوال من ذهبوا الى ذلك .

وروى كلامه بصفة وقد سئل عن هذه الآيات أهي في بني اسرائيل ؟
قال : نعم هي فيهم ، ولتسلكن سبيلهم حذو النمل بالنمل !
وروى عن الحسن قوله : أخذ الله عز وجل على الحكام ثلاثة أشياء : ألا يتبعوا
الهيوى ، وألا يخشوا الناموس يخشوه ، وألا يشتروا بآياته ثمنا قليلا . (٢)
وقال الامام ابن كثير :

(قال البراء بن عازب وابن عمر والحسن البصري وغيرهم :
نزلت في أهل الكتاب . زاد الحسن البصري : وهي علينا واجبة .
وقال عبد الرزاق عن ابراهيم : نزلت هذه الآيات في بني اسرائيل ورضى الله لهم هذه
الامة بها .

وقال السدي : من لم يحكم بما أنزل الله فتركه عبدا ، أو جارا وهو يعلم ، فهو
من الكافرين .

وقال الشعبي : ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون))
هذا في المسلمين . ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون))

(١) الطبري : جامع البيان ٦ / ٢٥١ - ٢٥٢ باختصار .

(٢) القرطبي : الجامع لاحكام القرآن ٦ / ١١٠ و ١٩١ باختصار .

هذا في اليهود . (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) هذا في النصارى . (١)

وقال العلامة الخفاجى :

(ومن لم يحكم بما أنزل الله مستهينا به منكرا له (فأولئك هم الكافرون)
لتمردهم بأن حكموا بغيره . ولذلك يوصفهم بقوله : الكافرون - الظالمون - الفاسقون .
فكفرهم : لانكاره ، وظلمهم : بالحكم على خلافه ، وفسقهم : بالخروج عنه .
أو أنهم وصفوا بها باعتبار أطوارهم وأحوالهم المنضمة الى الحكم : فتارة كانوا على
حال تقتضى الكفر ، وتارة على أخرى تقتضى الظلم أو الفسق .
ويكون قوله تعالى " فأولئك هم الكافرون " للمسلمين اما تغليظا أو اذا استحلوا
ذلك) (٢)

وقال الامام ابن جزى الكلبى الضرناطى :

(قال ابن عباس : نزلت الثلاثة في اليهود : الكافرون والظالمون والفاسقون .
وقال جماعة : هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من اليهود والمسلمين وغيرهم
الا أن الكفر في حق المسلمين كفر مصيبة لا يخرجهم عن الايمان .) (٣)
وقال العلامة الشوكانى :

(من جحد الحكم بما أنزل الله فقد كفر . ومن أقرب به ولم يحكم به فهو ظالم
فاسق) (٤)

وقال العلامة الالوسى :

(ولعل وصفهم بالاوصاف الثلاثة باعتبارات مختلفة :

-
- (١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٦١/٢ باختصار .
 - (٢) الخفاجى : حاشية الشهاب ٢٤٦/٣ باختصار .
 - (٣) الضرناطى : التسهيل لعلوم التنزيل ٣١٩/١ باختصار .
 - (٤) الشوكانى : فتح القدير ٤٥/٢ .

فلا نكارهم ذلك وصفوا بالكافرين ، ولو ضمهم الحكم في غير موضعه وصفوا بالظالمين ،
ولخروجهم عن الحق وصفوا بالفاسقين .

أو أنهم وصفوا بها باعتبار أطوارهم وأحوالهم المنضمة الى الاستتاع عن الحكم ، فتارة
كانوا على حال تقتضى الكفر ، وتارة على أخرى تقتضى الظلم أو الفسق (١)

وقال العلامة الشنقيطى :

(الظاهر القبادر من سياق الآيات أن آية " فاولئك هم الكافرون " نازلة فى
المسلمين . لانه تعالى قال قبلها مخاطبا لمسلمي هذه الامة " فلاتخشوا الناس
واخشون ، ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا " ثم قال " ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك
هم الكافرون " فالخطاب للمسلمين كما هو ظاهر قبادر من سياق الآية . .
وعليه فالكفر اما كفر دون كفر ، واما أن يكون فعلم ذلك مستحلا له ، أو قاصدا
به جحد أحكام الله وردها مع العلم بها . أما من حكم بغير حكم الله وهو عاظم
أنه مرتكب ذنبا فاعل قبيحا وانما حمله على ذلك الهوى فهو من سائر عصاة المسلمين .
وسياق القرآن ظاهر أيضا فى أن آية " فاولئك هم الظالمون " فى اليهود لأنه
قال قبلها : " وكنتنا عليهم فيها أن النفس بالنفس . . . " فالخطاب لهم لوضوح دلالة
السياق عليه كما أنه ظاهر .

وأىضا فى أن آية " فاولئك هم الفاسقون " فى النصارى ، لانه قال قبلها :

" وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه " .

ويضى العلامة الشنقيطى قائلا :

واعلم أن تحرير المقام فى هذا البحث : أن الكفر والظلم والنسب كل واحد منها

ربما أطلق فى الشرع مرادا به المعصية تارة والكفر المخرج من الملة أخرى .

" ومن لم يحكم بما أنزل الله " معارضة للرسول وابطالا لأحكام الله فظلمه وفسقه

وكفره كلها كفر مخرج عن الملة .

وقد عرفت أن ظاهر القرآن يدل على أن الاولى فى المسلمين والثانية فى اليهود

والثالثة فى النصارى . والمعبرة بمصوم الألفاظ لا بخصوص الأسباب (١)

ويقول الاستاذ سيد قطاب :

(قال تعالى : " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " بهذا الحسم المصارم الجازم وبهذا التعصيم الذى تحمله (من) الشرطية فوجعل الجواب بحسب ما يخرج من حدود الملازمة والزمان والمكان وينطلق حكما عاما على كل من لم يحكم بما أنزل الله فى أى جيل ومن أى قبيل .

والعلة هى أن الذى لا يحكم بما أنزل الله إنما يرفض الوهية الله ، فاللوهية من خصائصها ومن مقتضاها العاكمة التشريعية . ومن يحكم بخير ما أنزل الله يرفض الوهية الله وخصائصها فى جانب ، ويدعى لنفسه هو حق اللوهية وخصائصها فى جانب آخر .

وماذا يكون الكفر ان لم يكن هو هذا وذاك ؟

وما قيمة دعوى الايمان والاسلام باللسان ، والعمل - وهو أقوى تعبيرا -

الكلام ينطق بالكفر أفصح من اللسان ؟!

ان السامكة فى هذا الحكم المصارم الجازم العام الشامل ، لاتعنى الا محاولة التهرب من مواجهة الحقيقة . والتأويل فى مثل هذا الحكم لا يعنى الا محاولة تحريف الكلم عن مواضعه . وليس لهذا السامكة من قيمة ولا أثر فى صرف حكم الله عن ينطبق عليهم بالنص الصريح الاكيد . وفى قول تعالى " فأولئك هم الظالمون " التعبير هنا عام وليس هناك ما يخصه ، ولكن الوصف الجديد هنا هو الظالمون . وهذا الوصف الجديد لا يعنى أنها حالة أخرى غير التى سبق الوصف فيها بالكفر وإنما يعنى إضافة صفة أخرى لمن لم يحكم بما أنزل الله ، فهو كافر باعتباره رافضا للوهية الله واختصاصه بالتشريع والعبادة ، وهو ظالم يحمل الناس على شريعة غير شريعة ربهم الصالحة المصلحة لاهوالهم ، فوق ظلمه لنفسه بايرادها موارد التهلكة وتعرضها

لعقاب الكفر .

وقوله تعالى : " فاولئك هم الفاسقون " النص هنا كذلك على عمومه واطلاقه ، وصفة

الفسق تضاف الى صفتي الكفر والظلم من قبل وليست تعنى قوما جديدا ولا حالة

جديدة منفصلة من الحال الاولى ، وانما هي صفة زائدة على الصفتين قبلها لاصقة

بمن لم يحكما أنزل الله من أى جيل ومن أى قبل .

الكفر : برفض الوهيقا لله مثلا هذا فى رفض شريعته .

والظلم : بحمل الناس على غير شريعة الله واشاعة الفساد فى حياتهم .

والفسق : بالخروج عن منهج الله تعالى واتباع غير طريقته .

فهى صفات يتضمنها الفعل الاول وتنطبق جميعها على الفاعل ، ويؤيد بهـ

جميعا دون تفريق (١) .

ونظرا لطول الموضوع - ولئلا نخرج عن بحثنا - نحيل القارئ الكريم الى الكتب التى

تناولت هذه المسألة وما يتعلق بها . . . (٢)

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن ١٧١/٦ - ١٧٨ باختصار .

(٢) الغزالي : الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٢٢٤

وابن تيمية : الفتاوى الكبرى ٢٣١/٤ و ٢٨١ و ٢٨٨ و ٢٩٣

ومحمد بن عبد الوهاب : نواقض الاسلام .

والكشميري : اكار الطحدين فى ضروريات الدين ص ٦٩

ومحمد بن عتيق : بيان النجاة والفكك ص ٥٨

وأبو بطين : الكفر الذى يعذر صاحبه بالجهل ص ٥ فما بعدها

والبيانونى : الكفر والمكفرات ص ١٢٢

وأحمد شاکر : عدة التفسير ١٧٣/٤

وعبد القادر عودة : التشريع الجنائى ٢٢٥/١ - ٢٣٣

والاسلام وأوضاعنا القانونية ص ٧٢

ومحمد بن باز : نواقض الاسلام ص ٣

ونقدم بعض النتائج والملاحظات التي توصلت اليها من خلال اطلاعى على هذه الكتب :

المكفرات : هى كل اعتقاد أو قول أو عمل يصدر عن مسلم بالغ عاقل — فيه اعتراف بمقيد شكرة ، أو فيه جحود لمقيدة من عقائد الاسلام أو أحكامه ، مما علم كونه من الدين بالضرورة ، أو ما يعتبر اعتناقه علامة ظاهرة على عقيدة مكسرة .

ولا فرق فى ذلك بين المستهزى والجاد والمعاند ، وان وصف الذى يحكمه غير ما أنزل الله (بالكفر أو بالظلم أو بالفسق) ليس خاصا بالوالى أو القاضى — فحسب — بل هو شامل لكل من لم يحكم بما أنزل الله .

= وعبد الله بن حميد : كمال الشريعة الاسلامية (المقدمة)

وعبد الله قادري : الردة وخطرها ص ٣٢١

وعبد المتعال محمد : الفرقان ص ٥٢

ونعمان السامرائى : أحكام المرتد ص ٣٣٧

وصادق أمين : الدعوة لاسلامية ص ١٢٧

وابراهيم الوقفى : تلك حدود الله ص ٢٧٤

وحسن الهضيمى : دعاة لا قضاة ص ١٥٥

وأحمد جمال : على مائدة القرآن ص ١٨٤

وعبد الرحمن الميدانى : صراع مع الملاحدة ص ٣٧٥ فما بعدها

ويوسف القرضاوى : ظاهرة الغلو فى التكفير ص ١٩ فما بعدها

وعبد الرحمن عبد الخالق : الحد الفاصل بين الايمان والكفر ص ٥١ فما بعدها

والبيوطى : بحث لا بد منه فى الردة ص ٣٠

والفلانى : ايقاظ هم أولى الابصار ص ٤

ونافع شامى : كلمات فى التوحيد والشرك ص ٥٧

ومحمد كاظم حبيب : الردة

ومن حكم بين اثنين فقال الى أحدهما ، ولم يتفد حكم الله تعالى لقراءة أو رشوة أو تشبها : فهذا يحكم عليه بالفسق - كفر - ون كفر - .

وأما من أصدر تشريعا عاما - مناقضا شريعة الله - وألزم الناس به فانه يخرج من الملة كافرا ، وان صلى وصام وزعم أنه مسلم .

وقد يوجد من يحتال على النصوص فيحكم بجانب معين من الشريعة حسبي لا بوصف بسملة الكفر ، ولكنه يلج الكفر من أبواب أخرى ، كموالات أعداء الله ، وطاعتهم في معصية الله ، وكهربه للدعاة الى الله الساعين لتحكيم شريعة الله ! ويكفر كل من ارتكب شيئا مما يأتي :

من جحد أو احتقر أو استهان بحكم شرقي .

أو من اعتقد أن حكم غير الله أفضل من حكم الله عز وجل

أو من ادعى أن له الحق في تشريع ما لم يأذن به الله تعالى

أو من ادعى أن الحكم بما أنزل الله لا يصلح تطبيقه في هذا العصر .

أو من أعطى صفة شرعية للحكم المناقض للإسلام

أو من استحل الحرام وحرم الحلال .

أو من والى أعداء الله وحارب الدعوة الى الله ، لقولهم ربنا الله ولسمىهم لتحكيم شريعة الله .

أو من اعتقد أو قال أو عمل بالكلمة المشؤومة (لا سياسة في الدين ولا دين

في السياسة) !

وان وصفا لله تبارك وتعالى من لم يحكم بما أنزل الله بالكفر والظلم كان تمقيها

على عد تحكيم التوراة :

" انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذي بين

هادوا واليهانيين والاهبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا

الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكمها أنزل الله فاولئك هم

الانتخاب للامامة :

ان الخليفة المسلم يتولى قيادة الامة بانتخاب المسلمين

له ، وقد ذهب الامة في طريقة اختيار الخليفة الى مذهبين :

الاول : ان الخلافة تثبت بالنص لا بالاختيار .

والثاني : ان الخلافة تركت لاختيار الامة .

((وقد قرر الاسلام ان الامة هي صاحبة الحق في اختيار الخليفة بالطريق

التي يتحقق من خلالها مبدأ الشورى .

وذهب الى هذا الرأي جمهور اهل السنة والمعتزلة والخوارج وبعض الشيعة .

وهؤلاء يستندون الى ان الخلافة لا تمد وان تثبت من احدى طريقين :

طريق النص او طريق الاختيار .

وقد ثبت انه لم يتم نص صحيح - لغير الاحاد أو القواتر - على تعيين انسان

بمینه . فبقيت الطريقة الثانية (وهي الاختيار) وقد انعقد الاجماع على الاختيار .

والامة هي صاحبة الحق في اختيار خليفة .

ولكن ماهي الطرق التي يمكن ان تتبعها في ذلك ؟

لم يعتمد الاسلام طريقة معينة لاختيار رئيس الدولة ، يلزم الامة بها حتى

لا يحرم عليها ان تمارس غيرها . وكل الذي جاء هنا ان الامة تختار رئيس

الدولة اذا توافرت فيه شروط معينة . ولا يهم بعد ذلك الاسلوب وطريقة الاختيار .

وطريقة الاختيار ليست ثابتة ، فقد تصلح طريقة لزمان معين ولفترة معينة . .

ويظهر غيرها أكثر ملائمة منها في زمن آخر وفترة أخرى (((١)

(١) محمد أبو فارس : النظام السياسي في الاسلام ص ٢٢٨ بتصرف يسير .

وقد رد على من قال بثبوتها بطريق النص من ص ٢١٢ - ٢٢٢

((والدارس لكيب الاقدمين - فى هذا المجال - يجد أن اختيار رئيس الدولة كان يتم على مرحلتين :

الاولى : مرحلة الترشيح ، وقد أطلق عليها البيعة الخاصة ، ان يقوم فيها أهل الحل والعقد - أو بعضهم - باختيار الخليفة وترشيحه للامة لترى رأيها فيه .
والثانية : البيعة العامة ، وهى أقرب ما تكون الى الاستفتاء ، ان يعرض الامام المرشح برنامجه غالبا فى خطبة على الناس فى المسجد ، وهذه المرحلة هى الحاسمة وهى التى تقرر صلاحية الخليفة المرشح أو عدم صلاحيته . فاذا بايحه الناس فقد أصبح اماما ، والا طلب من أهل الحل والعقد ترشيح غيره وعرض على الامة .
وخلافة الصديق - رضى الله عنه - انعقدت بموافقة غالبية الامة عليه وما يهتم لهم بعد أن يبيع فى سقيفتى ساعدة .

وخلافة عمر وعثمان وعلى (رضى الله عنهم) انعقدت ببيعة الامة لهم .
ولترشيح ربيعة الدولة عند علمائنا الاقدمين - رحمهم الله تعالى - صور
عد بسدة :

منها : أن يقوم الخليفة الحاكم بترشيح الخليفة الذى يأتى من بعده - قبل أن يموت - وهذا ما يسمى بالاستخلاف .

وقد استخلف أبو بكر عمر - رضى الله عنهما وكان ترشيحه هذا بعد أن استشار الناس فى ذلك فوافقه معظم أهل الحل والعقد . ولكن المبدأ من الخليفة السابق هو مجرد ترشيح له ، والامة هى صاحبة الحق فى النهاية فى اختياره أو رفضه ، تزاول ذلك بملء حرمتها وارادتها .

ومنها : أن يقوم بترشيح الخليفة رجل من أهل الحل والعقد ، ولا بد من أن يحضر على ذلك جماع من الناس لا شماره حتى لا يدعى آخر أنه يبيع له سبيرا ،
ما يؤدى الى الفوضى والفساد .

"أو أن يقوم بترشيحه رجلان من أهل الحل والعقد ، وقيل : ثلاثة رجال

وقيل : أربعة رجال وقيل : خمسة رجال وقيل : أربعون رجلا .

"ومنها : أن يقوم بترشيح الخليفة أهل الحل والعقد في البلد الذي يقسم

فيها الإمام عادة - عاصم - والدولة - الإسلامية - وليس لذلك عدد معين .

ومنها : أن يقوم بالترشيح جمهور أهل الحل والعقد في كل بلد من الدولة

الإسلامية ، ليكون الرضى به عاما والتسليم لاماته اجماعا .

"والراجع - والله أعلم - أن يشترك في اختيار المرشح أهل الحل والعقد في كل

بلد بحيث يكون هؤلاء * مجلسا عاما لأهل الحل والعقد ، يبادرون فور موت الخليفة

أو عزله أو فقدانه أهليته إلى الاجتماع ، وترشيح أصلح أهل الإمامة في نظر الأغلبية

لهذا المنصب ، ثم استفتاء الأمة على ذلك ،

"وهكذا فإن الأمة هي صاحبة الحق في اختيار الخليفة ، وإن صور هذا

الاختيار والترشيح تختلف وتتعدد ، فقد تباشر الأمة بكاملها حقها هذا فتختار

الخليفة مباشرة ، أو تختار عنها نوابا تفوضهم باختيار الإمام ومبايعته نيابة عنها -

وهؤلاء * يكونون من فضلاء الأمة ورجال الفكر والخبرة والامارة فيها - . أو عن طريق

ترشيح الإمام السابق للاحق وناء * على شورى سابقة منه لأهل الحل والعقد ، أو

ترشيحه من أهل الاختيار ثم تستفتي الأمة في ذلك . أو بأى صورة - قد تحدث

في المستقبل - شريطة أن تقوم على الشورى وإشراك الأمة في الأمور * .

(٢)

ونعتقد الإمامة للخليفة بأحد أمور :

"منها : ما لو نص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أن فلانا هو الإمام ،

(١) محمد أبو فارس : النظام السياسي من ص ٢٢٨ - ٢٣٩ باختصار

(٢) الشنقيطي : أضواء البيان ١/٥١ باختصار

فانها تنمقد له بذلك . وقال بعض العلماء : ان امامة الصديق - رضى الله عنه - من هذا القبيل ، لان تقديم النبى - صلى الله عليه وسلم - له فى امامة الصلاة - وهى عمود الدين - فيه الاشارة الى التقديم للإمامة الكبرى .

" ومنها : اتفاق أهل الحل والعقد على بيعته . وقال بعض العلماء : ان امامة الصديق - رضى الله عنه - من هذا القبيل أيضا ، وذلك لاجماع أهل الحل من المهاجرين والانصار على بيعته - بعد الخلاف عليها - ولا عبرة بعدم رضا بعضهم .

" ومنها : أن يعهد اليه الخليفة الذى قبله ، كما وقع من أبى بكر لعمر - رضى الله عنهما - ، ومن هذا القبيل : جعل عمر الخلافة شورى بين ستة من الصحابة مات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو عندهم راضى .

" ومنها : أن يتغلب على الناس بسيفه ويخزع الخلافة بالقوة حتى يستتب لسه الامر وتدين له الناس . لما فى الخروج عليه حينئذ من شق عصا المسلمين وراقصة دمائهم . *

" ومقتضى كلام ابن تيمية - رحمه الله - : أنها تنمقد بما يعة من تقوى بسسه شوكته ويقدر به على تنفيذ أحكام الامامة . لان من لا قدرة له على ذلك - كاحاد الناس - ليس بإمام " (١) .

(١) الشنقيطى : أضواء البيان ٥١ / ١ باختصار

* قلت لا يمكن اطلاق هذا الكلام على عواهنه الا بشروط هى :

أ - أن يتوفر فى هذا الخليفة صلاح الدين والدنيا معا .

ب - ألا يخرج على الامام الاعظام القائم بوظيفته غير قيام .

ج - أن يكون عمله هذا من باب ارتكاب أخف الضررين ، وألا يؤدى ذلك الى فتنة أعظم .

وانظر ما قاله الاستاذ محمد المبارك - رحمه الله - فى كتابه الحكم والدولة

والامارة - في الاسلام - تكليف لا تشريف فلا يصلح أن يترشح لها الا من كان
 كفؤا لها قادرا على القيام بأعبائها ، متصفا بالحفظ والعلم والقوة والامانة ؛
 قال يوسف (عليه الصلاة والسلام) لملك مصر : ((اجعلنى على خزانة
 الارض انى حفيظ عليم)) (يوسف : ٥٥) .
 وقالت ابنة شعيب (١) (عليه الصلاة والسلام) لأبيها : " يا أبت استأجره
 ان خير من استأجرت القوى الامين " (القصص : ٢٦) .
 وقال نبي من بنى اسرائيل عن طالوت : " وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم
 طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من
 المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من
 يشاء " والله واسع عليم " (البقرة : ٢٤٧) .
 وقد يكون الرجل صالحا يوزن حلمه بالجدال ، ولكنه لا يستطيع أن يقوم بأعباء
 المنصب . فهذا لا يولى ولكنه يستشار فى المهمات - لان الولاية سياسة للديين
 والدنيا . . .
 ولا يولى كذلك السياسى المحنك اذا كان غير صالح ! وكل من هذين اما أن
 يضع الدنيا ، واما أن يضع الدين فهما أمران أحلاهما سر !
 ومع أن أبا ذر الغفارى - رضى الله عنه - من كبار الصحابة ومن أقدمهم
 اسلاما ، ومن أكثرهم زهدا ورعا وقولا للحق وأما بالمعروف ونهيا عن المنكر
 ومن أكثرهم انفاقا وعبادة . . .

(١) قيل : كان أبوها شعيب (عليه الصلاة والسلام) ، وقيل : كان ابن أخى شعيب ،
 وقيل : كان رجلا من آمن بشعيب - والله أعلم - .
 انظر : الطبرى : جامع البيان ٢٠ / ٦٢ ، والقرطبى : الجامع لاحكام
 القرآن ١٣ / ٢٧٠ ، وصديق حسن خان : حسن الاسوة بما ثبت من الله
 ورسوله فى النسوة ص ١٥٥ ، وابن كثير : الهداية والنهاية ١ / ٢٤٤

وسمع صدق لهجته - رضى الله عنه - كما وصفه بذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
بقوله :

" ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ندى لهجة أصدق من أبى نذر " (١)

الا أنه لا يصلح للامارة - فكل ميسر لما خلق له - وليس هذا عيبا أو نقصا أو
طعنا فيه - ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه - .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا بى نذر الغفارى - رضى الله عنه -
وقد سأله أن يوليه :

" يا أبا نذر ! انك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامة خزي وندامة الا من
أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها " . (٢)

والسلم - فى المجتمع الاسلامى الذى يطبق شريعة الله - لا يرشح نفسه ولا يتركها
ولا يحرص على الامارة ، ولو ظهر منه شئ من ذلك فانه لا يولى ولا تحقق أمنيته ؛
(يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان أعطيتها عن مسألة أكلت اليها -
وفى رواية : وكلت اليها - وان أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها) (٣)

وهن أبى موسى - رضى الله عنه - قال :

دخلت على النبى - صلى الله عليه وسلم - أنا ورجلان من بنى عسى . فقال أحد
الرجلين : يا رسول الله أمرنا على بعض ما ولاك الله عز وجل . وقال الاخر مثل ذلك .
فقال : " أنا والله لا نولى هذا العمل أحدا سأل ولا أحدا حرص عليه " . (٤)

(١) ابن حجر : المطالب العالمة ١١٧/٤

(٢) مسلم ١٥٤/٣ وفى رواية أبى داود : " يا أبا نذر انى أراك ضعيفا وانسى
أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم "

انظر سنن أبى داود ٥١٤/٣

(٣) مسلم ١٤٥٦/٣

(٤) مسلم ١٤٥٦/٣

والمرشح للحكم لا يقوم - كما هو الحال في الجاهليات القديمة والحديثة - بمسائل غير نظيفة في سبيل الفوز بالمنصب ، ولا تظهر في أي من تصرفاته أدنى أساءة للأخلاق الإسلامية . ولا يتنازع عليها مع غيره ^(١) ، لأن الهدف منها في نظره هو تطبيق الشريعة الإسلامية لا غير ، وإذا قام غيره بهذا الواجب حصل الخير وأطمأنت نفسه .

(١) لا تلتفت الى مقاله تقى الدين النبهاني (رحمه الله) : (من أن طلب

الخلافة والتنازع عليها جائز لجميع المسلمين وليس هو من المكروهات)

انظر الشخصية الإسلامية ٢ / ٢٩٠ .

فهذا يتعارض مع ماورد في الاحاديث ، ومع روح الشريعة التي يقول كتابها :

" ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم " (الانفال : ٤٦)

الطاعة :

ترتكز الطاعة في الاسلام على الاسس الاتية :

الطاعة المطلقة لله عز وجل :

بما أن الله تعالى هو الخالق وحده فيجب أن تكون الطاعة المطلقة له وحده :

" الا له الخلق والامر " (الاعراف : ٥٤)

وطاعة الله جل وعلا تكون باتباع أوامره واجتناب طاعهه وتحكيم شريعته في كافة

الظروف والمجالات ، ثم الرضى التام بهذه الاحكام والتسليم الكامل لمقتضياتها :

والا فانه الكفر والظلم والفسق ، والتيه والضلال والضياح !

والطاعة كذلك للرسول (صلى الله عليه وسلم) :

وطاعته - صلى الله عليه وسلم - واجبة لانه تبارك وتعالى أمرنا بطاعته واحسنه

طاعة الرسول طاعه لله :

" وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله " (النساء : ٦٤)

" ومن يطع الرسول فقد أطاع الله " (النساء : ٨٠)

وحب الله ورسوله لا يفنى عن المرء شيئا اذا لم يتبع حبه هذا طاعتها فسى

المسر واليسر والمنشط والمكره . فالطريق الموصلة لحب الله ورسوله هي اتباع ما

ورد في الكتاب والسنة :

" قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور

رحيم " (آل عمران : ٣١) .

وطاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - تكون بالتصديق بهديه والا بتمعاد عما نهى

عنفسه :

" وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " (الحشر : ٧) .

والمؤمنون الصادقون يسارعون الى السمع والطاعة :

" انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا

سمعنا وأطعنا وأولئك هم الظالمون ، ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويخش
فأولئك هم الفائزون " (النور : ٥١ و ٥٢)

أما المنافقون ؛ فانهم يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمنون اذا دعوا
لتحريم الكتاب والسنة يقولون لا نهم ظالمون ؛

" ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يقولون فرقنا بينهم من بعد ذلك ومسا
أولئك بالمؤمنين . واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فرقنا بينهم معرضون
وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذهبين . أفنى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافسون
ان يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون " (النور : ٤٧ - ٥٠) .

والطاعة كذلك لا ولي الا امره

وطاعة هؤلاء * مستمدة من طاعة الله ورسوله ، ويجب أن يكون ولي الامر مسلماً

بمعنى الكلمة مطلقاً لا أحكام الله ، قال تعالى : *

" يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم " (النساء)

• (٥١) •

فالخطاب في هذه الآية للمؤمنين " يا أيها الذين آمنوا " وأولو الامر يجب

أن يكونوا من المؤمنين - صورة ومعنى - وهذا ما يدل عليه قول تعالى :

" وأولي الامر منكم " .

فإذا لم يكن ولي الامر من المؤمنين - معشر المسلمين - فتحرم طاعته حيثما كان ، وقد نهى

النبي تبارك وتعالى عن طاعة هؤلاء :

أولياء الشيطان :

" وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون "

(الانعام : ١٢١)

صاحب الهوى :

" ولا تطلع من أفلتنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فوطاً " (الكهف : ٢٨)

المسرفين :

" ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون " (الشعراء :

(١٥١ و ١٥٢)

المنافقين والكافرين :

" ولا تطع الكافرين والمنافقين " (الأحزاب : ١) .

المكذبين :

" فلا تطع المكذبين " (القلم : ٨) .

الاثمين :

" ولا تطع منهم آثما أو كفورا " (الانسان : ٢٤) .

والحاكم المسلم مسؤول أمام الله عز وجل ومسؤول كذلك أمام الأمة .

ويتمثل ذلك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وهذه طائفة عطارة من الاحاديث النبوية الشريفة تتحدث عن هذه القضية

المهمة :

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان

لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان " (١)

وقال أيضا : " ما من نبي بعث الله في أمة قبلي الا كان له من أمته حواريون

وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره . ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون

(١) مسلم ٦٩/١

قلت : ولعل الحكمة من استمرار انكار المنكر بالقلب هي : عدم استمراره

أو الركون اليه ، وتحسين الفرصة لمواتية لتغييره .. باليد أو باللسان - بشرط

عدم الوقوع في منكر أشد منه !

مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون . فمن جاهد هم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهد هم
 بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهد هم قلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة
 خردل . (١)

وعن تميم الدارى - رضى الله عنه - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال :
 " الدين النصيحة " قلنا : لمن ؟ قال : " لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين
 وعاشرتهم " . (٢)

وطاعة ولي الأمر غنيا أو فقيرا شريفا أو رضيعا - واجب مادام ملتزما بشريعة الله .
 يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (اتقوا الله وعليكم بالسبع والطاعة
 وإن عبدًا حبشيا) . (٣)

وطاعته طاعة لله ولرسوله ومعصيته معصية لله ولرسوله :
 عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال :
 (من أطاعنى فقد أطاع الله ومن يعصنى فقد عصى الله . ومن يطع الأمير فقد
 أطاعنى ومن يعصى الأمير فقد عصانى) . (٤)

(١) مسلم ٧٠ / ١ تخلف : تحدث . والخلف : جمع خلف وهو الخالف يتشسر
 وأما بالفتح فهو الخالف بخير .

(٢) مسلم ٧٤ / ١

والنصيحة لله : تكون بالايان به تعالى ونفى الشريك عنه ، والله غنى عن نصيح
 الناصح .

والنصيحة لكتابه : تكون بالايان بأنه كلام الله والعمل بحكمه والتسليم لتشابهه .
 والنصيحة لرسوله : تكون بتصديقه والايان بجميعها جاء به .

والنصيحة لأئمة المسلمين : تكون بمعانتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به .

والنصيحة لعامة المسلمين : تكون بإرشادهم لصالحهم ونفي آخرتهم ودنياهم .

(٣) عمرو الشيبانى : كتاب السنة ٢٩ / ١

(٤) مسلم ١٤٦٦ / ٣ =

وطاعة لولى الامر تكون بتنفيذه أحكام الله تعالى والا ؛ فلا طاعة لمخلوق فى معصية الله ؛

عن ابن عمر : عن النبی - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحببوه الا أن يؤمر بمعصية ، فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة . (١)

وقال (صلى الله عليه وسلم) : (لا طاعة فى معصية الله انما الطاعة فى المعروف) . (٢)

وأولوا الامر (٣) هم الولاة المسلمون - قلبا وقالبا - والعلماء العاقلون وكل من ولى أمرا للمسلمين فيجب طاعته بالمعروف . ولا طاعة لمن لم يحكم بما أنزل الله ؛ " ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا " (النساء : ١٤١) . وفى حال اختلاف والتنازع فى شئ يجب أن يرد الامر الى الله ورسوله للحكم فيه ، ويقرر من لم يلتزم بذلك - كما بينا ذلك من قبل - قال تعالى :

= وسبب اهتمام النبی - صلى الله عليه وسلم - بشأن الامراء حتى قرن طاعتهم الى طاعته ؛ أن قرشا ومن يلهمهم من العرب ، كانوا لا يعرفون الا مارة ولا يدعون لغير رؤسائهم قباظهم ، فلما كان الاسلام وولى عليهم الامراء أنكرت ذلك نفوسهم وامتنع بعضهم من الطاعة . فأعلمهم (صلى الله عليه وسلم) أن طاعتهم مهوطة بطاعته ومعصيتهم بمعصيته . حثا لهم على طاعة أمرائهم لئلا تتفرق الكلمة !

(١) مسلم ١٤٦٩/٣

(٢) مسلم ١٤٦٩/٣

(٣) عن مجاهد : فى قوله تعالى : " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم " (النساء : ٥٩) قال : أولى الفقه والعلم ، انظر : ابن تيمية الامر بالمعروف ص ٦٨ وأبو غيثمة النسائي : كتاب العلم ص ١٢٤ ، والتسهيل / ٢٦٢ والصابوني : مختصر تفسير ابن كثير ٤٠٨/١ والفلاي : ايقاظ هم أولى الامر ص ٢٦

" فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم

الاخر ذلك خير وأحسن تأويلا " (النساء : ٥٩) .

فالطاعة لله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ولأولى الامر المؤمنين وحين

الاختلاف يرد الامر لله ورسوله فحسب .

فالسمة بالطاعة حق الحاكم على المحكوم : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

" السمع والطاعة حق على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فاذا أمر

بمعصية فلا سمع عليه ولا طاعة " (١) .

وقال أيضا :

" من رأى من أميره شئنا فكرهه فليصبر . فانه ليس أحد يفارق الجماعة شئسيرا

فيموت الا مات ميتة جاهلية " (٢) .

وقال أيضا :

" من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له " (٣) .

ويقول أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) بعد انتخابه خليفة للمسلمين :

" أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم " (٤)

وبعث عمرو بن العاص - رضى الله عنه - الى المقوقص - حاكم مصر - عشرة من

المسلمين لمفاوضته وكان على رأسهم عادية بن الصامت - رضى الله عنه - .

(١) الطرسوسى : سند ابن عمر ص ٣٣

(٢) البخارى : ١٠٥ / ٨

(٣) الطرسوسى : سند بان عمر ص ٣٧

(٤) ابن سلام : الاموال ص ١٢

واليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ١٢٧ / ٢

والسيوطى : تاريخ الخلافة ص ٦٩

والسرزوى : سند أبى بكر ص ١٦٢

وكان عبادة أسود اللون ، فلما ركبوا السفن الى المقوقرود خلوا عليه ، تقدم عبادة
فهاية المقوقر لسواده ، فقال : نحوا عنى هذا الاسود ، وقد موا غيره بكلمنى .
فقالوا جميعا : ان هذا الاسود أفضلنا رأيا وطما ، وهو سيدنا وغيرنا والمقدم
علينا ، وانما نرجع جميعا الى قوله ورأيه ، وقد أمره الامير وبتنا بما أمره به ، وأمرنا
بالا نخالف رأيه وقوله . قال : وكيف رضيتم أن يكون هذا الاسود أفضلكم ، وانما
ينبغى أن يكون هو ونكم ؟

قالوا : كلا ! انه وان كان أسود كما ترى ، فانه أفضلنا موضعا وأفضلنا سابقة
وعقلا ورأيا ، وليس ينكر السواد فينسا . . (١)

ويقول سلمة بن الأكوع - رضى الله عنه - :

" فزوت مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سبع فزوات ، ومزيد بن حارشة *
تسبع فزوات . وكان يؤمره علينا " . (٢)

وحول مفهوم الطاعة يحد ثنا (المرحوم : سيد قطب) قائلا :

(للجمع فى الآية : " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى

الامر منكم " (النساء : ٥٩) بين الله والرسول وأولى الامر معناه ، فى بيان

طبيعة هذه الطاعة وحدودها ، فالطاعة لولى الامر مستمدة من طاعة الله والرسول

- صلى الله عليه وسلم - ، لان ولى الامر فى الاسلام لا يطاع لذاته ، وانما يطاع

لانعانه هو لسلطان الله واعترافه له بالحاكمة ، ثم لقيامه على شريعة الله ورسوله .

ومن اعترافه بحاكمة الله وحده ، ثم تنفيذ هذه الشريعة يستمد حق الطاعة .

فاذا انحرف عن هذه أو تلك سقطت طاعته ، ولم يجب لامره النفاذ .

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص ٦٥

* ومعلوم أن زيدا - رضى الله عنه - كان من الموالى ولم يكن من الاشراف والسادة !

(٢) البيهقى : السنن الكبرى ٤١ / ٩

ويجب أن نفرق بين قيام الحاكم بتنفيذ الشريعة الدينية ، وبين استمداده السلطان من صفة دينية لشخصه ، فليست للحاكم سلطة دينية يتلقاها مباشرة من السماء ، إنما هو يصبح حاكما باختيار المسلمين الكامل وحريرتهم المطلقة لا يقيدهم عهد من حاكم قبله ، ولا وراثة كذلك في أسرة . ثم يستمد سلطته بعهد ذلك من قيامه بتنفيذ شريعة الله دون أن يدعي لنفسه حق التشريع ابتداءً . بسلطان ذاتي له . فإذا لم يرضه المسلمون لم تقم له ولاية ، وإذا رضوه ثم ترك شريعة الله لم تكن له طاعة .

وليس هناك من يراد أن يفهم أحد أن الحكم في الإسلام يحتاج إلى أكثر من تنفيذ الشريعة الإسلامية ، بعد أفراد الله تعالى بحق الحاكمية . وكل حكم يقوم على قاعدة أن الحاكمية لله تعالى وحده ، ثم تنفذ فيه الشريعة الإسلامية هو حكم إسلامي . وكل حكم لا يقوم على أساس أفراد الله سبحانه بالحاكمة ، ولا تنفذ فيه هذه الشريعة لا يحترف به الإسلام ، ولو قامت عليه هيئة دينية ، أو حصل عنوانا إسلاميا !

والطاعة من المحكومين منوطة وموقوفة فقط . باعتراف الحاكم بأن الحكم لله وحده . ثم تنفيذه لشريعة الله ، بلا شرط آخر غير المدل في الحكم بالطاعة الله . (١)

ويقول الأستاذ محمد أسد : (٢)

(٣) تكسب بالدولة الإسلامية صفتها (الشرعية) - أي بأن يكون لها على الناس حق

الطاعة والولاة - على أساس هذا النص القرآني القاطع :

(١) سيد قطب : المدد القلا اجتماعي في الإسلام من ص ١٠٢ - ١٠٤

(٢) محمد أسد : منهاج الإسلام في الحكم من ص ٧٤ - ٧٦ بتصريف .

(٣) مكتوب في الأصل (القانونية) ولا نحبذ استخدام كلمة القانون لأنها كلمة تستعمل في التشريعات الوضعية الأرضية ، والأفضل أن تستبدل بها كلمة

" أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأطيعوا الأمر منكم " (النساء : ٥٩)

وفي هذا الأسلوب المختصر يضع القرآن الكريم مبادئ عامة وهامة تتصل بطبيعة

الدولة الإسلامية .

أ - ان أهم واجبات الدولة انفاذ الأحكام الشرعية في الاقطار والمناطق

الخاضعة لها . ومثل هذا الالتزام شددت عليه الآية :

" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " (المائدة : ٤٤) .

وعلى هذا فالدولة لا تعتبر إسلامية الا اذا احتوى دستورها الاساسى مادة

تنص صراحة على أن أحكام الشريعة يجب أن تشكل القاعدة التي لا يجوز أن تشذ

عنها كافة الاجراءات التي تصدر عن الدولة .

ب - لا شك في أن ضرورة الحصول على رضى الشعب تفترض سلفا أن تأتي الحكومة

الى الوجود على أساس الاختيار الحر من قبله وأن تنظم تمثيلا صحيحا . وهذه

دلالة أخرى تشير اليها العبارة القرآنية بلفظ (منكم) ، انما تشير الى الأمة

ككل . فلكي تتحقق أهداف الشريعة لا بد أن تكون رئاسة الدولة عن طريق

الانتخاب .

قالوا في الشورى :

قال الامام على - رضى الله عنه - : (الاستشارة عين الهداية ، وقد خاطر
من استغنى برأيه ، والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم) .
وقال الحسن البصرى - رحمه الله - : (ان الله لم يأمر نبيه - صلى الله عليه وسلم -
بمشاورة أصحابه حاجة منه الى رأيهم ، ولكن أراد الله ان يعرفهم ما في المشورة
من البركة) .

وقال قتادة - رحمه الله - : ما شاور قوم قط ينتفون وجه الله الا هدا الى رشدهم .
وما ندم من است خار الخالق وشاور المخلوقين وثبت في أمره) .
وقال ابن الجوزى - رحمه الله - في قوله تعالى : " وشاورهم في الامر " استخرج
آراءهم واعلموا عندهم " .

وقال بعض الحكماء : (ما استنيط الصواب بحثل المشاورة) .
وقال آخر : (لكن ذا الرأي الحازم لا يدع ان يشاور من هو دونه أو فوقه في المنزلة)
وقال الشاعر :

ان اللبيب اذا تفرق أمره فتق الامور مناظر أو مشاورا
وأخو الجهالة يستبد برأيه فتراه يمتسفا لامور مخاطبيرا

ومن فوائد الشورى :

أن المشاور اذا لم ينجح أمره ، علم أن امتناع النجاح حمض قدر ، فلم يلسم
نفسه . وأنه قد يمز على أمر يتبين له الصواب في قول غيره ، فيعلم مجز
نفسه عن الاحاطة بفنون المصالح .

وفي الشورى كذلك تخلص الحق من احتمالات الآراء ، واستطلاع أفكار الرجال
ومعرفة مقاديرها . وفيها أيضا تصح القرائح وتستخرج الاحكام وتطيب القلوب ،
ويلجأ الى الله تعالى في الوقوع على الصواب ، وكفى بذلك التماسا للحق وتجايبا
عن الزلل .

وتؤدي الشورى الى رفع مستوى الجماعة ، وطمعهم على التفكير فى السائل العامة ، والاهتمام بها ، والاشتراك فى الحكم بطريق غير مباشر . *

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اذا اراد أن يضى عزمًا أو يحرر أمرًا - لم ينزل فيه نص - استشار أصحابه ذوى العقول الراجعة والآراء السديدة ، - مع أن المولى عز وجل تكفل بالرشاد - صلى الله عليه وسلم - الى الصواب والهدى . ومع أن نتيجة مشاورته - صلى الله عليه وسلم - للصحابه - رضى الله عنهم - ففى غزوة أحد كانت هزيمة عسكرية للمسلمين - حيث نزل (صلى الله عليه وسلم) على رأى الأغلبية فى الخروج من المدينة لحرب قريش - الا أن الله تعالى أكسد على الشورى - ولو كانت نتيجتها فى غير صالح المسلمين - تعلية للأجيال اللاحقة بأن الشورى خير من الانفراد بالرأى . نستفيد هذا من قوله تعالى : " فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمست فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين " (آل عمران : ١٥٩) . وقد جاءت هذه الامة الكريمة بعد الحديث المستفيض من معركة أحد - نتائجها والمبرر الاستفادة منها - وقد اختلف العلماء فى حكمة أمر اللتمالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - بالاستشارة مع أنه أيدى ووفقه . فقيل : أمره بمشاورتهم استمالة لقلوبهم وتطيينا لنفوسهم وتألفا لهم لما فيهم من الفضل والصلاح . وقيل : انه أمر بمشاورتهم فى الحرب ليستقر له الرأى الصحيح فيعمل به . وقيل : انه أمر بمشاورتهم لما فى المشاورة من النفع والمصلحة . وقيل : انه أمر بمشاورتهم لمقتدى به المسلمون .

وصا يد على أهمية الشورى فى الاسلام أن الله عز وجل سمى احدى السور القرآنية الكريمة بهذا الاسم ، اعلانا للعالمين بأن الشورى جزء لا يتجزأ من السياسة الشرعية . *

* انظر المراجع السابقة

وإذا كان الله تعالى قد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم - بمشاورة أصحابه -
 - رضى الله عنهم - وأخذ رأيهم فيما يعرض لهم من قضايا وما يستجد من أحداث
 ليأخذوا بما اتفقوا عليه من أجل المصلحة العامة ، مع كونه - صلى الله عليه وسلم -
 مؤيداً بالوحي لا يجارى فى بعد النظر وحسن التدبير وسعة الافق ورجاحة
 العقل ووضع الامور فى نصابها . . فما بالك بمن لا يوحى اليه وغير معصوم ولا يصل
 الى فهمه وعلمه ؟

ولا مشاورة - طبعاً - فيما نزل فيه الوحي من كتاباً وسنة ، انما الشورى فى
 الامور الاجتهادية فحسب :

" وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من
 أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً " (الاحزاب : ٣٦) .
 ولا يجوز أن تؤدى الشورى بأى حال الى مخالفة حكم شرعى ، وهذا من المعلوم
 من الدين بالضرورة . ولا مكان فى الاسلام للاستبداد بالرأى والتعسف فى
 الاحكام - حتى بين افراد الاسرة الواحدة - فكل انسان يؤخذ من قوله ويترك
 الا المعصوم (صلى الله عليه وسلم ورضى وأئمة) .
 ومن مرونة الاسلام ومميزاته :

أنه لم يحدد طريقة معينة للشورى لا يجوز مخالفتها أو الخروج عنها . فلم
 يرد فى الكتاب الكريم والسنة المطهرة ما يبين كيفية الشورى أو طريقة الالتزام بها .
 وهذا ما يدل على صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ومجال ، ويدل كذلك على رفع
 الحرج عن هذه الامة :

" يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " (البقرة : ١٨٥) .

" هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج مطلقاً بكم ابراهيم " (الحج : ٧٨)

يقول شيخنا أبو فارس حفظه الله :

((والشورى في الاسلام ليست من الامور التنفلية ، التي تترك لرغبة الحاكم ، فان شا * استشار وان شا * ترك ، بل الشورى واجبة على كل حاكم أو مسؤول أو أمير .

" ثم ان امتناع الحاكم أو الأمير عن أن يستشير غيره من أهل الشورى ، والتشبث برأيه يعد استبداداً ، والاستبداد ممنوع في الاسلام ، لم يرتضه الله سبحانه وتعالى فقال : " لست عليهم بمسيطر " (الغاشية : ٢٢) وهو في الحقيقة - تجبر وعتو نفاه الله عن رسوله - صلى الله عليه وسلم - فقال " وما أنت عليهم جبار " (ق : ٤٥) .

" وتأكيذا لهذا الحكم المقرر في الاسلام كان هديده - صلى الله عليه وسلم - في حياته كثرة الشورى ، بل كان أكثر الناس استشارة لأصحابه ، وأحياناً كان يستشير نفسه قضاياها الخاصة وشؤون أهل بيته .

" وقد جعل الاسلام عهدان للشورى فسيحاً ، فالناس يتشاورون في كل أمورهم وأحوالهم ما لم يصطدم ذلك مخبرين كتاباً وسنة أو مسألة مجمع عليها . *

" فالشورى اجتهاد - بما هو معلوم - ولا اجتهاد في موضع النص ، وهكذا فهمهم الصحابة - رضي الله عنهم - مجالات الشورى ، فكانوا يعرضون آراءهم على النبي - صلى الله عليه وسلم - يسألونه هل الامر موحى به من عند الله أو هو اجتهاد منه - صلى الله عليه وسلم - ، فان كانت الثانية قُبلوا رأيهم والا فلا .

" ان المهم في نظر الاسلام أن تلوم حقيقة الشورى في المجتمع المسلم ، وأن تتحقق في واقع الحياة دون أن يحدد وسيلة ذلك)) .

(١) محمد أبو فارس : النظام السياسي في الاسلام من ص ٨٩ - ١٠٩ باختصار .

* انظر محمد المبارك : الحكم والدولة ص ٣٤

xx والاستبداد يؤدي الى الظلم والظلم ظلمات يوم القيامة ، حرمة الله على نفسه وجعله بين الناس محرماً .

وحول مفهوم الشورى فى الاسلام يحد ثنا العالم الربانى سيد قطب قائلا :

(الشورى أصل من أصول الحياة فى الاسلام ، وهى أوسع مدى من دائرة الحكم لأنها قاعدتها قاعداً قاعداً . أما طريق الشورى فلم يحدد لها نظاماً خاصاً وتطبيقها متروك للظروف ، ^(١) وللصورة الملائمة لكل بيئة وزمان . والنظام الاسلامى كلها ليست اشكالا جامدة وليست خصوصاً حرفية ، إنما هى قبل كل شئ روح ينشأ عن است قرار حقيقة الايمان فى القلب ، وتكيف الشعور والسلوك بهذه الحقيقة . ^(٢) وهذا النص الجازم " وشاورهم فى الامر " (آل عمران : ١٥٩) يقرر الاسلام هذا المبدأ فى نظام الحكم - حتى ومحمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو الذى يتولاه . وهو نص قاطع لا يدع للامة المسلمة شكاً فى أن الشورى مبدأ أساسى لا يقوم نظام الاسلام على أساسه . .

لقد جاء هذا النص عقب وقوع نتائج للشورى تبدو فى ظاهرها خطيرة مبررة ! فقد كان من جرائمها - ظاهرياً - وقوع خلل فى وحدان الصف المسلم ! اختلفت الآراء فرأت مجموعة أن يبقى المسلمون فى المدينة محتمين بها حتى اذا هاجمهم العدو قاتلوه على أنفواهم لا رقة . وتحصت مجموعة أخرى فرأت الخروج للقاء المشركين . ولم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجهل النتائج الخطيرة التى تنتظر الصف المسلم من جرائم الخروج . . وكان من حقه أن يلغى ما استقر عليه الامر نتيجة للشورى . . ولكنه أمضاها وهو يدرك ما وراءها من الالام والخسائر والتضحيات ، لان اقرار المبدأ وتعليم الجماعة وتربية الامة ، أكبر من الخسائر الوقتية (٣) .

(١) سيد قطب : المد القلا اجتماعية ص ١٠٤

(٢) (٣) الظلال ٣١٦٥/٥ ، و ٥٠١/١ باختصار .

تطبيقات عملية في الشورى :

- (أ) لما سار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الى بدر خرج فاستشار الناس فأشار عليه أبو بكر ثم استشارهم فأشار عليه عمر ، فسكت .
فقال رجل من الانصار : انما يريدكم . . . (١)
- (ب) وقبل معركة بدر : أشار الحباب بن المنذر - رضى الله عنه - على النسيب (صلى الله عليه وسلم) أن يفر المياء كلها غير ماء واحد (٢)
- (ج) وبعد انتصار المسلمين في بدر : استشار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أبا بكر وعمر وعلياً - رضى الله عنهم - في الاسرى (٣)
- (د) وشاور عمر - رضى الله عنه - أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في سواد الكوفة . (٤)
- (هـ) وصبر عمر - رضى الله عنه - الامر شورى بين سنة نفر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . (٥)

(١) انظر : البرهان فوري : كترال العمال ١٠ / ٤٢٣

والمعاصي : سمط النجوم العوالي ١١ / ٢

والبستي : الثقات ١ / ١٥٧ و ١٥٨

والسفاريني : شرح الثلاثيات ١ / ٦٧٩

وابن الاثير : الكامل ٢ / ٨٤

(٢) أبوداود : المراسيل ص ٣٤

والذهبي : التاريخ الكبير ١ / ٩٣ ، وابن الاثير : الكامل ٢ / ٨٥

(٣) الهيثمي : مجمع الزوائد ٦ / ٨٧

العدل :

العدل ركيزة أساسية في الحياة الإسلامية ، وهو شامل لجميع العلاقات الانسانية ، غير مختصر على العلاقة بين الراعى والرعية . والناس في نظر الاسلام سواسية كأسناد المشط ، لا فرق بين ذكر وأنثى أو صغير وكبير أو غنى وفقير أو حر وعبد أو حاكم ومحكوم أو قوى وضعيف أو وضيع . ولا فرق كذلك بين جنس وجنس أو لون ولون أو طبقة وطبقة أو قبيلة وقبيلة أو شعب وشعب . . . الا بالتقوى :

" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنا أكرمكم عند الله أتقاكم إنا الله عليم خبير " (الحجرات : ١٣) .

والسلمون متساوون في الحقوق وفي الواجبات وفي تنفيذ الأمور واجتناب المنهيات ، فكل مسلم - حاكم أو محكوم غنى أو فقير . . . مطالب بطاعة المولى جل وعلا . ومن هنا لا يوجد رجال دين في الاسلام - كما هو الحال عند أهل الكتاب - لان الجميع مطالبون بتحكيم شريعة الله والا ستسلام التام لا مر الله والرضا وشرح الصدر لما جاء به الدين . .

والعدل بمفهومه الشامل - وهو الحكم بالاسلام - هو الغاية الكبرى من ارسال الرسل وانزال الكتب :

" لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط " (الحديد : ٢٥)

والعدل يكون بالقول :

" وإذا قلتم فاعدلوا " (الانعام : ١٥٢)

ويكون بالقضاء بين الناس : " وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل "

(النساء : ٥٨)

((والعدل بايجاز هو أن ينال كل امرئ ثمرة عطيه وأن يتحمل تبعه خطئه)) (١)

(١) أحمد ابراهيم : قيم المجتمع هل هي ثابتة ؟ (ضمن بحوث الندوة ١ / ٣٦٨)

لقد أوجب الاسلام الحكم بالعدل ونهى عن الظلم - بجميع أنواعه - واعتسبر
(الظلم ظلمات يوم القيامة) . (١)

وعدم الحكم بالعدل - الظلم - يؤدي للضلال عن سبيل الله في الدنيا والمذاب
الآليم يوم القيامة :

ها هو المولى عز وجل يأمر نبيه داود - صلى نبينا وعليه الصلاة والسلام - بالعدل
والحق والمساواة ، ويحذره من مغبة الظلم - فالظلم يرتعه وخيم (٢) - ومن اتبع الهوى
والهوى والجور في الاحكام :

" يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم
الحساب " (ص : ٢٦) .

واذا كان هذا التحذير موجها لآحد الانبياء - عليهم الصلاة والسلام - فما
بالك ببقية الاحكام غير المعصومين ؟ !

والعدل - في الاسلام - ليس تطوعا ولا نافلة ، بل هو فريضة شرعية وضرورة
بشرية ، وقد أمر الله تعالى به نبيه محمدا - صلى الله عليه وسلم - وهو من لا يشك
أحد في أنه - صلى الله عليه وسلم - أعدل المادلين بعد رب العالمين :

" وأمرت لأعدل بينكم " (الشورى : ١٥)

وقد أنزل الله تعالى بضع آيات في تبرئة ساحة يهودى اتهم بسرقة درع (٣) ،
وأمر نبيه - صلى الله عليه وسلم - بالاستغفار لما هم به من الدفاع عن السارق ، ونهاه
عن الدفاع عن خائنا أنصفهم بالمعاص والاثام !

(١) البخارى ٩٩/٣

(٢) ابن سلام : الاثال ص ٢٥٩

(٣) سرق طعمة بن أبيرق درعا من قتادة بن النعمان في جراب دقيق ، فجعل
الدقيق ينتشر من خرق فيه فخبأها عند زيد بن العسين اليهودى . = =

قال تعالى : " انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما . واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيمًا . ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما . . " (النساء : ١٠٥ - ١٠٧)
وجاء الاسلام ببدا عظيم ، مغاير لما كان عليه الناس في الجاهلية من حمية وعصبية وظلم (١) ، هذا المبدأ : هو الاخذ على يد الظالم وكفه عن ظلمه سواء كان أخا عزيزا أو صديقا حميما :

عن أنس رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
(انصر أخاك ظالما أو مظلوما) قالوا : يا رسول الله ! هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال : (تأخذ فوق يديه) . (٢)

وها هو ذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول في حجة الوداع :
" وان أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان سترضا في بني سعد فقتلته هذيل . وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله " . (٣)

= فالتست الدر عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وماله بها علم فتركوه
واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا الى منزل اليهودى فأخذوها فقال :
دفعها الى طعمة . وشهد له ناس من اليهود . فقالت بنو ظفر - قوم طعمة - :
انطلقوا بنا الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودى . فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن يفعل فنزلت الآية : " انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله . . " وهرب طعمة الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله !

انظر : الغرناغى : التسهيل (١ / ٢٨٠ ، والصابوني : مختصر تفسير ابن كثير ٤٣٣ / ١ .

(١) قال الشاعر يهجو قبيلة آخر :
قبيلته لا يقدرون بدسة ولا يظلمون الناس حبة خردل !
وقال زهير بن أبي سلمى :

ومن لا يذلق عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم !

(٢) البخارى ٤٨ / ٣

(٣) مسلم ٨٨٩ / ٢

ويتوقف قرب الحاكم من الله تعالى يوم القيامة أو بعده عنه على عدله أو جورته
فى أحكامه بين الناس :

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (ان أحب الناس الى الله يوم القيامة
وأدناهم منه مجلسا امام عادل . وأبغض الناس الى الله يوم القيامة وأبعدهم منه
مجلسا امام جائر) . (١)

وقال أيضا : (ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل
وكلنا يديه يمين ، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا) . (٢)

ومن العدل أن يقوم الحاكم بواجباته الطقاة على عاتقه خير قيام ، والا يقتصر
فى شئ منها . وأن يتفقد أحوال رعيتة ، الفقير قبل الغنى والضعيف قبل القوى :
يقول الصديق رضى الله عنه :

(ان أقواكم عندى ضعيف حتى آخذ منه الحق ، وان أضعفكم عندى قوى حتى
آخذ له بحقه) (٣)

ويقول الفاروق رضى الله عنه :

(والله ما فىكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا أضعف
عندى من القوى حتى آخذ الحق منه) (٤)

(١) الترمذى ٦٠٨ / ٤

(٢) مسلم ١٤٥٨ / ٣

(٣) ابن الجوزى : الشفاء ص ٨٠

وتهديب سيرة ابن هشام ص ٣٦٥

ومختصر السيرة ص ٤٠٧

(٤) ابن كثير : المختصر ١ / ١٥٩

وكتب عمر لابي موسى الاشعري : (ان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم
ان اأدلى اليك بحجة ، فانه لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له بين الناس . = =

(والعدل فى الاسلام : هو العدل المطلق الذى لا يميل ميزانه الحسب والبغض ، ولا تغير قواعده المودة والشفقة . العدل الذى لا يتأثر بالتقاربة بين الافراد ، ولا بالتباغض بين الاقوام ، فيشتمع به أفراد الامة الاسلامية جميعا ، لا يفرق بينهم حسب ولا نسب ، ولا مال ولا جاه ، كما تتمتع به الاقوام الاخرى ، ولو كان بينها وبين المسلمين شتآن ، وتلك قمة فى العدل لا يبلغها أى قانون دولى الى هذه اللحظة ، ولا أى قانون داخلى . بل لا يقاربها كذلك !
والذين يمارون فى هذا عليهم أن يراجعوا عدالة الاقوياء والضعفاء بين الامم ، وعدالة المتحاربين بعضهم بالقياس الى بعض ، ثم عليهم أن يراجعوا عدالة البيض للحممر والسود فى الولايات المتحدة ، وعدالة البيض للملونين فى جنوب افريقية ، وعدالة الشيوعيين والوثنيين والصليبيين للمسلمين فى روسيا والصين ويوغوسلافيا والهند والميشة . وفى الاشارة مايفنى . فهى أحوال معاصرة يعلمها كل انسان . (١)

والمهم فى عدالة الاسلام أنها لم تكن مجرد نظريات ، بل أخذت طريقها الى واقع الحياة ، فحفظ ((الواقع التاريخى)) منها أمثلة متواترة (٢) .

= آس بين الناس فى وجهك ومجلسك وعدلك ، حتى لا ييأس الضعيف من عدلك ولا يطمع الشريف فى حيفك (.

انظر الشيرازى : لبيقات الفقهاء ص ٣٩ والطبرى : الرىاض النضرة ١٦٤/٢ (١) لله در القائل :

أين اتجهت الى الاسلام فى بلد تجده كالطير مقصوفا جناحاه !!

(٢) سيد قطب : العدالة الاجتماعية ص ١٠١ و ١٠٢

(وقد أعلی الاسلام أهل الذمة حقوقهم كالمسلمين ، قدم الذمى
كدم المسلم ، والقانون الدائى والقانون المدنى : يطبقان على المسلم والذمى
مما (١)

ومن المدل : أن يحاسب الحاكم نفسه وأهل بيته قبل أن يحاسب أفراد رعيته ،
لان الناس ينظرون اليه وألهم نظر الطير الى الحب ؛

عن عائشة - رضى الله عنها - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :
(وأيم الله ! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) (٢)

(دخل عثمان بن عفان - رضى الله عنه - فوجد غلاما له يحلف ناقته ، فرأى نفسى
علفها شيئا ، فأخذ بأذنيه فمزكها . ثم ندم فقال لغلامه : قم فاقتصمنى . فأبى
الغلام ، فلم يزل به حتى قام فأخذ بأذنه قال : أعرك ! حتى عرف عثمان أنه قد
بلغ منه . ثم قال : وأها لقصاص الدنيا من قصاص الاخرة) (٣)

وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال :

اشتريت ابلا وارجمتها الى الحمى . فلما سمعت قد ماتت بها ، فدخل عمر الشوق
فرأى ابلا سمنا فقال : لمن هذه ؟ فقيل : لمجد الله بن عمر ، فجعل يقرسول :
يا عبد الله بنخ ابن أمير المؤمنين ! قال : فجئته أسعى فقلت : مالك يا أمير

المؤمنين ؟ قال : يا هذه الابل ؟ فقلت : ابلا أنضاء اشتريتها وبعثت بها الحمى
ابتغى ما يبتغى المسلمون . فقال : ارعوا ابل ابن أمير المؤمنين . . اسقوا ابل
ابن أمير المؤمنين . . يا عبد الله بن عمر ! اغد على رأس مالك واجمل باقيه فسى

(١) انظر المودودى : حقوق أهل الذمة فى الدولة الاسلامية من ع ١٣ - ٢٠

(٢) انظر : عبدالرزاق : المصنف ٢٠١ / ١٠

والدارى : سنن الدارمى ١٧٣ / ٢

والنحاوى : شرح معانى الآثار ١٧٠ / ٣

(٣) ابن الازرق : بدائع المملك ٦٦٠ / ٢

بيت مال المسلمين) ! (١)

ومن العدل : أن يثبت الحاكم للمحكومين - ولو كانوا من غير المسلمين - أن

المجال مفتوح أمامهم لرفع ظلماتهم وأخذ حقوقهم غير متعتمين :

(لما ولي معاوية رضى الله عنه - أراد أن يزيد كنيسة يوحنا فى المسجد - الاموى

- بد مشق ، فأبى النصارى ذلك . فأسك . ثم طلبها عبد الملك بن مروان فى أيامه

للزيادة فى المسجد وبذل لهم مالا . فأبوا أن يسلموها اليه . ثم ان الوليد بن

عبد الملك جسمهم فى أيامه وبذل لهم مالا عظيما على أن يعطوه إياها . فأبوا .

فقال : لئن لم تفعلوا لأهد منها ! فقال بعضهم : يا أمير المؤمنين ! ان من هدم

كنيسة جن وأصابته عاهة ! فأمر بهدمها وأدخلها فى المسجد . فلما استخلف

عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - شكى النصارى اليه ما فعل الوليد بهم فى كنيستهم .

فكتب عمر الى عامله يأمره ببرد ما زاده فى المسجد على بهم . فكره أهل دمشق ذلك

وقالوا : نهدم مسجدنا بعد أن أذنا فيه وصلينا ويرد ببينة ؟! وفيهم يومئذ :

سليمان بن حبيب المذارى وغيره من الفقهاء . وأقبلوا على النصارى فسألوهم أن

يعطوا لهم جميع كنائس الخوطة التى أخذت عنوة وصارت فى أيدي المسلمين ، على

أن يصفعوا عن كنيسة يوحنا ويسكوا عن المطالبة بها . فرضوا بذلك وأعجبهم ! فكتب

به الى عمر - رضى الله عنه - فسره وأنضاه) !! (٢)

(١) الطبرى : الرياض النضرة ١٣٧/٢

بنخ : معناه تعظيم الامر وتفضيحه .

وأنضاه : جمع نضو وهو البعير المهزول ، والناقاة نضوة ، وقد أنضتها الاسفار

فهى منضاة .

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧١

عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - نموذج للحاكم المسلم

ان الدولة فى الاسلام لاتعتبر اسلامية بحق الا اذا حكمت بما أنزل الله (١) .
وقد استطاعت الامة الاسلامية - بحكامها وحكومتها - حين تمسكت بالكتاب والسنة
وعضت عليهما بالنواجز ، أن تكون رائدة الامم فى شتى نواحي الحياة ، وبقيت كما
وصفها خالقها :

" غير أمة أخرجت للناس " (آل عمران : ١١٠) .

وارتفعت رايات التوحيد - لا اله الا الله - خفاقة فى أرجاء كثيرة من المعمورة ،
وأصبح البحر الابيض المتوسط - لأول مرة فى التاريخ - بحيرة اسلامية ! (٢)
وفى الاسلام ليس لفرد أو أسرة أو طبقة أو حزب نصيب من الحاكمية ، فالحاكم الحقيقى
هو الله سبحانه وتعالى - والسلطة مختصة بذاته تعالى وحده .

(١) وقد نعى الله تعالى على اليهود أخذهم لهمفرا أنزل الله وتركهم الباقي ،
وهددهم بالخزى فى الدنيا والعذاب الشديد فى الآخرة : " أفؤمنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي فى الحياة
الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون "
(البقرة : ٨٥)

(٢) لله در الرفاعى - رحمه الله - حيث يقول :

ملكننا هذه الدنيا قرونا	وأخضعنا جدود خالد ونا
وسطرنا صحائف من ضياء	فما نسى الزمان ولا نسينا
حطناها سيوفاً لامعات	غداة الروع تأبى أن تلينا
إذا خرجت من الأعداء يوماً	رأيت الهول والفتح المبينا
وكنا حين يرمينا أناس	نؤد بهم أباء قادرينا
وكنا حين يأخذنا ولسى	بطغيان ندوس له الجبيننا
تفيس قلوبنا بالهدى بأسا	فما نقضى عن الظلم الجفونا

انذار لحن الكفاح ص ٣٣

وليس لاحد من دون الله شئ من أمر التشريع . والمسلمون جميعا لا يستطيعون أن يشزعوا من عند أنفسهم أو أن يغيروا شيئا مما شرع الله لهم . والدولة الاسلامية لا يؤسس بنائها الا على ما جاء به رسول الله . صلى الله عليه وسلم . من عند ربه عز وجل ، مهما تغيرت الظروف والاحوال ، والرياسة الذين يهدهم زمام هذه الدولة لا يستحقون طاعة الناس الا من حيث أنهم يكمون بالكتاب والسنة ^(١) .

والحاكم في الاسلام يوقن ان الامارة تكليف لا تشريف ، وأنه لا فرق بين الراعى والرعية الا أنه أكثرهم مسؤولية وتبعات والتزامات تجاه الله تعالى ثم تجاه الناس .

والحاكم المسلم يقوم بما نيط به من تكاليف - تجاه ربه تعالى وتجاه الناس - خير قيام ، ويجتهد في القيام بشئون رعيته واسعادهم وتفقد أحوالهم ، وحل ما يواجههم من مشاكل وعقبات ، وفض النزاعات بينهم .

والحاكم المسلم يقوم بالدعوة الى الله ونشر الاسلام وحماية الدعوة والدعاة والجهاد في سبيل الله .

والحاكم المسلم يعطى رعيته الحرية في قول كلمة الحق ، ولا يسمح لنفسه - ولا لغيره - بحساس هذه الحرية ، أو تعدى حرمة الله أو الاعتداء على حرية الآخرين .

والحاكم المسلم يتخذ له بطاقة صالحة ، تذكره اذا نسى ، وتعينه اذا ذكر ، تحثه على الخير وتدله عليه وتنهيه عن الشر وتحذره منه .

والحاكم المسلم يقسم بالسوية ويمدل في الرعية - ولو كان في الرعية من غير المسلمين - ويخشى مع ذلك رب البرية .

والحاكم المسلم ذليل على المؤمنين عزيز على الكافرين ، رفيق بالرعية لا يرهقها ولا يكلفها مالا تطيق .

والحاكم المسلم لا يغفل عن وظيفته ، ولا يفش رعيته :

(١) انظر المودودي : نظرية الاسلام السياسية ص ٣٣

يقول رسول الهدى (صلى الله عليه وسلم) :

" ما من عبد يستريحه الله رعية يموت وهو غاش لرعيته الا حرم الله عليه

الجنة " (١)

والحاكم المسلم يعرف أنه مسؤول أمام الله عن ثقفيته - تجاه دينه أو تجاه نفسه أو

تجاه رعيته - ومسؤول أمام الناس أيضا ، فهو راع ومسؤول عن رعيته :

"كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالأمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن

رعيته " (٢)

وكل ما يلزم من شروط وصفات للحاكم المسلم تتوفر في الخلفاء الراشدين - ومعهم

عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنهم .

وسنأخذ سيرة واحد من هؤلاء ، لتكون قدوة لمن شاء من الحكام - في أى مكان

وأوان - أن يستقيم . انها سيرة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، أحد تلامذة

خير المرين وقدوة المالمين ومن شهد له أحكم الحاكمين بأنه على خلق عظيم

- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه وسار على نهجه الى يوم الدين - .

لله در عمر ! فقد أعزه الله بالاسلام وأعز الاسلام به ! وأضحت سيرته درة متلانة

على جبين التاريخ ! والحديث عنه - رضى الله عنه - بحر لا ساحل له ولا نهاية

لقراره ، فلذا سنختار أخلة من حياته المماثلة بالمجائب ، والتي هى حقائق واقعة

وبراهين ساطعة ، على عظمة الاسلام وعظمة نتاجه في الوجود .

كان عمر - رضى الله عنه - لا يختار من عماله وولاته الا من استقامت سيرته وصلحت

علانيته . وكان بعد ذلك يستمع الى سكاوى الناس فيه - ان وجدت - ولا يطمئن الى

اختياره فحسب ثم يدع الامور تجري كيفما اتفق ! بل كان لا يصدر أحكامه - بحق الوالى

أو بحق الرعية - بعد تحقيق واف في القضية .

(١) سلم ١٤٦٠ / ٣

(٢) البخارى : الادب المفرد ص ٦٢ ، والطبرانى : المعجم الصغير ١ / ١٦١

وهذه الحادثة تلهد مذهبنا اليه :

(كان من عمال عمر - رضى الله عنه - سعيد بن عامر - رضى الله عنه - فشكاه أهل حمص لعمر وسأله عزله ! فقال عمر : اللهم لا تقل فراستى فيه اليوم - وقال لهم : ماذا تشكون منه ؟ قالوا : لا يخرج إلينا حتى يرتفع النهار . ولا يجيب أحدا بليل . وله يوم فى الشهر لا يخرج إلينا ! فقال عمر : على به . فما جاء جمع بينه وبينهم وقال : ماتنقمون منه ؟ قالوا : لا يخرج إلينا حتى يرتفع النهار ! فقال عمر : ماتقول ياسعيد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! انه ليس لاهلى خادم ، فأعجن عجبى ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزى ثم أتوضأ وأخرج إليهم ، قال : وماذا تنقمون منه ؟ قالوا : لا يجيب بليل . قال : قد كنت أكره أن أذكر هذا . انى جعلت الليل كله لربى وجعلت النهار لهم . قال : وماذا تنقمون منه ؟ قالوا : له يوم فى الشهر لا يخرج إلينا فيسبه . قال : ليس لى خادم ، فأضلل ثوبى ثم أجفقه فأسى ! فقال عمر : الحمد لله السدى لم يغفل فراستى فيك . يا أهل حمص ! استوصوا بواليكم خيرا) . (١)

وقد طبق المسلمون جميعا - رعاة ورعية - مبدأ (من أين لك هذا) على الخليفة وعلى غيره من العمال والولاة !

وسنرى الان كيف طبق الخليفة هذا المبدأ على أحد ولاته - كما طبقه على نفسه - وكيف أنه لم يقتنع باجابة الصاحبى الجليل (أبى هريرة) :

(لما قدم أبو هريرة من البحرين قال له عمر : يا عدو الله ! وعد وكتابه ! أسرقت مال الله ؟ قال : لست بعدو الله ولا عدو كتابه ولكنى عدو من عاداهما ، ولم أسرق مال الله ! قال فمن أين اجتمعت لك عشرة الاف درهم ؟ فقال : خيلى تناسلت وعطائى تلاحق وسهامى تلاحقت . فقبضها منه عمرا قال أبو هريرة :

فلما صليت الصبح استغفرت لاير المؤمنين (!!!) (٢)

(١) السعوى : مروج الذهب ٢ / ٣١٤

(٢) أبو عبيد : الاموال ص ٣٤٢ (وانظر التعليق على هذه الحادثة فى كتاب

الخطيب : السياسة المالقة فى الاسلام ص ٩٢) والبلادى : فتوح البلدان

ولاندرى من أيهما نعجب ؟ أمن عمر الذى طبق هذا المبدأ على أحد كبار الصحابة من ولاته ، بعد أن رأى أن من المصلحة أن يضم أمواله لبيت المال - مع أنه موقن فى قرارة نفسه بصدق عاطفه - فى سبيل تحقيق هذا المبدأ ؟

أم نعجب من أبي هريرة - رضى الله عنه - الذى رضى بتطبيق هذا المبدأ عليه وتغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ؟

والله در هذا الصحابى الذى تربي على عقيدة (لا اله الا الله) وتخرج من مدرسة النبوة حيث قال : فلما صليت الصبح . . استغفرت لأمير المؤمنين !

وما نظن أن هذه الواقعة حدثت فى غير أمة التوحيد ! ظنود مما فى اجلال وخشوع :

(صلى الله على صاحب الرسالة وعلى آله وصحبه الغر الميامين وسلم تسليما كثيرا) .

كان عمر رضى الله عنه رجعا الى الحق غير متباد فى الباطل ، يعرف أن الرجوع

الى الحق فضيلة ، وكان يحاسب نفسه وينصف غيره - ولو من نفسه - :

أدب عمر - رضى الله عنه - رجلا يصلى بين النساء ! فقال الرجل : والله

لئن كنت أحسنت فقد ظلمتني ، وان كنت أسأت فما أعطتني ! فقال عمر : أما سمعت

نهي أن يطوف الرجال مع النساء ؟ فقال الرجل : والله ما سمعت . فلقى عمر

له الدرة وقال : اقتص ! فقال الرجل لا أقص اليوم ! فقال عمر : فاعف . فقال الرجل :

لا ! وانصرف . ثم لقيه عمر فى اليوم التالى فقال له : أما أن تقتص أو تمفو . قال :

(١)

قد عفوت !

أن العقيدة الاسلامية هى التى رمت الخلفاء الراشدين المهديين على السير على

الجادة والاخذ بالعزائم والابتعاد عن المظاهر البراقة الخادعة . والذى لم يعرف

عمر - رضى الله عنه - لا يستطيع أن يميزه عن غيره من الناس ، لا بمسكنه ولا بثيابه

ولا بطعامه ولا بحرس خاص يحيط به :

ها هو ذا عمر - أمير المؤمنين - يتخذ الخشن من الطعام ويلبس المرقع من الثياب
فيقال له : لو اتخذت طعاما ألين من هذا ! فيقول : أخشى أن تجعل طبيباتي
يقول الله تعالى :

" أذ هبتم طبيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها " (الاحقاف : ٢٠) (١)

وها هو ذا يسأل سلمان الفارسي : أملك أنا أم خليفة ؟ فيجيبه سلمان :
ان أنت جيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر ، ثم وضعته في غير حقه
فأنت ملك غير خليفة ! فاستعبر عمر (رضى الله عنه) ! (٢)

ما أروع جواب سلمان - رضى الله عنه - لعمر - رضى الله عنه - ! وما أصدقه !
فقد بين سلمان له الفرق بين الخليفة والملك ، بإيجاز وصراحة - دون مواربة أو
نفاق أو دجل - .

وما أروع استجابة عمر لهذه الموعظة الشنيعة الخارجة من الاعماق ! لقد اهتز لها
قلبه الشفيف . . فبكى قبل أن تدمع عيناه !!

أن للرعية - في الحكومة الاسلامية - أن تحاسب راعيها وأن تسأله عما بلغت النظر
أو ما يشير الدهشة والاستغراب :

(جاءت عمر بن الخطاب برود من اليمن . . ففرقها على المسلمين . . فكان
نصيب كل رجل بردا واحدا . . وكان نصيب عمر كنصيب واحد منهم . ففصله عمر
ثم لبسه وصد المنبر ، فأمر الناس بالجهاد . فقام اليه رجل وقال : لاسمنا
ولا طاعة ! فقال عمر : لم ذلك ؟ قال : لانك استأثرت علينا ! قال عمر :
بأى شئ استأثرت ؟ قال : ان الابرار اليمنية لما فرقها حصل لكل واحد من
المسلمين برد منها وكذلك حصل لك ، والبرد الواحد لا يكفيك ثوبا ونراك قد فصلته

(١) الشاذلي : الموافقات ١٢٨/٣

(٢) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ١٤٠

قميصا تاما وأنت رجل طويل ، فلولم تكن قد أخذت أكثر منه لما جاءك منه قميص !
فالتفت عمر الى ابنه عبد الله وقال : يا عبد الله ! أجبه من كلامه . فقام عبد الله
وقال : إن أمير المؤمنين لما أراد تفصيل برده لم يكفه فناولته من بردى ماتمه به .
فقال الرجل : أما الآن فالسمع والطاعة ! (١) .

(كان عمر يخرج في كل يوم ناشيا وحده ، لا يدع أحدا يخرج معه ، فيشئ على
طريق المراق ميلين أو ثلاثة ، فلا يطلع عليه راكب من جهة المراق الا سأل عن الخبر .. .
فبينما هو كذلك يوما ، طلع عليه البشير بالفتح . فلما رآه عمر ناداه من بعيد :
ما الخبر ؟ قال : فتح الله على المسلمين ، وانهزمت العجم ! (٢)

وجعل يخب ناقتة وعمر يمدو معه يسأله ويستخبره - والرسول لا يمر به - حتى
دخل المدينة . واستقبل الناس عمر يسلمون عليه بالخلافة وأمرة المؤمنين فقال
الرسول - وقد تحير - : سبحان الله يا أمير المؤمنين ! الا أعطيتني ؟
فقال عمر : لا عليك . ثم أخذ الكتاب فقرأه على الناس !) .

نعم ! كان رضى الله عنه يخرج بنفسه لاستطلاع أخبار المجاهدين ، لانه يعلم أن
الله قد أمر هذه الأمة فلا يجوز أن يغفل عنها . ولانه يعلم أنه سيحاسب عن
نفسه وعن أحوال رعيته ، لم يكلف - رضى الله عنه - من يقوم بهذا العمل ويسقطه
عنه ، مع أنه لا حرج عليه لو فعل ذلك . ولكن لماذا لا يدع أحدا يخرج معه ؟

(١) ابن الطقطقا : الفخرى فى الاداب السلطانية ص ٢٩

والطبرى : الرياض النضرة ١٥٣/٢

(٢) الدينورى : الاخبار الطوال ص ١٢٣ ، وابن كثير : البداية والنهاية ٤٤/٧

وابن الطقطقا : الفخرى فى الاداب السلطانية ص ٨١

اظن - والله أعلم - أنه لا يريد أن يظهر للناس ذلك فيبدخه - وهو يكره المـدح - ،
لأنه يرجو ثواب الله تعالى وفناءه وحده : ولا يريد في الوقت نفسه أن يتمبـغـسـيره -
فهو مسؤول عنهم وهم لا يسألون عنه - ومادام الأمر متحققا من خلوجه هو فلم يضـيـع
وقت غيره ، والوقت أثمن ما يملكه الانسان بعد الايمان بالله ؟ *

أنه - رضى الله عنه - لم يخرج مرة أو مرتين . . ولم يسأل راکها أو راکبين . . ثم
يشعر بالطل . . بل ان الامر في نفسه أكبر من ذلك ، لأنه يتعلق بأفراد أكثر من
رعيته .

لله دره . فقد قال لمن عاتبه في اجتهد ، نهارة في أمور الناس وليلا في أمور
العبادة :

(ان أنا نمت نهاري ضاعت الرعية ، وان نمت ليلي ضيعت نفسي ، فكيف بالنوم
معهما ؟ (١))

حقا يا من جعل الله الحق على قلبك ولسانك ، عرفت فالزم ولنعد الى القصة :

لقد قال البشير متحيرا : ألا أعلمنى يا أمير المؤمنين ؟

ولكن لماذا يخبره عمر ؟ هل الامارة مفخرة وتشريف ووسيلة لنيل الجاه والسلطان

والاحترام ، واشعار الناس بأنه ظل الله في الارض ؟ لا .

اذن . فما فائدة الالقاب الفخمة ، والتميز عن الناس بالمظاهر ؟

لله در عمر . وهو يعمل ماتعجز عنه العصبة أطو القوة من الرجال

يقول طلحة - رضى الله عنه - :

(رأيت عمر يدخل بيتا . . قد خلت تلك الهيبة فإذا عجوز عميا * مقعدة . فقلت

* قلت : يقول الجاهلون - الذين يقيسون كل شىء بالمادة - الوقت من ذهب .

وقد كذبوا في ذلك لأن الوقت هو الحياة والحياة مادة وروح .

(١) الطبرى : الرهاى النصرة ١٤٧/٢

ما بال هذا الرجل يأتي هنا ؟ فقالت : انه يتعاهدنى بالشئ* من الطعام
ويقم البيت ويخرج الأذى منه (١)

يالله . أنه يقوم بكل ذلك دون أن يشعر به أحد حتى هذه المجوز .

وهو لا يطلب الثناء* من أحد . الا من الفرد الصد .

وقد بين عمر - رضى الله عنه - لولاته أن لا فرق بينهم وبين أحد من أفراد
الرعية سوى أنهم مكفون بتعليم الناس أمور دينهم . وأى وال استطال على أحد
أفراد المجتمع فضربه أو أخذ منه ماله - بغير حق - فلن يفلت من عقاب الخليفة .
يقول عمر (رضى الله عنه) :

(انى والله ما أرسل عمالى اليكم ليهضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ولكنى
أرسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم . فمن فعل به سوى ذلك ظيرفعه الى ، فو
الذى نفسى بيده اذن لأقصه منه . فوثب عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين
ان كان رجل من المسلمين على رعية فأدب بخص رعيته أثك لعقته منه ؟ قال :
اى . والذى نفس عمر بيده اذا لأقصه منه ، وقد رأيت رسول الله (صلى الله
عليه وسلم) يقتص من نفسه (٢)

وهكذا فان الخليفة ان لم يأخذ على يد الممتدى - ولو كان من الولاة - وبأطره
على الحق أطرا ، فان أمور الناس ستضطرب ، وسيتم الفساد المباد ، كما قال
جل شأنه : " واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة " (الانفال : ٢٥)

وفى حالة شعور مساعدى الخليفة من الولاة بأنهم متساوون مع بقية أفراد المجتمع
لا امتيازات لهم على غيرهم ، وأن الامام لن يقبل - حال اعتدائهم - غير القصاص

(١) ابن الجوزى : الشفاء ص ٨١

(٢) عبد الرزاق : المصنف ٩ / ٤٦٨

وابن تيمية : السياسة الشرعية ص ١٧٢

أو عفو الطرف الآخر ، فان أيا منهم لن يفكر بالظلم ان كان عاقلا ، وبذا يكون المجتمع آمنا مطمئنا ، يلتزم كل فرد فيه بواجباته ويؤدي حقوقه في الوقت نفسه . ولننظر كيف طبق الخليفة عمر شريعة الله على نفسه وعلى أهله قبل أن يطبقها على رعيته :

عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال :

(شرب أخى عبد الرحمن وشرب معه عقبة بن الحارث - أبو سروة - وهما بمصر في خلافة عمر فسكرا . فلما أصبحا انطلقا الى عمرو بن العاص وهو أمير مصر فقالا : طهرنا فانا قد سكرنا من شراب شربناه .

قال عبد الله : فذكر لى أخى أنه سكر . فقلت : ادخل الدار اطهرك . ولم أشمر أنهما أتيا عمرو بن العاص . فأخبرنى أخى أنه قد أخبر الأمير بذلك .

فقال عبد الله : لا يخلق القوم على رؤوس الناس ، أدخل الدار ، وكانوا إذ ذاك يحلقون مع الحدود ، فدخل الدار فقال عبد الله : فحلفت أخى يدي . ثم جلد هم عمرو . وسمع بذلك عمر فكتب الى عمرو : ان ابعث الى بعبد الرحمن على قتب - بمير - ، ففعل ذلك .

فلما قدم على عمر جلد ، وعاقبه لكانه منه ثم أرسله . فلبث شهرا صحيحا ثم اصابه قدره فمات . فعسب عامة الناس أنه مات من جلد عمر . (١)

وعن سالم بن عبد الله بن عمر قال :

(كان عمر اذا نهى الناس عن أمر ، دعا أهله فقال : انى نهيت الناس عن كذا

وكذا ، وانما ينظر الناس اليكم نظر الطير اللحم . فان وقعتم وقع الناس . . وان عهت هاب الناس . وانه والله لا يقع أحد منكم في شيء نهيت الناس عنه الا أضعف له العقوبة لكانه مني . (٢)

(١) الخزالي : التبر المسبوك ص ٦٩

وعبد الرزاق : المصنف ٩ / ٢٣٢

(٢) الطبري : الرياض النضرة ١١٩ / ٢

وها هو ذا عمر يعلّم واحدا من الزعماء المترفين المتكبرين ، أنه لا فرق بين الطبقة
الغنية والفقيرة أو بين الأتقيا والضعفاء ، الا باحقاق الحق - أيما كان صاحبسه -
وابطال الباطل - مهما كانت النتيجة - :

(خرج عمر للحج فحج جيلة بن الأيهم معه ، وبينما جيلة طائفا ان وطى رجل
من فزاره على ازاره ، ظلمه جيلة فهشم أنفه . فأقبل الفزارى الى عمر وشكا جيلة .
فأحضره عمر وقال : افتد نفسك والا أمرته أن يذلحك . فقال جيلة : كيف ذلك ؟ .
وأنا ملك وهو سوقه . فقال عمر : ان الاسلام جمعكما وسوى بين الطك والسوقة ففى
الحّد . فقال جيلة : كنت أظن أنى بالاسلام أعزنى فى الجاهلية . فقال عمر :
دع عنك هذا . فقال جيلة : أتتضر . فقال عمر : ان تنصرت ضربت عنقك . فقال جيلة :
انظرنى ليلتى هذه . فأنظره . فلما جاء الليل سار جيلة الى الشام بخيله ورجله ثم
ذهب الى القسطنطينية) . (١)

وقد يقول قائل : ان مصلحة الدعوة الاسلامية تقتضى - آنذاك - ألا يعاقبسه
عمر ، تأليفا لقلبه - فهو حديث عهد بكفر - ولتكتسب الدعوة من وراء اسلامه كثيرا من
أتباعه .

ولكن النظرة البعيدة لصاحب النظر الثاقب ، ترى غير ما يراه أصحاب النظرية
السطحية ، الذين يقيسون الأمور بالكم لا بالكيف بالعدد لا بالنوعية .
فالمقيدة الربانية التى فاء الى ظلها المسلمون جميعا لاليس فيها ولا غشوض ،
وهى تعلم الكافة ألا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى .
فلولم يقتصر عمر من جيلة بن الأيهم ، لأحدث ذلك خلا فى المجتمع الاسلامى
التماسك - الذى تتكون أكثريته الساحقة من السوق لامن الطوك - ولأدى الى الاخلال
بأحد ركائز الحكم الاسلامى - الا وهى العدل - .

(١) ابن أعم : الفتوح ٣٠٢ / ١

وابن كثير : المختصر فى أخبار البشر ١٦١ / ١

وما الذى يمنع جبلة - لو تغاضى عمر عن فعلته هذه - من تكرار ارتكاب ما يغفل
بمستلزمات الحكم الاسلامى ؟ ومن للضعفاء والسوقة - عامة الناس - ينتصر لهم ضمن
ظلم الأقوياء وأصحاب الجاه والسلطان اذا لم يكن خليفة المسلمين ؟

لقد أعطيت هذه الحادثة الاذن لكل مظلوم - حتى ولو كان من غير المسلمين -
ليقرع باب الحاكم العادل عمر . بل ان باباه لم يخلق ، ولم يحط بمجموعة ———
الحاشية تمنع وصول شكاوى المظلومين والضعفاء .

وكان بإمكان أى واحد أن يدخل على الخليفة فى أى وقت ليأخذ حقه وهو غير
متمتع .

ان هذه الحادثة تعلمنا أن خسارة واحد أو عشرة أو مائة أو ألف أو مليون . . .
من لم يدخل الايمان فى قلوبهم ، أهون بكثير من خسارة ركيزة هامة من ركائز
الحكم الاسلامى . فليس المهم عوز زيادة عدد المسلمين بأية وسيلة وان كان ذلك مهما -
على حساب التهاون فى تطبيق شرع الله ، انما المهم تعليم الناس أخلاقيات هذه
المقيدة .

ومن هنا يخطئ أصحاب الدعوات - والله أعلم - حين يستكثرون من الأتباع
ويقلون من تربيتهم على المقيدة الربانية التى تربي عليها الرعيل الاول ، فأحدثوا -
مع أنهم قلة - أعظم انقلاب فى تاريخ البشرية الطويل .

أمثلة من واقع الحياة السياسية في الاسلام :

=====

— أحبّ النّ من الامارة .

(لما بلغ عبد الرحمن بن الأسود أن عثمان أراد أن يستخلفه على العراقين

قال : والله لركعتين أركمهما أحبّ النّ من الامارة على العراقين) (١)

— ما كنت لأحبه ميتا .

(مرّ عمر بن الخطاب بامرأة مجذومة وهي تطوف بالبيت ، فقال لها : يا أمّة

الله . لو جلست في بيتك . فجلست . فمر بها رجل يمد ذلك ، فقال لها :

ان الذي كان قد نهاك مات فاخرجي .

ف قالت : ما كنت لأطيعه حيا وأعصيه ميتا) (٢)

— لا ثوب له غيره .

(عاتب مسلمة بن عبد الملك أخته فاطمة - زوجة عمر بن عبد العزيز - في ترك غسل

ثيابه في مرضه . فقالت : انه لا ثوب له غيره) (٣)

— انا رأيناه لها أهلا .

(لما هوى لأبي بكر جاء أبو سفيان الى علي بن أبي طالب فقال : غلبكم على هذا

الامر أذل أهل بيت في قريش . أما والله لأملأنها خيلا ورجالا . فقال علي : ما زلت

عدوا للاسلام وأهله فما ضر ذلك الاسلام وأهله شيئا ، انا رأينا أبا بكر لها أهلا) (٤)

(١) الدباغ : معالم الايمان ١ / ١٦١

(٢) مالك : الموطأ ص ٢٧٣

(٣) الاربلي : خلاصة الذهب ص ٢٣

وابن العساق : شذرات الذهب ١ / ١٢٠

(٤) الزهري : المفازي ص ١٤٨

— من يحلب لنا ؟

(كان أبو بكر الصديق يحلب للحق أغنامهم ، فلما بوجع بالخلافة قالت جارية من الحق : الآن من يحلب لنا منافع دارنا ؟ فسمعها الصديق فقال : لأحلبنها لكم ، وأرجو ألا يفرني ما دخلت فيه عن خلق كنت فيه) (١)

— أفقرت أفواه بنيك .

(قيل لعمر بن عبد العزيز في مرض موته : يا أمير المؤمنين . أفقرت . أفقرت . أفواه بنيك من هذا المال ، وتركتهم فقراء لا شيء لهم . فقال : أدخلوهم طي . فأدخلوهم وهم بضعة عشر ذكرا ليس فيهم بالغ ، فلما رأهم ذرفت عيناه ، ثم قال : يا بني . والله ما منعكم حقا هولكم ، ولم أكن بالذي آخذ أموال الناس فأدفعها إليكم . وإنما أنتم أحد رجلين : أما صالح ، فإله يتولى الصالحين وأما غير صالح ، فلا أخلف له ما يستعين به على معصية الله . قوموا عني) (٢)

— فتقصني من حق ؟

(قال عمر لرجل : أنى لأحبك . قال : فتقصيني من حق شيئا ؟ قال : لا . قال : فما يفرح بالحب بعد هذا إلا النساء) (٣)

(١) الطبرى : الرباع النضرة ٢٤٥/١

يقول الاستاذ محمد قطب : وهذا أبو بكر خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المهيمن على الدولة الناشئة ومشاكلها المتعددة في الداخل والخارج لا تمنعه كل هذه المشاغل عن أن تطوف بمشاعره أنبل المواطنين الإنسانية التي تكفى وحدها لو شغلت قلب انسان أن ترفعه من مستوى البشر العاديين .

انظر الانسان بين المادية والاسلام ص ١٢٨ .

(٢) ابن تيمية : السياسة الشرعية ص ٢١

(٣) ابن الطقطقا : الفخرى ص ٣٥

— بهذا قامت السماوات والأرض .

(بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عبد الله بن رواحة - رضى الله عنه -
يقدر على أهل خير محصولهم من الثمار والزروع لمقاسمتهم أياها مناصفة حسب
عهده بعد فتح خيبر . . . فحاول اليهود رشوته ليفرق بهم . فقال عبد الله :
والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إلي ولأنتم أبغض إلي من القردة والخنازير ،
وما يحطنى حبى أياه ويغضى لكم على ألا أعدل فيكم .
فقالوا : بهذا قامت السماوات والأرض) (١)

— هذه أحكام الأنبياء .

(ضاع درع لعلی - رضى الله عنه - فعرفت عند رجل نصراني - وقيل : يهودي -
فخاصه على إلى القاضي شريح . فقال شريح : ما تقول يا أمير المؤمنين ؟
فقال علي : هذه درعي وقعت مني فقال شريح : ما تقول يا نصراني ؟ فقال :
ما أكذب أمير المؤمنين الدرع درعي . فقال شريح : ما أرى أن تخرج من يده ،
فهل بينة ؟ فقال علي : صدق شريح .
فقال النصراني : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء . . هي والله درعك) (٢)

— هذا لمن يموت كبير .

(كان عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - قبل خلافته يلبس الحلة بألف دينار
ويقول : ما أخشنها . وحين ولي الخلافة كان قميصه وعباءته وجميع ما يكون على
بدنه من ثوب واحد خشن وتحت جبة صوف تلافى جلده على بدنه . ويقول : هذا
لمن يموت كبير) (٣)

— لا خير فينا أن لم نقبل .

(قال رجل لمصر - رضى الله عنه - : اتق الله . فأكثر عليه - ، فقال له قائل :

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٥ ، وانظر التعليق على هذه الحادثة

في الظلال ٢٧٧/٢

(٢) ابن كثير المختصر في أخبار البشر ١/١٨٢ ، وحياة الصحابة ١/٢٢٨

(٣) ابن الصراني : الأنباء في تاريخ الخلفاء ص ٥١

ومؤلف مجهول : المعين والحدائق ٣/٤٠

اسكت فقد أكثر . فقال عمر : دعه ، لا خير فيهم ان لم يقولوا لنا ، ولا خير فينا
ان لم نقبل (١)

— استأذنه فأذن له .

(لما بويج لأبي بكر - رضى الله عنه - بالخلافة ، كان أسامة بن زيد - رضى الله
عنهما - مبرزاً في جيش أمره عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من جملة من
عمر - رضى الله عنه - . فكان أول أمر نفذه في خلافته أن خرج لتشجيع جيش أسامة
ماشياً . فهم أسامة بالنزول فمنعه أبو بكر . واستأذنه في إقامة عمر لمعينه ففى
أمر المسلمين . فأذن له في ذلك) (٢)

— لا تمثلوا بالرجل .

(لما ضرب ابن ملجم علياً - رضى الله عنه - بالسيف . قبض عليه ، وحبس حتى
ينظر ما يكون من أمر علي .

فجمع على ولده وخاصته وقال : يا بنى عبد المطلب . لا تجتمعوا من كل صوب
تقولون : قتل أمير المؤمنين قتل أمير المؤمنين . لا تمثلوا بالرجل . فأنى سمعت
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينهى عن الخلة ولو بالكلب العقور . وانظروا
إذا أنا مت من ضربتى هذه فاضربوا الرجل ضربة واحدة) (٣)

— يأكل الخل والزيت .

(كان عثمان - رضى الله عنه - يطعم الناس طعام الأمانة . ويدخل بيته فيأكل
الخل والزيت) (٤)

(١) أبو يوسف : الخراج ص ٤٢

(٢) الشيبانى : شرح السير الكبير ٣٩/١ والقلقشندى : مآثر الانافة ٨٤/١

وابن كثير : المختصر ١٥٢/١

وبدران : تهذيب تاريخ ابن عساكر ١١٨/١

(٣) ابن الطقطقا : الفخرى ص ٤٢

(٤) ابن الجوزى : الشفاء ص ٨٤

الفصل الثاني

النوحيات الحربية

تمهيد :
=====

يعتبر الجهاد في سبيل الله سادس أركان الاسلام ، وذروة سنامه ،
والركن المملى للدعوة الاسلامية ، والشجرة الطبيعية للايمان بالله . والجهاد
الاسلامى ملازم للمسلم طيلة حياته على الارض ؛
فهو متعلق بجماعة النفس حتى تصبح نفسا مطمئنة ، وحتى تهذل كل ماتلك
في سبيل الله ، وترى مع ذلك أنها لازالت مقصرة وتخشى ألا يتقبل منها .
وهو متعلق بجماعة الشياطين - الانسية والجنية - وعدم الوقوع في حبالها ،
أو فيما تزينه للمعين من شهوات ولذات ، أو ما تلقى في الغوادر من شكوك وشبهات .
وهو متعلق بجماعة الجاهلين والمنغلين ، وتعليمهم ما يجهلون ، وعدم
سائرتهم في الابتعاد عن الحق . وهو متعلق بجماعة الظلمة وأخوانهم ، باليد
أو باللسان أو بالقلب - كل بما يناسبه - لمنع ظلمهم وفسادهم في الارض .
وهو متعلق بجماعة الجائرين ، بقول كلمة الحق أمامهم ولو أدى ذلك لفصل
الرأس عن الجسد ، ليكون صا حبه رفيقا لسيد الشهداء حبرة (رضى الله عنه) .
وهو متعلق بجماعة الحكام الكفرة ، بالعمل على ازالتهم وراحة المسلمين
والعباد منهم . والعمل على ذلك من خلال الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح .
وهو متعلق بجماعة الأهل - وكل من يعمل - بوقايتهم من كل ما يؤذى بهم
الى النار (والعيان بالله) .
وهو متعلق بجماعة الاعداء بقتالهم وبذل نفسه وماله وفكره ووقته في سبيل
الحصول على احدى الحسنين (النصر أو الشهادة في سبيل الله) .
وهو متعلق بجهاد عام دائم ، بالدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة
والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والا يخشى في الله لومة لائم .
وهو متعلق بأن يخلف أهل الغزاة بخير ، ليحصل له مثل أجرهم .

وهو متعلق بالعمل الجاد لأعادة الناس الى الاسلام من جديد .
وهو متعلق بالسمى والعمل من أجل اعفاف نفسه ومن يمول لتكون يده العاطة
من يحبها الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) .
وهو متعلق بجميع أعماله لتكون صحيحة موافقة للكتاب والسنة وخالصة لوجهة
الله ، لئلا يحبط العمل .

وهو متعلق بالصبر على البلاء ، والرضا بالقضاء ، والشكر على السراء .
وهو متعلق بالصبر على الطاعة ، وعدم التفريط فيها ، وأداء جميع الأمور
على الوجه الاكمل ، واجتناب الضمائم .
وهو متعلق بالصبر عن المعاصي ، وتركها - مع استطاعتها - خوفاً من يعلم
خائفة الامين وماتخفى الصدور .

وبإيجاز : الجهاد متعلق بالمسلم : مع نفسه ، ومع غيره ، من المؤمنين
أو الفاسقين أو الظالمين أو الكافرين ، ومع الدولة التي يعيش فيها ، سواء كانت
اسلامية أو جاهلية ، وهو متعلق به منذ أن أصبح مكلفاً حتى يلقي الله تعالى .
ولا يمكن أن يقوم المرء بتطلبات الجهاد الكثيرة الا اذا كان صاحب عقيدة
تحث وتجبره على الارتكاز عليها ، ليكون من الناجين في الآخرة ، ومن السعداء
في الدارين .

وستحدث في هذا الفصل - بإذن الله - عن مفهوم الجهاد الاسلامي ،
ونتناول من خلال ذلك : تعريفه ، ومراحله ، ومراتبه ، وهل جهاد الاهداء هو
الجهاد الاصفر أم لا ؟

وسندحض افتراءات المخربين حول الجهاد الاسلامي ونبين أهدافهم سوءاً
من وراء تشويه حقيقة الجهاد والفتوحات التي نتجت عنه .

وسنرد على الفرية السيفية ، وعلى الفرية الاقتصادية ، ثم نبين خطأ
كثير من العلماء المسلمين المعاصرين الذين وقموا في شرك الاهداء ، فقالوا

بأن الجهاد دفاعي فحسب ، وسنرد عليهم بشيء من التفصيل .

ثم نتحدث عن بواعث الجهاد الاسلامي وأهدافه وغاياته ، مستشهدين على ذلك بنماذج حية من سيرة الرعيل الاول الذين تربوا على عقيدة التوحيد فكانوا خير أمة أخرجت للناس .

من آيات الجهاد :

قال الله تبارك وتعالى : " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين " (آل عمران : ١٦٩ - ١٧١)

وقال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا . وإن منکم لعمین ليبطئن فإن أصابکم مصيبة قال قد أنعم الله علی اذ لسم أکن معهم شهيداً ولكن أصابکم فضل من الله ليقولن كأن لم تکن بینکم وبينه مودة ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً . فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ، والکم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنک ولياً واجعل لنا من لدنک نصيراً . الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان کيد الشيطان کان ضعيفاً . ألم ترى السمس الذين قيل لهم کفوا أيديکم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس کخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم کتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً) (النساء : ٧١ - ٧٧)

وقال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم
الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره الا تحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب
من الله ومأواه جهنم وبئس المصير . . يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا
واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وقد ذهب
ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين . ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا
ورفاً الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط . . فاما تثقفنهم في
الحرب فشؤد بينهم من خلقهم لملهم يذكرون . واما تخافن من قوم خيانة فانهذ اليهم
على سواهم ان الله لا يحب الخائنين . ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون .
وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به الله وعدوكم
وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم ومانفقوا من شيء في سبيل الله يوف
اليكم وانتم لاتظلمون . وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع
العليم . وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين
وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف
بينهم انه عزيز حكيم . يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم
عشرون صابرون يغلوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلوا ألفا من الذين كفروا بأنهم
قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضمما فان يكن منكم مائة صابرة
يغلوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين "

(الانفال : ١٥ و ١٦ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ و ٥٧ - ٦٦) .

وقال تعالى : " فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنوهم
فسدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداهم حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء
الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله قلن يضل
أعمالهم . سيهديهم ويصلح بالهم . ويدخلهم الجنة عرفها لهم . يا أيها الذين
آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم " (محمد : ٤ - ٧)

وقال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب
أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم
إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار وساكين
عليها في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب
وبشر المؤمنين " (الصف : ١٠ - ١٣) .

من أحاديث الجهاد : (١)

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة ، أو يرجعه سالما مع أجر أو غنمة " *

وقال أيضا : " ان في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض " .

وقال أيضا : " والذي نفسي بيده لو ددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحييا ثم أقتل ، ثم أحييا ثم أقتل ، ثم أحييا ثم أقتل " .

وقال أيضا : " لا يكلم أحد في سبيل الله - والله اعلم بمن يكلم في سبيله - الا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح السك " .

وقال أيضا : " ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتسه النار " .

(١) روى هذه الأحاديث كلها البخارى فى صحيحه (كتاب الجهاد ٣ / ٢٠١ -

• 1775

* قوله بأن يتوفاه . الخ : يحتمل أن يكون قوله (أن يدخله الجنة) بد لا من قوله (أن يتوفاه) ، ويكون قوله (أو يرجمه) عطفا على عطف (أن يتوفاه) ، ويحتمل أن يكون بتقديم (بأن يدخله) ، وقوله (بأن يتوفاه) أى (مع شرط التوفى) .

وقال أيضا : " ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وله ما على الأرض من شئ " الا الشهيد يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة .
وقال ايضا : " واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف " .

وقال ايضا : " من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا " .

وقال ايضا : " رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها " .

وعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اذا أمر أميرا على جيش أو سرية (١) أوصاه في خاصته (٢) بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا . ثم قال : (اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تفلوا) (٣) ولا تفدروا (٤) ولا تثلوا (٥) ولا تقتلوا وليدا (٦) . واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال - أو خلال - فأبتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم الى الاسلام (٧) فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعظيم ما على المهاجرين . فان أبوا أن يتحولوا منها

(١) سرية : قطعة من الجيش تخرج منه تغير وتمود اليه ، وهي تسرى في الليل ويخفي ذهابها .

(٢) في خاصته : أي في حق نفس ذلك الأمير خصوصا

(٣) لا تفلوا : لا تخونوا في الغنية .

(٤) لا تفدروا : لا تتقصوا المهد .

(٥) لا تثلوا : لا تشوهوا القتل بقطع الأنوف والآذان

(٦) وليدا : صبيا ، لأنه لا يقاتل .

(٧) ثم : قيل بأنها زائدة ، وقيل : بل دخلت لاستفتاح الكلام والأخذ .

فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذي يجسرى على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنمية والغني شئ ، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين . فان هم أبوا فسلهم الجزية . فان هم أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم . فان هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم . وإذا حاصررك أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله (١) وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه . ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك . فانكم ان تخفروا (٢) ذمتكم وذمة أصحابكم أهسون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله . وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك ، فانك لا تدري أنصيب حكم الله فيهم أم لا) (٣)

وقال (صلى الله عليه وسلم) : (والجهاد ما مضى منذ بعثنى الله الى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال ، لا يبطاله جور جائر ولا عدل عادل) ، (٤)
وقال (صلى الله عليه وسلم) : (من مات ولم يغز ولم يعد نفسه يغزو مات على شعبة من النفاق) . (٥)

-
- (١) ذمة الله : عهد الله .
(٢) تخفروا : تنقضوا العهد .
(٣) انظر : مسلم ١٣٥٧/٣ .
وأبو داود : السنن ٥٢/٣ .
والدارمي : السنن ٢١٥/٢ .
والطبراني . المعجم الصغير ١٢٣/١ .
وانظر شرح الحديث في : الاعتبار في النسخ والنسخ من الآثار ص ٢١٠ .
وعون المعبود ٢٧٣/٧ .
(٤) سميد الخراساني : السنن القسم الثاني ١٥٢/٣ .
وانظر نصب الراية ٣٧٧/٣ .
(٥) الحاكم : المستدرک ٧٩/٢ .

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال . وجدت امرأة مقتولة في بعض سفوف تلك المغازي ، فنهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن قتل النساء والصبيان (١) .
 ووصى أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) يزيد بن أبي سفيان (رضي الله عنه) -
 وقيل : أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) - قائلا : ((أيها الناس . أوصيكم
 بتقوى الله ، لا تعصوا ولا تغفلوا ولا تجبنوا ولا تفرقوا نخلا ولا تحرقوا زرعاً
 ولا تحبسوا بهيمة ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تقتلوا شيخاً كبيراً ولا صبياً صغيراً
 ولا امرأة . وسوف تمرّون بأقوام قد فسرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا
 أنفسهم له)) (٢) .
 ووصى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سعد بن أبي وقاص حين ولاه قيادة
 الجيش المشجّه إلى العراق : (أما بعد : فاني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى
 الله على كل حال . . وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراضاً منكم من عدوكم . .
 وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عدونا
 ليس كعدوهم ، ، ، ولا تقولوا أن عدونا شرخا فلن يسلط علينا ، فرب قوم سسلط
 عليهم من هو شر منهم ، ، وترفق بالمسلمين في سيرهم . . ونح منازلهم عن
 قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك الا من ثق بدينه ، ولا يسرراً
 أحد من أهلها شيئاً ، فان لهم حرمة وذمة ابטיتم بالوفا بها كما ابطلوا بالصبر
 عليها ، فما صبروا فنلّوهم خيراً ، ولا تنتصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح) (٣)

(١) الطرسوسي : مسند ابن عمر ص ٤٦ . ومالك : الموطأ ص ٢٧٧ .

والطحاوي : شرح معاني الآثار ٢٢٠/٣ .

(٢) مالك : الموطأ ص ٢٧٧ .

والشيباني : شرح كتاب السير الكبير ٤١/١ .

والمرزوي : مسند أبي بكر ص ٧٠ .

والخراساني : السنن القسم الثاني ٢٥٨/٣ .

وبدران : تهذيب تاريخ ابن عساكر ١١٨/١ .

والطبري : تاريخ الأمم والملوك ٢١٢/٣ .

(٣) محمد الخضري : اتمام الوفا في سيرة الخلفاء ص ٦٠ و ٦١ (مقتطفات) .

تعريف الجهاد :

الجهاد : هو بذل الوسع في القتال في سبيل الله مباشرة أو معاونة
بمال أو رأى أو تكثير سواد أو غير ذلك .

أو هو : بذل الجهد في قتال الكفار لإعلاء كلمة الله (١) .

وفريضة الجهاد على نوعين * . أحدهما : فرض عام متعين على كل أحد
من يستطيع المدافعة والقتال وحمل السلاح من البالغين الأحرار . وذلك
أن يحل العدو ودار الاسلام محاربا لهم ، فإذا كان ذلك وجب على جميع
أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا اليه خفافا وثقالا وشبابا وشيوخا ، ولا يتخلف
أحد يقدر على الخروج من مقاتل أو أكثر .

وان عجز أهل تلك البلدة عن القيام بحدوهم ، كان على من قاربهم
وجاورهم أن يخرجوا قلوبا أو كثرها ، على حسب مالهم أهل تلك البلدة حتى
يعلموا أن فيهم لماقة على القيام بهم ومدافعتهم . وكذلك كل من علم بضعفهم
عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه - أيضا - الخروج اليهم .
ولو قارب العدو ديار الاسلام ولم يجد عليها لزمهم أيضا الخروج اليه .
والثاني : يتملق بالامام ، وهو أن عليه اغزاء لماثقة الى العدو . وكل سنة
يخرج معهم مرة بنفسه ، أو يخرج من يثق به ، ليدعوهم الى الاسلام ويهذبهم
ويكف أذاهم ، ويظهر دين الله عليهم ، ويقاثلهم حتى يدخلوا في دين الاسلام
أو يعطوا الجزية . (٢)

(١) البهوتى : كشف القناع ٢٨/٣ .

والشوكاني : نيل الأوطار ٢٣٦/٧ .

والعاصمي : حاشية الروض المربع ٢٥٣/٤ .

* انظر أنواع الجهاد الكثيرة في كتاب سميد حوى : جند الله ثقافة وأخلاقا
ص ٣٦٥ فما بعدها .

(٢) ابن عبد البر : كتاب الكافي ٤٦٢/١ و ٤٦٣ .

وانظر الدردير : الشرح الصغير ٢٦٧/٢ - ٢٧٥ .

والجهاد : فرض على الكفاية ، اذا قام به قوم سقط عن باقيهم وليس
 يأثموا بتركه . وان لم يقم به من يكفي أثم الناس كلهم . (١)
 وأقل ما يفعل مرة في العام ، الا من عذر . (٢)
 والرباط (٣) أفضل من الحقام بكثرة اجماط . (٤)
 ولا يقتل من العدو وصبي ولا امرأة ولا شيخ ولا راهب ولا زمن ولا أعشى - ونحوهم -
 ما لم يكن لهم رأى أو تدبير أو مشاركة في القتال . (٥)

(١) الحسن الشيباني : شرح كتاب السير الكبير ٨٨ / ١ .

وابن قدامة : المغنى ١٩٦ / ٩ .

وابن مفلح : المحرر في الفقه ١٧٠ / ٢ .

وابن هبيرة : الافصاح عن معاني الصحاح ٢٧٢ / ٢ .

والبهوتى : كشاف القناع ٢٨ / ٣ .

والعاصم : حاشية الروض النرج ٢٥٤ / ٤ .

(٢) ابن قدامة : المغنى ١٩٨ / ٩ .

وابن مفلح : المحرر ١٧٠ / ٢ .

والبهوتى : كشاف القناع ٣٢ / ٣ .

والدردير : الشرح الصغير ٢٧٢ / ٢ .

(٣) الرباط : هو الحبس على الشيء وملازمته . وأصل الرباط : هو ما تربط

به الخيل . ثم قيل لكل أهل شفر يدفع عن خلقه رباط .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر

وقيامه ، وان مات جري عليه عله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن

الفتان) .

مسلم ١٥٢٠ / ٣ .

(٤) البعلبلى : الاختيارات العلمية (ضمن الفتاوى الكبرى لابن تيمية) ١٨٥ / ٥ .

(٥) ابن رشد : بداية المجتهد ٣٢٧ / ١ .

وابن تيمية : السياسة الشرعية ص ١٤٤ .

والحجاوى : زاد المستقنع ص ١٠١ .

وابن هبيرة : الافصاح ٢٧٤ / ٢ .

وابن مفلح : المحرر ١٧١ / ٢ .

مراحل الجهاد (١) :

نزل الأمر بالجهاد في سبيل الله على مراحل ؛
 فقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - مأموراً في الابتداء بتبليغ الرسالة
 والأعراض عن المشركين ، قال تعالى : " قاصح الصفح الجميل " (الحجر : ٨٥)
 وقال تعالى : " فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين " . (الحجر : ٩٤) .
 ثم أمر - صلى الله عليه وسلم - بالمجادلة بالأحسن ، كما قال تعالى :
 " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن " .
 (النحل : ١٢٥) . وقال تعالى : " ولا تجادلوا أهل الكتاب
 الا بالتي هي أحسن " . (العنكبوت : ٤٦) .
 ثم أذن لهم في القتال بقوله : " أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله
 على نصرهم لقد يسر " . (الحج : ٣٩) .
 ثم أمروا بقتال الكفار ان كانت البداية منهم ، بما تلا ذلك من آيات .
 ثم أمروا بالقتال بشرط انسلخ الأشهر الحرم ، كما قال تعالى : " فاذا انسلخ
 الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم " . (التوبة : ٥) .
 ثم أمروا بالقتال مطلقا بقوله تعالى : " وقاتلوا في سبيل الله واطمئـنوا
 ان الله سميع عليم " . (البقرة : ٢٤٤) .

(١) انظر : الحسن الشيباني : شرح كتاب السير الكبير ١ / ١٨٨ .
 ملحوظة : بين فضيلة الشيخ صالح اللحيدان مراحل تشريع الجهاد
 بيانا واضحا ، وقال بأن الجهاد مر بمراحل كان فيها يسير من مرحلة الى
 مرحلة حتى وصل الى المرحلة الأخيرة التي أصبح فيها واجبا على كل
 مسلم قادر . وهذا يفسر لنا أن الجهاد كان يسائر الدعوة ولا بد للدعوة
 من جهاد . وبين حفظه لله كيف أن القتال تدرج بهذه الصورة حتى كان
 آخر الأمر واجبا لا تردد في وجوبه . انظر كتابه : الجهاد في الاسلام ص ٤٣-٤٤ .

* انظر عبد القاهر البغدادي : الناسخ والمنسوخ ص ١٨٩ و ١٩١-٢٢٥

و ٢٧٤ و ٢٧٦ .

فاستقر الأمر على هذا . ومطلق الأمر يقتضى اللزوم . الا أن فرضية القتال لمقصود اعزاز الدين وقهر المشركين ، فإذا حصل المقصود بالهضم سقط سنن الباقيين .

مراتب الجهاد :

الجهاد عدة مراتب هي : جهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد الكفار وجهاد المنافقين وجهاد أرباب الظلم والبدع .

فجهاد النفس على أربع مراتب : أن يجاهدها على تعلم الهدى . وأن يجاهدها على العمل به بعد طمعه . وأن يجاهدها على الدعوة إليه ، والا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله . وأن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة ، ويتحمل ذلك كله لله تعالى .

وجهاد الشيطان مرتبتان : جهاده على دفع ما يلقى من الشبهات ويكون بعده اليقين . وجهاده على دفع ما يلقى من الشهوات ويكون بعده الصبر .

وجهاد الكفار والمنافقين : وهو أربع مراتب : بالقلب . وباللسان . وخاصة للمنافقين . وبالمال . وبالنفس . وخاصة للكفار .

وجهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات : وهو ثلاث مراتب : باليد : إذا قدر على ذلك . وباللسان : إذا لم يقدر باليد . وبالقلب : إذا عجز عن اليد واللسان .

ولا يتم الجهاد الا بالهجرة ، ولا الهجرة والجهاد الا بالايان . والراجون لرحمة الله هم الذين قاموا بهذه الثلاثة . قال تعالى : " ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم "

وكما أن الإيمان فرض على كل أحد ، ففرض عليه هجرتان في كل وقت :
هجرة إلى الله عز وجل بالاخلاص . وهجرة إلى رسوله - صلى الله عليه وسلم -
بالتابعة .

وفرض عليه جهاد نفسه وشيطانه فرض عين لا ينوب فيه أحد عن أحد .
وأما جهاد الكفار والمنافقين فقد يكتفى فيه ببعض الأمة (١) .

هل جهاد الأعداء هو الجهاد الأصغر ؟

هناك كلام مشهور على الأئمة ينص على أن جهاد النفس هو الجهاد
الأكبر وأن جهاد العدو هو الجهاد الأصغر .

واعتبر بعض الكتاب الحديثين (٢) - قصيري الباع في علوم الحديث الشريف -
أن هذا الكلام المشهور على الأئمة حديثنا - صحيحاً أو حسنناً
أو ضعيفاً - وكتبوا بناءً على هذا الحديث الموضوع بحوثاً ومقالات ، في جهاد
النفس وأنه مقدم على جهاد الأعداء . وسننقل فيما يأتي ما قاله بعض علماء
الحديث الثقات في هذا الحديث الموضوع :

(١) محمد بن عبد الوهاب : مختصر زاد المعاد من ١٨١-١٨٣ بتصرف يسير .

(٢) قام الاستاذ أحمد جمال - حفظه الله - بتأليف كتاب يدور حول هذا الحديث

الموضوع بعنوان (الجهاد في الاسلام مراتبه ومطالبه) تحدث فيه عن

جهاد النفس من ص ٩ - ٣١ . وقال في ص ٢٣ : الحديث الضعيف ^{خير} بين آراء الرجال ،

وقد دافع عن هذا الحديث بقوة .

قلت : يجب ألا يكون الحديث شديد الضعف حتى يكون خيراً من آراء الرجال

فما بالك إذا كان موضوعاً ، انظر شروط الأخذ بالحديث الضعيف في

الألماني : مقدمة ضعيف الجامع الصغير ٤٤/١ - ٥١ .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية (١) - رحمه الله - عن هذا الحديث الموضوع :
(لا أصل له . ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي - صلى الله عليه وسلم -
وأفعاله . وجهاد الكفار من أعظم الأعمال بل هو أفضل ما تلوع به الانسان) (٢)

وقال العلامة القارى - رحمه الله - :

(قال المسقلاني : هو مشهور على الألسنة . وهو من كلام ابراهيم بن
عبله فى الكنى للنسائي .

قلت : ذكر الحديث فى الاحياء ، ونسبه المراقى الى البيهقى - سن
حديث جابر وقال : هذا اسناد فيه ضعف .

وقال السيوطى : روى الخطيب فى تاريخه من حديث جابر قال : قدم
النبي - صلى الله عليه وسلم - من غزاة لهم فقال : (قدمتم خير مقدم ،
قدمتم من الجهاد الأصفر الى الجهاد الأكبر . قالوا : ما الجهاد الأكبر ؟
قال : (مجاهدة المبد هواه) . (٣)

وقال الامام حسن البنا - رحمه الله - : (هذا الأثر ليس بحديث على الصحيح .
قال ابن حجر : هو مشهور على الألسنة من كلام ابراهيم بن عبلة .
قال المراقى : رواه البيهقى بسند ضعيف عن جابر .
ورواه الخطيب فى تاريخه عن جابر) (٤)

وقال العلامة محمد أمين المصرى - رحمه الله - . . . وبعد هذا كله

فليس

(١) قلت : ومصروف أن كل حديث لا يعرفه الامام ابن تيمية بحديث . . انظر
مقدمة العلامة الألبانى - حفظه الله - للكلم الطيب لابن تيمية ص ١٢ .

(٢) ابن تيمية : الفرقان ص ٧٣ .

(٣) على القارى : الموضوعات ص ٤٤ و ٤٥ .

(٤) حسن البنا : رسالة الجهاد آخر صفحة .

يسمى قتال العدو وجهاداً أصغر . . ويروون في ذلك حديثاً ذكره
الخطيب في تاريخه من طريق يحيى بن العلاء قال : حدثنا ليث عن عطاء
ابن أبي رباح عن جابر قال : قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - من غزاة
له فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (قد تم خير مقدم من الجهاد
الأصغر إلى الجهاد الأكبر مجاهدة العبد عواء) .

قال البيهقي بشأنه : اسناده ضعيف وتبعه العراقي في تخرجه
الاحياء . وحكم السيوطي أيضاً بضعفه في جامعه الصغير .

((وحين نرجع إلى كتب التراجم لنعرف من هو يحيى بن العلاء - راوى
الحديث - نجد في ترجمته ما يزهدهنا في حديثه وما يحطنا على هجر ما يرويه .
)) يقول الذهبي في ميزانه : قال أبو حاتم : ليس بالقوى .

وضعه ابن معين . وقال الدارقطني : متروك .

وقال الامام أحمد : كذاب يضع الحديث .

ويضئ العلامة المصري قائلا : ((وبعد هذه الشهادات التي نتلوها
بشأن هذا الرجل يجب أن نلفت الأنظار إلى أن هذا الحديث برواية هذا
الرجل لا تجوز روايته ولا ذكره على سبيل التنبيه لأنها رواية متروكة
ساقطة .)) (١)

وهذا الحديث الموضوع الذي قال عنه ابن تيمية لأصل له ، يناقض قول
الله تعالى : " لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون
في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على
القاعدین درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدین
أجراً عظيماً . درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً " (النساء : ٩٥ و٩٦)

(١) محمد أمين المصري : سبيل الدعوة الإسلامية ص ٧١ و ٧٢ .

ولله در ابن المبارك - رحمه الله حيث يقول :

أيها الناسك الذي لبس الصوف فوأضحى يمد في المباد
الزم الثغر والتعبد فيـــــــــــــــــه ليس بغداد مسكن الزهاد (١)

ولله دره حيث يقول « خاطبا عبد الحرمين * :

يا عبد الحرمين لو أبصرتنـــــــــــــــــا علمت أنك بالمباد تلعب
من كان يخضب خده بد موعـــــــــــــــــه فد موعنا بد مائنا تتخضب
ريح المعبر لكم ونحن غيرنــــــــــــــــا ريح السنايك والغبار الأطيب (٢)

* يقصد به الفضيل بن عياض (رحمه الله) .

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٢١ / ١ .

(٢) محمد عثمان جلال : عبد الله بن المبارك ص ١٥٠ .

وريح : غبار ، والسنايك : طرف مقدم الحافر والمراد الغبار الذي

يتصاعد بسبب سير الخيول .

افتراءات حول الجهاد :

لقد تعرض الاسلام والمسلمون لهجمات عنيفة وحروب طويلة من قبل أعداء الله ، منذ أن بزفت شمس الدعوة الاسلامية وأضاءت أفئدة أتباعها بنور الله الى يومنا هذا والى ما بعده

وأعداء الله يعرفون أن بالاسلام حياة السلمين وعبادتهم وفوزهم وعزهم في الدارين ، وبغيره موتهم وشقاؤهم وخسارتهم وذلهم في العاجلة والآجلة . ولذا تنوعت وسائلهم في حربهم لهذا الدين العظيم ، فتارة يحاربونه وجهها لوجه - كما حدث ذلك في كثير جدا من المعارك الحربية - ، وتارة يحاربونه بصورة غير مباشرة عن طريق التظاهر به ومحاربه من الداخل كما فعل (ابن السوداء) (عبد الله بن سبأ) (لعنه الله) * عن طريق إثارة الفتن والخلافات بين المسلمين - ، وصدق الله العظيم " ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا " (البقرة : ٢١٧) .

وبعد أن فشل أعداء الله - طي مر القرون - في استئصال شأفة المسلمين والقضاء عليهم ، لجأوا لوسائل جديدة خبيثة - أشد خطرا وفتكا من وسائلهم القديمة - توفر عليهم كثيرا من الجهود والخسائر هذه الوسائل هي :-

الاستشراق . والتنصير - التبشيرية - .

والفزو الكفري - الفكري - .

والهدف من هذه المحاولات الجديدة هو تشكيك المسلمين بدينهم ،

وادخالهم في دين جديد ، أو اخراجهم من الاسلام الى غير دين .

* انظر كتاب شيخنا السيد اني - حفظه الله - كائد يهودية عبر التاريخ ص ١٦٢

فما بعدها وكتاب عبد الله النزيب (وجاء دور المجوس) ص ٥٧ .

وصدى الله المظلم : " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع مطبهم قل
ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بمد الذى جاءك من العلم مالک
من الله من ولى ولا نصير " (البقرة : ١٢٠)

وأصبحت أساليبهم الجديدة تارة بالقذف والطعن والشتم . . وتارة بالمدح
ووضع السم فى الدسم . . وتارة - بالتعاون مع علائهم - باثارة الشبهات حولـه
والتشكيك فيه .

" قدّر كاتب شركى فى كتابه (جذور الصهيونية) عدد ما طبع ووزع من نسخ
العهدين - القديم والجديد - بواسطة ارساليات التبشير خلال مائة وخمسين عاما
بما يزيد على ألف مليون نسخة مترجمة الى (٣٠) لغة ، عدا النشرات
والمجلات الاخرى . كما قدر ان تكاليف هذه الخطبوعات لا تقل عن (٦٠) ألف
مليون ليرة تركية . (١)

وقد كشفت الدراسات التى ناقشها مؤتمر عدم الانحياز الذى انعقد فى
كولمبو أن حوالى (٢٥٠٠) محطة اذاعية فى (٦٤) لغة قومية تشن هجوما
صريحا وضاربا على الاسلام . (٢)

يقول شيخنا الفاضل محمد قطب (حفظه الله) :

" حاول أعداء الاسلام فى الحروب الصليبية الا ولى أن يحطموه كنظام أوكدولة
حامية للنظام . . ولكنهم ادركوا أنهم فشلوا . . فعادوا فى الحروب الصليبية
الحدیثة يحاولون أن يحطموه كمقيدة ، ليضمنوا ألا تقوم الدولة ولا يقوم النظام
. . ومن بين حربه لهم له كمقيدة أن يقولوا للمسلمين - المثقفين منهم بصفة خاصة -
ان المقيدة لم يعد لها اعتبارا فى هذا العصر الذى نعيش فيه . وان المهم
ليس هو المقيدة انما هو النظام . فاذا خلوا الى شياطينهم قالوا : ان الديمقراطية
أو الشيوعية ليست نظاما فحسب وانما هي عقيدة - أو فلسفة كما يقولون . .

(٢٠١) ابراهيم الجبهان : معاول الیهدم والتدمير فى النصرانية وفى التبشير

الاسلام ، وبين ما جاءت به حضارة الغرب من أفكار ونتائج ونظريات في ميادين الحياة ، وكان عماد هذا العمل هو تفسير الاسلام تفسيراً عصرياً يلائم الفكر السائد ، ومحاولة إيجاد نقط التقاء بين الخطين على تباينهما .

" وقد ألبأ هذا الهجوم الفكرى هذه المدارس الى مواقف دفاعية غريبة عن الاسلام ، ان جردته من كثير من أحكامه الصريحة ، وجاءت لها بمعان جديدة بمعدة كل البعد عن روح الاسلام ، مع أن هذه الأحكام كلها بلغ فيها الاسلام الغاية العليا في الأحكام والسمو ، ولكنها عادت في منطق العقول المهزومة مثالب أو نقاط ضعف تحتاج الى دفاع . أو هي فضائل صالحة لزمانها واحتاج التطور البشرى الى تمديد بها . وكان من أخبث وأخطر نتائج هذا الغزو أن انحلت روح المقاومة والجهاد ، أو فترت وتراخت عن العهد بها دائماً ، ذلك العهد الذى وثقه القرآن عبر التاريخ في نفوس المسلمين ، والذى كان يرهب أعداء الله دائماً (١) والمستشرقون ومن بينهم (توماس أرنولد) يحاولون التقليل من أهمية الجهاد الاسلامى في الفتوحات ، ويركزون على الجهاد الدفاعى ، وعلى انتشاره عن طريق التجارة ، وعن طريق القدوة ، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن هنالك أسباباً شتى لا انتشار العقيدة الاسلامية . وهذا نموذج من كلامهم يمين للحصيف كيف يضعون السم بالدم : يقول أرنولد في كتابه الدعوة الى الاسلام - الذى كثيراً ما يستشهد بكلامه معظم الكتاب المسلمين المحدثين ، على أنه انصاف للمسلمين : " يرجع انتشار هذا الدين في تلك الرقعة الفسيحة من الارض الى أسباب

شتى : اجتماعية وسياسية ودينية .

وهكذا كان الاسلام منذ بدء ظهوره بين دعوة من الناحية النظرية أو الناحية

التطبيقية .

" وقد كانت حياة محمد تحل هذه التعاليم ذاتها . وكان النبى نفسه يقوم

(١) انظر عبد الستار حميد : الغزو الفكرى ص ٩٢ - ٩٣

وحسان محمد حسان : وسائل مقاومة الغزو الفكرى ص ١٠ ، ١١ ، ٦٨

فى معركة بلاط الشهداء لتغير وجه العالم نهائيا . . . والذى لقن أتباعه أحقاد
هو لا * من الصليبيين الفزاة د روسا لا تنسى ، ومرغوا كذلك أنوف أحفاد القردة
والخنازير بالذل والتراب أبدا الدهر .

وانما كتب ما كتب تعبيرا عن الحقد الأسود الذى يكنه للاسلام ، وذلك لك
للتشكيك فى ماضى المسلمين المجيد ، وللاشغال بالرد عليهم فى حاضرهم ،
ولئلا يعود المسلمون الى ما به سمعاه تهم الدنيوية والأخروية . فلو أنهم سلكوا فى
كتاباتهم واحدا هو الهجوم والتشكيك ، لظهر لكل ذى عينين زيفهم وهذفهم
الشنيع ، ولأدى ذلك لرد فعل من قبل الكثيرين . ولكنهم ساروا فى اتجاهين :
اتجاه يهاجم الاسلام ويذمه . واتجاه يتظاهرمبمدح الاسلام . . . ولكنه أثناء ذلك
يضع السم بالدسم لينخدع الكثيرون .

ويهدف المستشرقون - وغيرهم من الأعداء - من مهاجمة الجهاد الاسلامى
والقاء الشبهات حوله والصاق التهم بأصحابه ، الى تحقيق هذه الاهداف :
- التشكيك فى صلاحية الاسلام - لكل زمان ومكان - وفى ملائمة للفطرة البشرية ،
وأن الحضارة والمدنية الحديثة - جاهلية القرن العشرين . - لا تناسبها (همجية)
الجهاد الاسلامى . وذلك ليندفع الكتاب المسلمون المهزومون الى التخلّى عن
مبدأ الجهاد ، أو تفسيره تفسيراً باطلا - يخالف تفسير السلف الصالح - كما فعل
معظم الكتاب المحدثين .

- تشويه تاريخ وحقيقة الفتوحات الاسلامية وانها لم تكن فى سبيل الله بل كانت
لحب العرب الشديد للفروسية والفرز والنهب - كما كانوا فى الجاهلية - وذلك
ليشعر المسلم - المتقدم الى الخلف بالنقص أو بمعقدة الذنب أمام الأجنبي ،
فيهاجم - فى منطقة اللاشعور داخل نفسه - فكره الجهاد ، ويصفها بأنها رجعية
من غابر الزمان ، لا تتناسب مع ما حققه العالم - المتحضر - من ايجاد هيئمة
الامم ومجلس الأمن .

من أفلت من طوق أعداء الله وشراكتهم الرواد الثلاثة : (البنا وقطب والمودودي)
ومن سار على نهجهم من أبناء حركات البعث الاسلامي في ارجاء المعمورة .
- القول بأن الاسلام دين الأمان والسلام والمحبة والتسامح والصفح ، لم ينتشر -
ولا ينتشر ولن ينتشر - الا عن طريق التجارة والقُدوة والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ؛
وان هذا الدين لا يبدأ أحدا بهجوم الا اذا اعتدى عليه ، وآخر الدوا الكسبي ؛
وانه لا يتدخل في شؤون البلاد والمعاهد المجاورة له المخالفة له الا اذا تحرش
هو ، فيه أو اعتدوا عليه .

وهؤلاء الماكرون يسكنون بالمعاصر الوسط ويلعبون على الحبلين - كما يقال -
فالذي لا يتفق معهم في أن الاسلام انتشر بالقوة والسيف والاكراه عليه أن يوافقهم
في القول المفاهيم لهذا الاتجاه تماما - والذي لا خيار فيه - وهو أنه لم ينتشر
بالجبر بل انتشر بالقُدوة والدعوة والتجارة والحكمة .

وقد ركز هؤلاء الخبثاء على حوادث معينة ، أحسن المسلمون فيها معاملة
أعدائهم - الحربيين والمعاهدين وأهل الذمة - لا يهائم المسلمين أن طبيعة الاسلام
السمة لا تحتاج الى استعداد وجهاد ، ولو حصل اعتداء على الاسلام والمسلمين
فانه يرد عليه ، ولكن بأدب الاسلام العظيم .

كلمات حق جميلة ، يراود بها طاس حق واظهار أباطيل . يراود بها أن يترك
أبناء المسلمين الاستعداد للجهاد ويكتفوا بالكلام ، وأن يرددوا قول الشاعر
في مدحنا :

ملكنا فكان المفو منا سجيصة

فلما ملكتم سال بالدم أمطح

وما عجب هذا التفاوت بيننا

فكل انا بالذي فيه ينضح

لقد نجحت هذه المحاولات الخبيثة التي يراود بها صرفنا عن واجبين فسي
انقاذ الانسانية من الخسيران الجبين في الدارين ، فقامت شخصيات اسلامية

مرموقة بالدعوة لزمامة الأديان ، وعقدت مؤتمرات لهذا الغرض*، وفند المهزومون
 كون الجهاد هجوميا كما هو دفاعي ، ولم يفرقوا - كما خطط لهم - بين إزالة
 العقبات والمعوائن من طريق الدعوة وبين الإكراه على اعتناق الدين .
 والآن إلى دحض أهم افتراءاتهم وهي : الغربة النسيجية والغربة الاقتصادية
 والغربة الدفاعية - التي يشترك معهم فيها من وقع تحت تأثيرهم من المسلمين .

* انظر حسين عبدالهادي : دعوى تقارب الأديان (مجلة كلية الشريعة
 بأبها عدد ٢ ص ٥٢٦ / ١٤٠١ هـ .

((ان الاسلام دين الله الأخير الذى يتكفل بهداية البشرية الى يوم يرث الله الأرض ومن عليها . وعليه تتوقف نجاتها وخلصها وصلاحها وفلاحها . فلا بد - اذن - أن يبقى الى يوم القيامة يوجهها فى دينها ودنياها ، وينير لها الطريق فيما يتصل بأولها وآخرها .)) (١)

وان قتال أعداء الله والجهاد فى سبيل الله مقصود به :

تحرير البشر من عبودية غير الله وصرفها لله عز وجل وحده ، ثم تأمين حرية الدعوة ونشرها بين العالمين ، وإزالة العقبات والعوائق التى تحول بينها وبين الوصول الى الناس .

والمجاهد المسلم لا يقاتل - ولا يهد نفسه لذلك - الا لتكون كلمة الله هى العليا : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله)) . (٢)

واذا تحقق النصر على يديه فانه يشكر الله عز وجل ، ويوقن - فى الوقت نفسه - أن هذا النصر ليس الغاية النهائية من جهاده فى سبيل الله وانما هو عاجل بشرائه ، وهو وسيلة لأعظم غاية ، ألا وهى رضوان الله تعالى والفوز بالجنة والنجاة من النار ، وأكرم بها من وسيلة .

فليست الغاية من الجهاد الاسلامي - كما هو الحال فى الحروب الجاهلية - سفك الدماء أو اذلال العباد أو تخريب الديار أو فرض السيطرة على الآخرين . بل هو فى الله وله . ولولا سيف الحق الذى انتصاه المجاهد فى سبيل الله لما انتشر النور والتوحيد والهدى فى أرجاء المعمورة .

(١) الندوى : التفسير السياسى للإسلام ص ٢ .

(٢) البخارى : ٢٢٣/٤ .

ولمسل من ناظة القول التذكير بأن المسلمين الأوائل - كأبي بكر وعيسى
وزيد وطلحة وعثمان والزيير وسعد (رضى الله عنهم أجمعين) - دخلوا في دين
الله . والاسلام لا يزال غضا طريا ، والكفر ضارب أطنابه في الأرض ، وكل من
أسلم في العهد المكي ناله الأذى والاضطهاد - حتى رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - ، فهل يصدق عاقل أن الاسلام انتشر بالقوة أو الجبر
بين هؤلاء الصحابة الكرام ؟ .

ولماذا تحمل هؤلاء من العذاب ما لا يحتطه البشر في سبيل عقيدتهم ؟
وهل السيف والاكراه هما اللذان حملا الأوس والخزرج - رضى الله عنهم -
على الدخول في دين الله أفواجا ؟ .

ولماذا انتشر الاسلام بعد صلح الحديبية بين القبائل العربية عن غير
طريق الحرب ، أكثر مما انتشر بعد قيام الممارك ؟ ولو أن المسلمين دخلوا
الدين عن طريق القوة ، فلماذا لم يتغلوا عنه حين ذهاب سلطان الاسلام عنهم ؟
ولماذا بقوا متمسكين به في الحروب الصليبية والدمار التترى ؟ وما السبب
أجبر المغول فيما بعد على اعتناق الاسلام ، مع أنهم الأقويا وغيرهم مستضعفون ؟ .
وان بقا أتباع اليهودية والنصرانية في البلاد العربية حتى اليوم ، لأكبر
دليل على أن الاسلام لا يكره الآخرين على اعتناقه ، والا لقضى على اتباع
هاتين الديانتين ولأجبرهما على اعتناق الاسلام من أول يوم . مع الإشارة
الى أن النصارى فعلوا ما تقصم عنه الأبدان ولا يكاد يصدق عاقل ، في الحروب
الصليبية في المشرق وفي المغرب - الأندلس - ، ولا تكاد تجد مسلما واحدا
في الأندلس اليوم مع أن المسلمين حكموها عدة قرون . .

ولا تنسى ما فعله يهود في ديرياسين ، وما فعله اليهود والنصارى
في لبنان - وخاصة في مخيم صبرا وشاتيلا - .

كيف ينتشر الاسلام بالعنف والقسوة فى أمة يقول رسولها - صلى الله عليه وسلم -

((من قتل معاهدا فى غير كتبه* حرم الله عليه الجنة)) (١) . ٤ .

وفى رواية أخرى : ((ما من عبد يقتل نفسا معاهدة الا حرم الله عليه

الجنة وراعتها أن يجدها)) . (٢)

ان الاسلام يحرص دعوته على الناس سلميا ، فان وقف أمامه حاجز يعيق
البشر عن استماع ما جاء به من هدى ونور وبرهان فانه يزيل هذا العائق
من وجه الدعوة - كما ذكرنا ذلك آنفا - ويضئ فى طريقه داعيا العباد الى
الدخول فيه أو اعطاء الجزية أو القتال .

أما بالنسبة للوثنيين فلا يقبل منهم الا اعتناق الدعوة أو السيف . وكتابة
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى السنة السابعة للهجرة الى طوك الأرض (٣)
يدعوهم فيها الى الاسلام لئلا على أن هذا الدين لا يشهر السيوف فى وجه
أعدائه من أول يوم وانما - كما يقال - آخر الدوا* الكى .

ولنستمع لواحدة من الرسائل التى أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
بكتابتها ، وأرسلها مع دحية الكلبي - رضى الله عنه - الى هرقل عظيم الروم :
((بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم .
سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فانى أدعوك بدعاية الاسلام . أسلم
تسلم . وأسلم يؤتلك الله أجره مرتين . وان توليت فان عليك اسم

(١) أخرجه أحمد فى المسند ٣٦/٥ و ٣٨ ،

والنسائي : السنن ٢٥/٨ .
وأبو داود : السنن ١١١/٣ .

والدارقطني : السنن ٢٣٥/٢ . واسناد حسن انظر عون المعبود ٤٤١/٧
ومعنى كتبه* وقته الذى يجوز فيه قتله .

(٢) أخرجه أحمد فى المسند ٣٦/٥ و ٣٨ ، والنسائي : السنن ٢٥/٨ .
والحاكم : المستدرک ١٢٦/٢ وقال : صحيح على شرط البخارى ووافقه الذهبي .

(٣) انظر أسما* الرسل والمرسل اليهم وما جاء فى هذه الرسائل فى :
خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ص ٧٩ .

والخراساني : السنن (القسم الثانى) ٢٠٠/٣ =

الاريسيين . (١)) ويا أهل الكتاب تعظوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) (آل عمران : ٦٤) *

= وابن الأثير : أسد الغابة ١ / ٧٣ .

وابن كثير : المختصر ١ / ١٤١ ،

وطي السبكي : الرسا تل النبوية ص ١٢٨ فما بعدها .

ومحمد حفيد الله : مجموعة الوثائق السياسية ص ٧٢ - ١١٣ .

(١) وفي هذا الكتاب جمل من القواعد والفوائد : منها : دعاء الكفار الى الاسلام قبل قتالهم . ومنها : استحباب تصدير الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم وان كان المبعوث اليه كافرا . ومنها : التوقي في الكتابة واستعمال الورق فيها ، فلا يفرط ولا يفرط ، ولهذا قال (صلى الله عليه وسلم) : عظيم الروم ولم يقل : ملك الروم لأنه لا ملك له ولا غيره الا يحكم دين الاسلام . ولم يقل : الى هرقل فقط بل أتى بطوخ من الملائكة فقال : عظيم الروم . أي الذي يحظمونه ويقدمونه . وقد أمر الله تعالى بالآلة القول لمن يدعى الى الاسلام ، ومنها : استحباب البلاغة والابتنافز وتحري الألفاظ في المكاتبة . ومنها : البيان الواضح أن من كان سببا لضلالة أو سبب منع من هداية كان أثما ، لقوله (صلى الله عليه وسلم) : (وان توليت فان عليك اثم الأريسيين) . ومنها : استحباب أما بعد في الخطب والمكاتبات .

ومعنى بدعاية الاسلام : أي بدعوت ، وهي كلمة التوحيد . وفي رواية أخرى : (أدعوك بدعاية الاسلام) ، وهي بمعنى الأولى ، ومعناها : الكلمة الداعية الى الاسلام .

والاريسيين : هكذا وقع في هذه الرواية الأولى في سلم ، وهو الأشهر في روايات الحديث وفي كتب أهل اللغة . ووقع في الرواية الثانية في سلم وفي أول صحيح البخاري (اليريسيين) ، واختلفوا في المراء بهم على أقوال : أصحها وأشهرها أنهم الأكارون أي الفلاحون والزارعون . ومعناه : ان عليك اثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك . ونبه بهذا على جميع الرعايا لأنهم الأغلب ولأنهم أسرع انقيادا . فاذا أسلم أسلموا وإذا استنعت استنعتوا (وهذا القول هو الصحيح) . الثاني : =

وسنورد فيما يأتي كلام بعض الأساتذة الذين أثبتوا أن الاسلام لم ينتشر
بالسيف أو الجبر والاكراه ، بل انتشر عن طريق الاقتناع به بالحكمة والموعظة
الحسنة ، وفرق كبير بين تعظيم الحواجز من أمامه وإزالة الطواغيت وظلمهم
عن كواهل عباد الله ، وبين الاكراه على اعتناق مبادئه ، فقد قال تعالى :
" لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله
فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم " (البقرة : ٢٥٦) .
وقال تعالى : " أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين " (يونس : ٩٩) .

يقول الأستاذ العقاد - رحمه الله - : ((في نحو مائة سنة - وصلت
الدعوة الاسلامية من مكة الى حدود الهند والصين شرقا وإلى شواطئ البحر
الاطلسي غربا . ودخل في الاسلام معظم القاطنين بين عذبة الطرفيين .
وفي أقل من خمسين سنة شاع الاسلام بين أبناء القارة الافريقية الذين اتصلوا
بالبلايا الاسلامية .

((و جاء الاستعمار الأوربي في القرن التاسع عشر للميلاد فوجد الاسلام
منتشرا - ولا يزال ينتشر بين هؤلاء الافريقيين . وحاول المبشرون أن يدركوه
فلم يستطيعوا بعد خمسين سنة أن يقنعوا بدعائيتهم القوية الغنية عشر السعد
الذي دان بالاسلام بغير دعاية منتظمة ولا غراء)) (١)

== أنهم اليهود والنصارى وهم أتباع عبد الله بن أرمس الذي تنسب اليه الروسية
من النصارى ولهم مقالة في كتب المقالات ويقال لهم الاروسمون . الثالث :
أنهم الملوك الذين يقودون الناس الى المذاهب الفاسدة ويأخرونها بها .
انظر تعليقات المرحوم محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم ١٣٩٦ / ٢ .
وانظر معنى الاريسمين في كتاب غريب الحديث للخطابي ٤٩٩ / ١ و ٥٠٠ .
* قلت : من من المسلمين اليوم كتب لزعماء الدول الكبرى يدعوه فيها الى
الاسلام اقتداء برسول الهدى - صلى الله عليه وسلم - ؟ .

(١) عباس محمود العقاد : ما يقال عن الاسلام ص ١٥٧ .
وانظر كتاب الاسلام لأحمد شلبي ص ١٩٣ - ١٩٧ .

ويقول الاستاذ العطار :

((أى سيف حطه الاسلام فى أندونيسيا والصين والفلبين والحبشة
وافريقية الشرقية والغربية والوسطى ؟ وأى سيف أدخل كل مدن مصر وقراها
والهند وسيام والقرم وغيرها من الأقطار ؟ بعض المدن دخلها الاسلام عنوة -
وهى معدودة - وأما سائر المدن والقرى فقد دخلت فى الاسلام طوعا
واختيارا .

((وأى سيف أدخل ملايين السود والبيض فى أمريكا وأوروبا فى هذا العصر ؟
وأى دم أهرقه الاسلام عند دخوله أقطار القارات جميعها ؟

((وان الدم الذى أجرته الأمم الصليبية فيما بينها من حروب عدوانية
أنهار ما تزال جداولها تجري حتى الآن . أما الدم الذى سأل بسيف الاسلام
فلا يعد وأن يكون قطرة فى هذه الأنهار المسيحية . .) (١) .

((ولا يبره عدد المقتولين من الفريسيين - المسلم والكافر - فى جميع الغزوات
والسرايا والمناوشات التى ابتدأت من السنة الثانية للهجرة ودامت الى السنة
التاسعة على : ألف وثمانية عشر نفرا . المسلمون منهم (٢٥٩) والكفار (٧٥٩) (٢) .
ويقول الاستاذ حسين مؤنس : ((والفتوح فى العصر الراشدى وما بعده
ما كانت قط حروبا على شعوب وانما على أعداء الشعوب . فلم يحارب العرب (٣)

(١) أحمد عبد الغفور العطار : انسانية الاسلام ص ٩٨ و ٩٩ .

(٢) الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٢٩٠ .

(٣) من الملاحظ أن الكاتب يستعمل لفظ (العرب) بدلا من لفظ (المسلمين) .
ومعروف أن الجيش الاسلامى كان من أجناس متعددة جمعتهم عقيدة التوحيد
ولم يكن من العرب وحدهم . ومن العرب من وقف فى جانب الفرس والبروم
ضد المسلمين . ومن العرب من لا يزال يهوديا أو نصرانيا الى اليوم . .

أهل الشام أو أهل مصر . وإنما حاربوا الروم الذين كانوا يمسخرون أهل الشام وأهل مصر لمصالحهم ومصلح دولتهم ، وكانوا يعارضون دخول الاسلام تلك البلاد حفاظًا على مصالحهم ، فلما انكسرت شوكة الروم ترك العرب أهل الشام وأهل مصر ليتعرفوا على الاسلام ويدخلوا فيه اذا أرادوا .
 ((ولم تكن الحروب للاستيلاء على البلاد ، بل لانتزاعها من فاصبيها وردّها الى أهلها ، وتركهم بعد ذلك أحرارًا في أن يؤمنوا أو لا يؤمنوا)) (١)

(١) حسين مؤنس : الاسلام الفاتح ص ٧ و ٢٨ بتصريف .

محضر الفريضة الاقتصادية :

ان الانسان العاقل لا يمكن أن يزهق روحه في سبيل أشياء مادية ثانوية ،
فما بالك بالمسلم العادى ، فما بالك بالصحابة الكرام الذين هم خير أمة
أخرجت للناس ؟ .

لقد كان الصحابة (رضوان الله عليهم) الذين فتحوا البلاد ونشروا فيها
الاسلام يفضلون الموت على الحياة - كما سنرى فيما بعد باذن الله - فى معاركهم
الحربية مع أعداء الله .

يقول شيخنا الغزالى - حفظه الله - .

((ان الانسان ربما يحارب على الخبز . . ولكنه لا يطلب الشهادة فى سبيله .
ان الانسان يريد أن يظفر بالطعام ليعيش به ، لا أن يموت فى طلبه . فما بال
هؤلاء العرب المسلمين جلبوا الموت حيثما ذهبوا ، وحرقوا العيش أينما توجهوا ؟ .
(ما بالهم وقد فتحت لهم مصر ورأوا الخصب فى أرضها ورغد العيش على ضفاف
نيلها ، جاوزوها الى صحارى النوبة وسهوب افريقية ؟ ما بالهم وقد فتحت لهم
الأندلس ورأوا النعيم المقيم ، جاوزوا جبال البرانس ليستشهدوا فى سلاط
الشهد ؟)

((وما بالهم يتركون النعيم والخير المقيم والعز المقيم فى الأرض التى
سيطروا عليها ، ليجوزوا فيأفسى قاحلة ، ويحاربوا أقواما غلاظا شدادا فى
بلاد تنتظرهم فيها قبورهم ؟ .

ان الأمر أعظم ما توهموا وأسى ما قالوا . (((١) .

((لقد صارع المسلمون الشرك في قلب الجزيرة العربية أكثر من عشرين عاما ، سقط خلالها من خميرة المسلمين في الغزوات وحروب المرتدين والتبغيين ومانعي الزكاة ، وكانت كل هذه الحروب تدور رحاها في البادية القفراء بعيدة عن الأعطام في موالحن الخصب بالشمال .

((وطالما حاول المسلمون الانتصار دون حرب وغنائم ، كما حصل في فتح مكة . وطالما حصلوا على غنائم ثم ردوها لأصحابها بعد إسلامهم كما حصل في حنين والطائف .

((وقد وقعت معارك عنيفة داخل صفوف المسلمين ، بدأت بموقعة الجمل واستمرت بعد ذلك وسقط آلاف الضحايا في هذه المعارك ، وما كانت تضيق أرضا خصبة ولا هنا ولا هناك .)) (١) .

لقد كانت غوطة دمشق وصعيد مصر وسواد العراق (٢) ، تكفي المسلمين - بل وتزيد عن حاجتهم المادية - قنادا فتحوا غيرها من البلاد غير الخصبة ؟ وقد اتهم المسلمون بهذه التهمة - الاقتصادية - منذ فجر الاسلام ، وفكر أعداء الله بهذا التفكير - المادي - ، ولكنهم ردوا على أعقابهم أمام صلابة المسلمين واستعلائهم على متاع الأرض .

فليس من بواعث الجهاد الاسلامي ، الحصول على مال أو متاع أو مفسنم أو جاه أو سلطان ، أو الاستيلاء على أراض جديدة ، أو نهب خيرات البلاد والعباد ، إنما الهدف الأول والأخير من الجهاد : هو نشر دعوة الله في الأرض وحمايتها وتحرير البشرية من كل ظلم وطاقسوت .

(١) أحمد شلبي : الاسلام ص ٢٠٧ و ٢٠٨ .

(٢) سمي سواد العراق بذلك : للخضرة التي في النخيل والشجر والزرع ، لأن العرب قد تلحق لون الخضرة بالسواد فتضع أحدهما موضع الآخر .

وقيل : سمي بذلك لأن العرب حينما جاؤوا نظروا الى مثل الليل من النخيل والشجر والماء .

انظر الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١٢/١ .

وهذه أمثلة تبين لنا أن ليس من أهداف المسلمين الحصول على الدنيا ومغانمها بقدر هداية الناس إلى الصراط المستقيم ، وأن الدنيا إذا جاءت فهي عرضية وليست الغاية الكبرى أو الهدف المنشود . وتبين لنا أن أعداء هذا الدين ظنوا - من بداية الدعوة - أن أتباع هذا الدين يسعون لتحقيق أهداف مادية .

جاء في تهذيب السيرة :

((ثم ان أشراف قريش من كل قبيلة ، وهم عتبة بن ربيعة ، وأخوه شيبعة ، وأبوسفيان ، والنضر بن الحارث ، وأبو البختري بن هشام ، والأسود بن المطلب ، وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي أمية ، والحاص بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، وأمية بن خلف . اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - فكلّموه وخاصّموه حتى تعذروا فيه . فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك فأتهم . فجاءهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سريعا وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بدا . وكان - صلى الله عليه وسلم - عليهم حريصا يحب رشدهم ويمرّ عليهم عنّتهم . حتى جلس إليهم . فقالوا له : يا محمد . انا قد بعثنا إليك لنكلمك . وانا والله مانع من رجل من العرب أن يدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء وعبت الدين وشتمت الآلهة وسفّيت الأحلام وفرقت الجماعة ، فما بقي أمر قبيح الا قد جئته فيما بيننا وبينك .

فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا . وان كنت انما تطلب به الشرف فينا ، فنحن نسودك علينا .

وان كنت تريد به ملكا ، ملكناك علينا . وان كان هذا الذى يأتىك
رئيا تراه قد غلب عليك ، بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك
منه أو نعذر فيك .

فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (ما بهى ماتقولون . ما جئت
بما جئتم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الطلح عليكم ، ولكن الله بعثنى
اليكم رسولا ، وأنزل على كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا . فبلغتكم
رسالات ربى ونصحت لكم . فان تقبلوا ما جئتمكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ،
وان تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم) ، (١)

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : (بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
خيلا قبل نجد . فجاءت برجل من بنى حنيفة يقال له (ثاممة بن أشمال)
سيد أهل اليمامة . فربطوه بسارية من سواري المسجد . فخرج رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - : (ماذا عندك يا ثاممة) ؟ (٢) فقال : عندى يا محمد
خير . ان تقتل تقتل ذا دم (٣) ، وان تنعم تنعم على شاكرك . وان كنت تريد
المال فسل تعط فيه ما شئت .

(١) عبد السلام هارون : تهذيب السيرة ٦٦ و ٦٧ .

والأصبهاني : دلائل النبوة ١ / ٧٥ و ٧٦ .

(٢) ماذا عندك يا ثاممة : أى ما الظن بيني أفعل بك ؟

(٣) ان تقتل تقتل ذا دم : أى ان تقتل تقتل صاحب دم ، لدمه موقع

يشتفى بقطه قاتله ، ويدرك قاتله به ثأره أى لرئاسته وفضيلته ، وحذف
هذا لأنهم يفهمونه فى عرفهم .

وقيل : تقتل من عليه دم مطلوب به وهو مستحق عليه ، فلا عتب
عليك فى قتله .

فتركه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى كان بعد الغد . فقال :
 ما عندك يا ثمامة ؟ قال : ما قلت لك . ان تنعم تنعم على شاكر ، وان تقتل تقتل
 ذاك ، وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت . فتركه رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - حتى كان من الغد . فقال : ماذا عندك يا ثمامة ؟
 فقال : عندي ما قلت لك . ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذاك ،
وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 اطلقوا ثمامة . فانطلق على نخل (١) قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل
 المسجد فقال : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
 يا محمد . والله ما كان على الأرض وجه أبغى إلى من وجهك فقد أصبح وجهك
 أحب الوجوه كلها إلى ، والله ما كان من دين أبغى إلى من دينك فأصبح دينك
 أحب الدين كله إلى . والله ما كان من بلد أبغى إلى من بلدك فأصبح بلدك
 أحب البلاد كلها إلى . وان غيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى ؟
 فبشره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمره أن يمتصر . فلما قدم مكة
 قال له قائل : أصبوت (٢) ؟ فقال : لا ولكني أسلمت مع رسول الله -
 صلى الله عليه وسلم - ولا والله . لا يأتكم من اليمامة حبة حنطة حتى يسأذن
 فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٣)

(١) فانطلق إلى نخل : انطلق إلى نخل فيه ماء فاغتسل منه .

(٢) أصبوت : أى أخرجت من دينك ؟

(٣) مسلم ١٣٨٦/٣ .

وأبو داود : السنن ٧٦/٣ .

(وجاء رجل من الأعراب الى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأمن به واتبعه . فقال : أهاجر معك ، فأوصى به بعض أصحابه . فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئا ، فقسمه ، وقسم للأعرابي ، فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهريهم ، فلما جاء دفعوه اليه . فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم قسمه لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فأخذه فجاء به الى النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فقال : ما هذا يا رسول الله ؟ قال : قسم قسمته لك . قال : ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أرمى ههنا - وأشار الى حلقه - بسهم ، فأموت ، فأدخل الجنة ، فقال : أن تصدق الله بصدقك ، ثم نهضوا الى قتال المدو ، فأتى به الى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو مقتول . فقال : هو هو ؟ قالوا : نعم . قال صدق الله فصدقته . فكفنه النبي - صلى الله عليه وسلم - في جيبته ، ثم قدمه فصلى عليه . وكان ممن دعاه له : اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك قتل شهيدا ، وأنا عليه شهيد) . (١)

(لما جج هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين اقبالهم اليهم لوقعة اليرموك . ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج . وقالوا : قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم ، فأنتم على أمركم . فقال أهل حمص : لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعن مع عالمكم جند هرقل عن المدينة) . (٢)

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٥٤٥/٣ ،

والنسائي ٦١/٤ ومن طريقه البيهقي (في السنن الكبرى ١٥/٤ و ١٦)
واسناده صحيح ورجالها ثقات .

(٢) البلاذري : مفتوح البلدان ص ١٨٧

هذه الحوادث - وغيرها من الحوادث تثبت للأعداء قبل الأصد قسما -
مع أننا لسنا بحاجة لشهادة الأعداء - أن الفتوحات الإسلامية تابعة من العقيدة
الإسلامية ومرتكزة عليها ، وأنه لاصلة للجهاد بالاقتصاد لا من قريب ولا من
بعيد .

وها هو ذا عبادة بن الصامت (رضى الله عنه) يقول للمقوقس عظيم القبط :
(أما ما تخوفنا به من جميع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم فلم نسرى
ما هذا بالذى تخوفنا به ولا بالذى يكسرنا عما نحن فيه . وإن كان ما قلتم حقا ،
فذلك والله أرغب ما يكون فى قتالهم ، وأشد لحرصنا عليهم ، لأن ذلك أعذر
لنا عند الله إذا قد منا عليه ، ان قتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا من رضوانه وجنته ،
وما من شئ أقر لأعيننا ولا أحب إلينا من ذلك . وانا منكم حينئذ على إحدى
الحسينيين ، أما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا ان ظفرنا بكم أو غنيمة الآخرة
ان ظفرتم بنا ، وانها لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا .

وأن الله عز وجل قال لنا فى كتابه ((كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
والله مع الصابرين)) . (البقرة : ٢٤٩) .

وما منا من رجل الا وهو يدعوره صباح مساء أن يرزقه الشهادة والأيرده
الى بلده ولا الى أرضه ولا الى أهله وولده .
وليس لأحد منا هم فيما خلفه ، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده ،
وانما همنا ما أمانا .

وأما قولك : انما فى ضيق وشدة فى معاشنا ومالنا ، فنحن فى أوسع
السعة ، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه .

فانظر الذى تريد فبينه لنا فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك ولا نجيبك اليها الا هبطة من ثلاث (١)

(أرسل رستم الى سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - يسأله توجيه بعض أصحابه اليه . فوجه اليه المغيرة بن شعبه - رضى الله عنه - فقال له رستم : قد علمت أنه لم يحطكم على ما أنتم فيه الا ضيق المعاش وشدة الجهد ، ونحن نعلمكم ما تشبهون به ونصرفكم ببعض ما تخبون . فقال المغيرة : ان الله بعث الينا نبيه - صلى الله عليه وسلم - فسمعنا بأجابته واتباعه . وأمرنا بجهاد من خالف ديننا حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون . ونحن ندعوك الى عبادة الله وحده والايمان بنبهه - صلى الله عليه وسلم - والا فالسيف بيننا وبينكم) . (٢)

(كتب عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - الى عامله على مصر - أن يضع الجزية عن أسلم من أهل الذمة . فكتب اليه عامله يراجعها ويقول : ان الاسلام قد أضر بالتجزية ، وأن خزائن الحكومة قد فضبت مواردها . فكتب اليه عسر يؤنبه ويحززه ويقول له : (ان الله بعث محمدا - صلى الله عليه وسلم - هاديا ولم يبعث جابها) . (٣)

هذه الحوادث كلها تسجل بمداد من نور فى سجل الحروب البشرية ، وتثبت للعالمين أن غاية الجهاد الاسلامى : هى أن تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

(١) ابن تفرى بردى الأتابكى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ١٤ / ١ .
والسيوطى : حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ١١٢ / ١ و ١١٣ .

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٣٥٨ .

(٣) محمد عنان : مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام ص ٢٨ . وفى رواية (والله لو دلت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا) .

انظر ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨١ .

لقد حكم الاسلام أجيالا كثيرة وقرونا طويلة وأجناسا متنوعة وأرجاء واسعة . . .
كان الفرد والمجتمع والدولة خلال حكمه أكثر الناس أمنا وطمأنينة وسعادة واستقراراً
في الحياة ، وأبعد الخلق عن مشاكل الحياة .

وان من واجب مفكرى الاسلام اليوم أن ينطلقوا - من استعلائهم بايمانهم -
في اتجاهين :-

الأول : تكرار القول بأن شبهات أعداء الدين هي افتراءات وأباطيل وليست
شبهات ، وأن كل ما يتعلق بالاسلام فوق الاتهام . وصدق الله العظيم ؛
" كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا " (الكهف : ٥) .

والثاني : أخذ زمام المبادرة من الأعداء ، والهجوم على باطلهم ، ثم الاستشهاد
بكلام عقلائهم ومفكرهم بأن حضارة الغرب في طريقها الى الانهيار .

ويطول بنا المقام لو تتبعنا كل افتراء ودحضنا له ولكننا نقول بإيجاز : اننا
نرفض القيام بدور الحاماة عن الاسلام ، لأنه : " تنزيه من رب العالمين " (
الحاقة : ١٤) . وهذا المنطق - في نظري - جريمة كبرى تعدل جريمة القاء

الشبهات والشكوك حولها . والآن نعرض أكثر الناس أمنا وطمأنينة وسعادة واستقراراً
من امن وهو الذي يرى أن تثبت له أن أيادى أحكام الاسلام صحيحة ومناسبة
ولا تتعارض مع العقل والمنطق ؟ . انهم لا يستطيعون الاستشهاد بانفسهم .

والتي هي تلك الذرة الضعيفة المبتوثة في هذا الكون الفسح ، الذي لسم
يكشف أسرار لفيله بله أسرار للكون من حولها ؟ . من اسرار الله ؟

وصدق الله العظيم : " فانها لا تغطى بالأبصار ولكن تهيىء العيون للنسقى :

في الصدق قوله (العج : ١٤) . من طيور الانعام التي لا تغطى بالابصار .

والتي هي تلك الذرة الضعيفة المبتوثة في هذا الكون الفسح ، الذي لسم

انظر كتاب شيخنا محمد قطب (شبهات وعول الاسلام) من منشورات دار

الاسلام ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٠ م .

والتي هي تلك الذرة الضعيفة المبتوثة في هذا الكون الفسح ، الذي لسم

يكشف أسرار لفيله بله أسرار للكون من حولها ؟ . من اسرار الله ؟

دحض الفريسة الدافعية :

أشاع هذه الفرية وروجها أشد المستشرقين خبثا وحدا ودهاءا وكراهية للإسلام والمسلمين .

ومؤدى هذه الفرية : أن البلاد لم تفتح بسيف الجاهدين ، وأن الإسلام لا يشهر سيفاً في وجوه منائمه إلا إذا بدؤوه هم بالهجوم عليه ، وأن الحروب الإسلامية لم تكن لنشر عقيدة التوحيد بل هى - فحسب - لرد اعتداءات الآخرين . ووضع المستشرقون هذه الفرية بخلاف براق - باطنه فيه السم الناقع ، وظاهره فيه الرحمة والعدل - حتى يركن اليهم المسلمون ويقولوا - كما حدث وتوقعوا - . (الحمد لله . ان بعض المستشرقين تخلى عن عصبته وحقد ، وصار هدفهم الوصول الى الحقيقة لاغير ، وهما هو قسم منهم يدافع عن الإسلام بحرارة . هاهم يقولون - لا كما قال المتعصبون منهم - ان الإسلام لم ينتشر بالسيف ، ولا يحمل دعوته للمخالفين ، ولا يمتدى إلا إذا اعتدى عليه ، ولا يفكر فى حرب من لم يحاربه) . والحقيقة التى غابت عن الكثيرين أن كلام هؤلاء المستشرقين هو استدراج للمغفلين والجاهليين طيعة هذا من المسلمين .

ولا يهدف هؤلاء الأعداء إلا الى تحقيق حاجة فى نفوسهم هى ذبح المسلمين بسيف من ذهب !

نعم . قد يقول هؤلاء كلاما جميلا عن الإسلام فينصفوه ، ولكنهم يهدفون من وراء ثنائهم على الإسلام أن يطمئن القارئ اليهم ، فإذا وثق بنزاهتهم وبحشم العلى . قالوا ما يريدون ، من غمز ولمز وتحريف للكلم عن مواضعه وتركيز على شئ معين بالذات . واستمروا بعد ذلك - وقبل ذلك - فى مدحهم الإسلام والمسلمين كأنهم لم يسيئوا للإسلام والمسلمين . وذلك اشعارا للقارئ أنهم أسدوا للإسلام خدمة جليلة بدفاعهم عنه ، وأنهم طلاب حقيقة لاغير .

وقد تحقق ما أراد - وخطط له - هؤلاء الأعداء ، ونجحوا في ذلك نجاحا باهرا . وكان من نتيجة هذا الأسلوب الجديد في حرب الاسلام والمسلمين أن وقع معظم الكتاب المسلمين المحدثين - المهزومين أمام الفكر اليهودي الصليبي الوثني الشيوعي الحاقد الماكر - في حبال المستشرقين ، وقصروا مبدأ الجهاد الاسلامي على الدفاع فحسب ، مجارة لهؤلاء الأعداء .

والرد على هذه الفرية الدفاعية ، هو رد على الباحثين المسلمين ورد كذلك على المستشرقين والمستغربين . وهو تأكيد كذلك على أن بواعث الجهاد الاسلامي وغاياته هي : تحرير الانسانية من كل عبودية لرب البرية .

وفي الوقت الذي كان فيه تلاميذ المدرسة العقلية الحديثة يسبحون لأعداء الله بوضع الاسلام في قفص الاتهام ثم يقومون هم بدور المحامي عنه ، والتنازل أثناء ذلك عن أشياء من العقيدة الاسلامية - لئلا يقال بأن الاسلام لا يصلح لكل زمان ومكان أو يتعارض مع المدنية الحديثة - جاءت كتابات الأستاذين الجليلين أبي الأعلى المودودي وسيد قطب - عليها الرحمة والرضوان لتقلب هذه الأوضاع الجاهلية رأسا على عقب ، ولتعيد الثقة بالاسلام في نفوس أتباعه من جديد ، ولتهدم معاول الباطل وتفرقها شذرا مذر .

نعم . لقد يسر الله تعالى لهذه الأمة الاسلامية مجدد في القرن الرابع عشر الهجري ، الإمام حسن البنا (في البلاد العربية) والإمام المودودي (في البلاد غير العربية) ففطننا لكائد الصليبية واليهودية العالمية ، وقاما بشرح مبادئ الاسلام وحقائقه بين الناس ، وسنا سنة حصنة بالقيام بأخذ زمام المبادرة من الأعداء ، والهجوم على جاهلية القرن العشرين وكشف معايها للعيان .

وربما جيلا من المسلمين آمن بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد -
صلى الله عليه وسلم - نبيا ورسلولا .

وتبعهما في هذا الطريق زائد الفكر الاسلامي المعاصر الاستاذ سيد قطب
- رحمه الله - فكتب عن الاسلام باستعلاء ، ورفض أن يتدسس بهذا الدين
تدسسا - لأي كان - ، وشن هجوما عنيفا على الجاهلية المعاصرة ، وانتقد
بشدة ما ذهب اليه المحدثون - الذين وقعوا تحت ضغط الهجوم الاستشراقي
المكرر - من مجارة أعداء الله .

ثم بين بما لا مزيد عليه تعريف الحاكمية وأهميتها ودورها ، وأزال كذلك
ماران على مبدأ الجهاد من ركام ، فكان كتابه الظلال (في ظلال القرآن)
وجاء كتابه المعالم (معالم في الطريق) .

وهؤلاء الرواد الثلاثة (البنا والمودودي وقطب) كان لهم أكبر الأثر في
تربية الجيل على الجهاد ، وكانت كتاباتهم عن الجهاد ضوئا أنار أفئدة
المؤمنين وكشف مكائد الجرمين وبدد ظلمات المعاندين . *

والحقيقة أن هؤلاء الأئمة - رحمهم الله - لم يأتوا بجديد لم يتطرق اليه
السلف الصالح في الحديث عن ضرورة سنام الاسلام (الجهاد) ، ولكنهم أزالوا
ما تراكم على الحقائق البدعية من ران - عبر السنين - وأعادوا الأمور إلى وضعها
الصحيح . ورفض هؤلاء الثلاثة ما ذهب اليه كثير من علماء المسلمين ، ممن
تنصيب أنفسهم محامين للدفاع عن الاسلام بعد وضعه في قفص الاتهام . ولسان
حالهم - رحمهم الله - يقول : (ان الاسلام - هذا الصلاق العظيم - أكبر
من أن يحاكم في محاكم الأقزام . ومن الظلم للاسلام اعتباره عملاقا لأنه أكبر
من هذه الكلمة - . ومن الظلم أيضا اعتبار أعدائه أقزاما ، لأنهم لن يصلوا
في يوم ما إلى مستوى الأقزام . ومن الظلم كذلك مجرد التفكير في محاكمة دين
الله العظيم !) .

* انظر كتاباتهم عن الجهاد في كتاب (الجهاد في سبيل الله) .

ولا بد من الاشارة في هذا الصدد الى أن من ذهب من المحدثين الى الدفاع عن الاسلام - بعد وضعه في قفص الاتهام (١) - هو اجتهاد منهم كما نظن - في خدمة الاسلام والمسلمين ، وهم مأجورون - بان الله - على نياتهم ، ولا نظن فيهم الا الحرص على الاسلام والخير للمسلمين . ولا بد من الاشارة كذلك الى أن من طمأ المسلمين ومفكرهم وكثابهم - كالأفسيه رشيد رضا ومحمد أبوزهرة ومحمود شلتوت وكلاستان العقاد (رحمهم الله جميعا) - من قد يكون أكثر اطلاعا على علوم الاسلام من أحد روادنا الثلاثة ، ولكن الاطلاع والمعرفة شئ ، وفقه الدعوة والاستعلاء والفتوحات الربانيه شئ آخر . ومن ناظرة القول التأكيد على أن الرجال ثمر ف بالحق ولا يعرف الحق بالرجال ، وكل انسان يؤخذ من قوله ويترك الا المعصوم (صلوات الله وسلامه عليه) .

وسنورد في هذا الفصل - ان شاء الله - ما قاله أحد هؤلاء المحدثين* الذي أصبح كتابه (آثار الحرب في الفقه الاسلامي) مرجعا لكثير من الدارسين للجهاد والعلاقات الدولية في الاسلام .

وسنورد بعد ذلك أسماء بعض من لم يفهموا حقيقة الجهاد الاسلامي وطبيعته التي وصل اليها روادنا الثلاثة - رحمهم الله - وهي أن الجهاد دفاعي وهجوم في الوقت نفسه (٢) ، وأنه تحرير لكل انسان في الأرض من كسل عبودية لغير الله عز وجل .

(١) انظر كتاب (الاسلام في قفص الاتهام) لشوقي أبو خليل ، وكل معنى :
 وأستفاد على من يظن أنه يحسن الى الاسلام شيئا بشئ هذا العمل . .
 (٢) يقول العلامة ابن باز - حفظه الله - : (والجهاد جهادان : جهاد طلب ودفاع . والمقصود منهما جميعا : هو تبليغ دين الله ودعوة الناس اليه) .
 انظر رسالته فضل الجهاد والمجاهدين ص ٣٨ .

* هو وهبة الزحيلي (هداه الله تعالى للرجوع الى الحق وعدم التماسي في الباطل) .

يقول وهبة الزحيلي : (اقلع الاسلام من قلوب المسلمين جذور الحق الذي ديني بالنسبة لأتباع الديانات السماوية الأخرى ، وأقر بوجود زمالة عالمية بين أفراد النوع البشري ، ولم يمنع أن تتعايش الأديان جنباً إلى جنب) .

ولا يصح للمسلمين وغيرهم أن يفهموا أن الدعوة المحمدية انتشرت تحت ظلال السيوف نتيجة لاقتراح ظهورها خارج الجزيرة العربية بظهور الدولة الإسلامية ، وامتزاج تاريخ الفتوحات السياسية والدولة بتاريخ الفتح الديني لأن قبول الاسلام كان بمعزل تام عن الخضوع لسلطان الدولة التي كانت مهمتها رد العدوان عن المؤمنين بالدين الجديد) .

(وأما حروب الاسلام ضد قريش والفرس والروم فانها لم تكن لنشر العقيدة بالسيف ، وإنما هي تأديب لمن يكفرون بحرية العقيدة الإسلامية ، ويفتنون الناس عما تؤمن به قلوبهم وتظلمن له عقولهم) .

(والحقيقة أن الدعوة بالعسني إلى الدين كانت في المدينة أيضاً ، وكل ما استجد في التشريع المدني هو الاذن بالقتال لرد العدوان وحماية الدعوة ، بعد أن قوى المسلمون ، وبعد أن تكونت لهم دولة وأصبح لهم وطن) .

(ولعل الأصول العامة - وهي الدعوة إلى مبدأ توحيد الاله الحقيق ، والمحافظة على النفوس والمقول والأنساب والأغراض والأحوال - التي يشترك فيها الاسلام مع بقية الأديان ، وعدم خروجه على المألوف في أذهان المتدينين بالأديان السابقة ، هي من الدعائم التي قبل الناس بها الاسلام) .

(ما هو الباعث على القتال عند المسلمين ؟ الجهاد شروع في الاسلام اضطراراً قال تعالى : " كتب عليكم القتال وهو كره لكم " (البقرة : ٢١٦) .

وفي الحديث : (إنا لله جعل عذاب هذه الأمة في الدنيا القتل) فسمي الجهاد عذاباً لهذه الأمة (١) ؟ .

(وقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) : الجهاد ماض الى يوم القيامة)
ولا يفهم من الفرضية أن الجهاد مبدأ هجومي عدواني ، وانما هو على المكس
مبدأ وقائي) . (وقد حققنا في ختام هذا البحث : أن موقف الرسول في كل
حروبه كان دفاعيا) . (فما كان المسلمون يهاجمون قوما بحرب الا بعد أن يظهر
منهم روح المداء ، ومعارضة الدعوة والوقوف في وجهها والتحقيق من شأنها) .
 (والجهاد وان بقى على الفرضية - والفرضية عند الزحيلي كما ذكر آنفا هي :
 مبدأ وقائي فحسب . . - فانه أداة عاقلة في يد المسلم ، وليس وسيلة طائشة
 تستعمل للسيطرة على العالم ، أو لتثبيت السلطان وتوسيع الطك ، أو لمحاربة
 الديانات الأخرى ، وتحويل دار الحرب الى دار الاسلام بدون مبرر كما يدعى
 بعض الكاتبين الغربيين) .

(والخلاصة : أن الأصل في علاقات المسلمين بغيرهم هو السلم . والحرب
 عارض لدفع الشر وإخلاء الدعوة من وقف أمامها . وتكون الدعوة الى الاسلام
 بالحجة والبرهان لا بالسيف والسنان) .

((وفقهاؤنا قرروا : أن الأصل في العلاقات هي الحرب ، دون أن يكون

لذلك سند تشريعي ، الا ما كان تصويرا منهم للواقع ، حيث كان الاسلام
 ككل دعوة جديدة ، معارضا من قبل الناس ، لأن مبادئ الاخوة الانسانية
 والمساواة بين الخلق ، والتكافل الاجتماعي ، ومبادئ الحرية والعدالة ، يخشاها
 الحكام ، لئلا يعجل بسقوط عروشهم . فعاربوا المسلمين ودام الصراع قرونا طويلة ،
 فاعتبر الفقهاء أن الحرب هي أصل العلاقات مع الأعداء ، حتى يأمنوا جانبهم ،
 اما باعتراف الاسلام ، أو بالتعاهد مع المسلمين) .

(وفق صدد المقارنة مع القانون الدولي ، نجد أن ما انتهينا اليه مسن اعتبار السلم أصل العلاقات في الاسلام هو الأمر المقرر لدى فقهاء القانون الدولي) (١) .

(وقرر جمهور الفقهاء أن الباعث على القتال ليس هو الكفر ومخالفة الدين وإنما هو العدوان . والعدوان كما عرفنا : هو حالة اعتداء مباشر أو غير مباشر على المسلمين والذميين ، أو على أموالهم وأولادهم ، أو على الدعاة والمرشدين ، أو على فئة مستضعفة أو معاهدة ، وتقدير ذلك راجع الى ولاية الأمور) .

(والحكمة من تشريع الجهاد هي : إمارد العدوان ، أو المحافظة على جماعة المسلمين ، أو منع ظلم الحكام الذين يعادون نهضة الإصلاح وحركة التبشير الديني ، حتى يعم الخير والإيمان ، وتسود المحبة والوئام بين جميع الناس) .

(أما مبدأ تخيير العدو وبين قبول الاسلام أو المهاد أو القتال ، الذي كان سائدا في حروب المسلمين فهو ليس من قواعد النظام العام . . .) .

(وأما مبدأ الحياد القانوني - الذي عرف حديثا - فلا نجد فيه منافاة لتعاليم الاسلام ، إذ أن القرآن قرأ أصل هذا المبدأ ، ووجدت أمثلة ففى التاريخ الاسلامى تشبه من الناحية الفعلية حالة الحياد .

وإذن فإن الاسلام يقر التنظيم الدولى بالوضع الحاضر ، ويسمى لا قاسمة أمن دولى بالمعنى المعروف حديثا . ولا فارق بين الشريعة والقانون الدولى : إلا فى أن القانون باعتباره ينظم العلاقات بين دول كثيرة فهو لا يلاحظ الآن فارق المقيدة والدين . وأما الشريعة فإنها تقيم التنظيم الدولى على أساس دينى ، ولكن بدون تعصب أو حقد على الآخرين) .

(ووجدنا أن التشريع الاسلامي يحرض على انتهاء الحرب بكل وسيلة تضمن بقاء السلم) .

(والفتح : هو آخر الطرق المشروعة في الاسلام . وقد كان ذلك سائداً عند مختلف الأمم . غير أن الفتوحات الاسلاميَّة تكن حروباً دينية تهدف القضاء على الدين المخالف . وانما كانت عند قيام سبب من أسباب الحرب ، ورفض الاسلام أو العهد) . (١)

(وليس من الضروري أن يستمر المسلمون في حربهم حتى النصر أو الفناء ، لأن ذلك تهوُّر لا يقره منطق) ! ٤ . .

(وليست الحروب دأبة في الاسلام الا بمقدار مشروعيتها وهو تحقق وصف الحراة والمدوان . والاسلام بريء من تهمة النظرة المدائية بالفطرة التي شعوب الأرض - كما يدعى المستشرقون -) .

(ومن أشلة الآراء الجديدة لنا ربط مشروعية الجهاد بوجود المدوان ، وترك تقدير ذلك لولى الأمر . وأن الدنيا دار واحدة وليست دارين كما قرر فقهاؤنا) ! ٤ .

(ويمكننا أن نستخلص من دراستنا مساجد جديدة للتنظيم الدولي الحاضر بشكل يكفل تماماً صيانة السلم العالمي ، وتلك الأسس مستمدة من أصول الدعوة الاسلامية ومبادئها الدولية :

منها : منع استخدام القوة الا للدفاع عن النفس :

(فشلا : قول الفقهاء : ان جميع الحربيين تستباح دماؤهم في الحرب وتضمن جميع أموالهم) المقارية والمنقولة (هذا الحكم كان صحيحاً حينما كانت الحرب في الماضي تعتبر كفاحاً بين شملين الدولتين . أما اليوم حيث اقتصر

الحرب على الجيوش المنظمة ، فينبغي حصر أثر الحرب فيهم دون غيرهم
من بقية الشعب ، وفي حدود ما يختص بالحكومات فقط .

(حرصنا منا على بيان صلاحية الاسلام لكل زمان ومكان نضع مشروعا لقانون
 حرب دولي يستند من الاسلام :

المادة (١) الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هي السلم ، والدنيا دار واحدة ،
والحرب ضرورة -

المادة (٢) الجهاد عند وجود العدوان ، وتقدير وجوده راجع لولاة الأمور .
المادة (٥٢) تنتهي الحرب بالتحكيم بالمعنى الدولي الحديث . . . ولا يشترط
كون الحكم . مسلما حينئذ . (١)

وقد وقع هؤلاء السادة في بعض ما وقع فيه الزحيلي ، وقالوا بأن الجهاد
 دفاعي :

عباس محمود العقاد (٢)

ومحمد عبد الله دراز (٣)

ومحمود شلتوت (٤)

ومحمد أبوزهرة (٥)

وعبد الله غوشة (٦)

-
- (١) المصدر نفسه من ص ٢٨٢-٢٨٩ و ص ٢٩٧ (مقتطفات) .
 (٢) العقاد : ما يقال عن الاسلام ص ١٥٧ و ١٥٨ ، وعبقريه الصديق ص ٩٠ .
 (٣) دراز : دراسات في العلاقات الاجتماعية والدولية ص ٤٢ و ٤٣ و ١٤٣ .
 ونظرات في الاسلام ص ٢٠٣ - ٢٠٦ .
 (٤) شلتوت : الاسلام عقيدة وشريعة ص ٤٦١ و ٤٦٢ .
 (٥) أبوزهرة : العلاقات الدولية في الاسلام ١ / ١١٢ و ١١٦ و ١٢٧ (ضمن
 جميع البحوث)
 والجهاد ص ٦٨ و ٩١ و ٩٢ (ضمن مجمع البحوث) .
 (٦) غوشة : الجهاد طريق النصر ص ٢٢ و ٢٥ و ١١٥ .

ومحمد الصادق عرجون (١)

والسيد مسابق (٢)

وأحمد عبد الشفور العطار (٣)

والسيد عبد الحافظ عبد ربه (٤)

وعبد المتعال الصمدي (٥)

وأحمد شلبي (٦)

وتوفيق علي وهبه (٧)

وعليّة صقر (٨)

ويوسف عبد الرزاق (٩)

وحامد سلطان (١٠)

وعفيف طبارة (١١)

• (١) عرجون : الموسوعة في سماحة الاسلام ٩٣٣/٢ و ٩٨٥ و ١٠٢٠ و ١٠٢٦

• (٢) سابق : عناصر القوة في الاسلام ص ٢١٠ و ٢١١
• وفقه السنة ٢٢/٣ - ٢٦

• (٣) أحمد العطار : انسانية الاسلام من ص ٩٠ - ٩٨

• (٤) السيد عبد ربه : فلسفة الجهاد في الاسلام ص ٤٥ و ٤٦ و ١٥٧ و ١٩٦

• (٥) عبد المتعال الصمدي : دراسات دينية وأدبية من ص ٣ - ٢٧

• (٦) أحمد شلبي : الاسلام ص ٩٢ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠٣

• (٧) توفيق وهبه : الجهاد في الاسلام ص ٩ - ١٣ و ٢٥

• (٨) عطية صقر : الدعوة الاسلامية دعوة عالمية ص ٤٠ - ٤١٩

• (٩) يوسف عبد الرزاق : دعوة الحق ص ٧٧ و ١٣٧ - ١٣٩

• (١٠) حامد سلطان : أحكام القانون الدولي في الشريعة الاسلامية من ص ١١٢ - ١١٩

• (١١) عفيف طبارة : روح الدين الاسلامي ص ٣٩٢ - ٣٩٤

- وعبد الرحمن عزام (١)
وعبد الكريم عثمان (٢)
وعبد العزيز جاويش (٣)
وصلاح الدين المنجد (٤)
ويوسف الشال (٥)
وحامد عبد القادر (٦)
ومحمد جمال الدين محفوظ (٧)
وأبو لبابة حسين (٨)
ومحمد شديد (٩)

-
- (١) عبد الرحمن عزام : الرسالة الخالدة ص ٩٢ - ١١٩ .
(٢) عبد الكريم عثمان : معالم الثقافة الاسلامية ص ٢٢٣ - ٢٢٥ .
(٣) عبد العزيز جاويش : الاسلام دين الفطرة والحرية ص ٢٨ - ٣٧ .
(٤) صلاح الدين المنجد : المجتمع الاسلامي في ظل المدالة ص ٤٣ .
(٥) يوسف الشال : الاسلام وبناء المجتمع الفاضل من ص ٣٢٣ - ٣٣١ .
(٦) حامد عبد القادر : الاسلام ظهوره وانتشاره في العالم ص ٣٠٢ - ٣١٥ .
(٧) محمد محفوظ : المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية
الاسلامية ص ٤١ و ٤٤ و ٨٧ .
(٨) أبو لبابة حسين : الاسلام والحرب ص ١٠ و ١٩ و ٢٢ .
(٩) محمد شديد : منهج القرآن في التربية ص ٣٣ - ٣٥ .

- ومحمد الرواي (١)
وعثمان الشيرقاوي (٢)
ومحمد عطية الابرارشي (٣)
وصبحي الحمصاني (٤)
وصبحي الصالح (٥)
ومحمد الحبيب بلخوجة (٦)
ومحمد اسماعيل ابراهيم (٧)
وعلي عبد الحليم محمود (٨)
ومحمود محمد علي (٩)

-
- (١) ^{محمد} الرواي : الدعوة الاسلامية دعوة عالمية من ص ٥١٦ - ٥٥٢ .
(٢) ^{عثمان} الشيرقاوي : شريعة القتال في الاسلام ص ١١٩ و ١٣٠ .
(٣) محمد الابرارشي : عظمة الاسلام ص ٢٧٦ - ٢٨٥ .
(٤) صبحي الحمصاني : القانون والعلاقات الدولية في الاسلام ص ١٨٠ و ١٩٠ و ١٩٤ .
(٥) صبحي الصالح : النظم الاسلامية ص ٥٢٠ .
(٦) محمد بلخوجة : مواقف الاسلام ص ١١ - ١٣ و ٢٥ و ٢٦ .
(٧) محمد ابراهيم : الجهاد ركن الاسلام السادس ص ٦٣ .
(٨) علي محمود : الدعوة الاسلامية دعوة عالمية من ص ٣٢٢ - ٣٣٤ .
(٩) محمود علي : الجهاد في التشريع الاسلامي ص ٤٢ - ٤٨ .

ومحمد رشيد رضا (١)

ومحمد أمين المصري (٢)

ومحمود فايد (٣)

وعبد الكريم الخطيب (٤)

ومحمد البهي (٥)

وأحمد غلوش (٦)

وأحمد الحوفي (٧)

ومجاهد هريدي (٨)

وأحمد غنيم (٩)

-
- (١) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ص ٢٣٦ فما بعدها .
(٢) محمد أمين المصري : لمحات في وسائل التربية ص ١٢٧ - ١٣٧ .
(٣) محمود عبد الوهاب فايد : التربية في كتاب الله ص ١٢ .
(٤) عبد الكريم الخطيب : الاسلام في مواجهة الماديين ص ١٨٤ - ١٨٨ و ١٩٩ .
(٥) محمد البهي : خمس رسائل الى الشباب المسلم ص ٨٧ و ٨٨ .
(٦) أحمد غلوش : الدعوة الاسلامية من ص ٢٦١ - ٢٧٠ .
(٧) أحمد الحوفي : سماحة الاسلام ص ٨ و ٤٥ و ٤٧ و ٥٢ و ٥٦ و ٦١ و ٧٢ .
(٨) مجاهد هريدي : منهج القرآن والسنة في العلاقات الانسانية ص ٢٢٠ و ٢٥٦ .
(٩) أحمد غنيم : الجهاد الاسلامي ص ٢٠ و ٢٣ و ٣٢ و ٣٣ .

والآن الى بعض الفرية الدفعية :

أقول هل ننتظر أعدائنا - وقد قال الله عنهم " ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرد دينكم ^{منكم} دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " (البقرة: ٢١٧) حتى يهاجمونا في عقربارنا - بحجة أن الجهاد دفاعي - ثم نعلن النفير بعد ذلك ؟ ومعروف أنه ماغزى قوم قط في عقربارهم الا ذلوا .

لقد كانت غزوات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خسا وعشرين غزوة (١) - وفي رواية أخرى : تسع عشرة غزوة (٢) - وكانت بعوثه وسراياه أكثر من ستين بعثا وسرية . (٣) (أى بمعدل غزوتين وثلاث بعوث في السنة) . فلم كل هذا الجهاد المتواصل اذا كان الهدف من الجهاد هو الدفـاع لا الطلب والدفاع ؟ .

ويقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ان الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وان أمتى سيبغ طكها مازوى لى منها . وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض " (٤) .

(١) الحسنی : العقد الثمين ١ / ٢٧٥ .
(٢) سلم ١١٤٧ / ٣ وعن جابر بن عبد الله (رضى الله عنهما) قال : غزوت مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تسع عشرة غزوة . قال جابر ولم أشهد بدرا ولا أحدا منى أبى . فلما قتل عبد الله يوم أحد لم أتخلف عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى غزوة قط . انظر سلم ١٤٤٨ / ٣ . قلت : وهذا دليل على أنها أكثر من تسع عشرة غزوة ، لأن جابر شـهـد جميع الغزوات باستثناء بدر وأحد .

(٣) الحسنی : العقد الثمين ١ / ٢٧٥ .
(٤) سلم ٢٢١٥ / ٤ ومعنى زوى : جمع .
والمراد بالكنزين : الذهب والفضة ، وهما كنزا كسرى وقيصر ملكى العراق والشام .

فلولم يكن الجهاد هجوميا - لازالة طفيان كسرى وقيصر - فكيف تتحقق

هذه النبوءة النبوية الكريمة - وقد تحققت بعده - ؟

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((ان الله تعالى بعثنى بالسيف

بين يدي الساعة وجعل رزقي تحت رمحي - أو ظل رمحي - وجعل الذل والصغار

على من خالفني ومن تشبه بقوم فهو منهم) (١) .

فكيف نفسر هذا الحديث لو كان الجهاد دفاعيا فحسب ؟ .

(١) الشيباني : شرح كتاب السير الكبير ١ / ١٦٠ .

والمراد بقوله بعثنى بالسيف : أى بعثنى بالقتال فى سبيل الله .

كما قال - صلى الله عليه وسلم - : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا

لا اله الا الله فاذا قالوها عصوا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم

على الله) .

ولأن القتال فى حق غيره من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - لم يكن

مأمورا به وخسى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بذلك .

وقوله بين يدي الساعة : أى بالقرب من القيامة ، قال تعالى : " اقتربت

الساعة وانشق القمر " (القمر : ١) . وقيل فى تفسير قوله تعالى : " فيم

أنت من ذكرها " (النازعات : ٤٣) فيم السؤال عن الساعة وأنت

من أشراطها ؟ ومعنى قوله وجعل رزقي تحت رمحي : قيل كان هذا

فى ابتداء الاسلام ، كان الفازى اذا جن الليل فركز رمحہ عند قسوم

فعلیهم أن يضيفوه ، فان لم يفعلوا ذلك حتى أصبح ، كان متمكنا من

أن يخرمهم . ثم نسخ ذلك . وقيل المراد به : حل الغنائم لهذه

الامة ، فانها ماكانت تحل لأحد قبلها . ولم يرد بالظل حقيقة الظلم ،

لكن أراد به الأمان . ومنه قوله : السلطان ظل الله فى الأرض . يريد

به الأمان .

ومعنى قوله وجعل الذل والصغار على من خالفني : أى ذل الشرك .

والمراد من الصغار : صغار الجزية ، على ماكان تعالى : ((وهم صاغرون))

(التوبة : ٢٩) . . .

وقوله ومن تشبه بقوم فهو منهم : أى تشبه بالمجاهدين فى الخروج معهم =

ان الجهاد الاسلامي فريضة شرعية وضرورة بشرية ومصلحة عامة للانسانية ،
فلذا أمر به المسلمون لاثبات العالمين من كل عبودية لغير الله عز وجل ،
ورحمة بالناس وتخليصاً لهم من الظلم والظلمات فلو كان الجهاد دفاعياً مقتصرًا
على حالة الاعتداء عليه - فحسب - فكيف تتم الدعوة إلى الله بين الناس
والله تعالى يقول : " وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً " (سبا : ٢٨) .
ويقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((بعثت إلى كل أحمر وأسود)) (١)
وفي رواية أخرى : ((أرسلت إلى الخلق كافة)) (٢) ،

فلو كان الجهاد دفاعياً فحسب لانتفت بعثته - صلى الله عليه وسلم -
للخلق كافة ، أحمرهم وأسودهم ، ولانتهى نزوة سدام الاسلام منذ آمد بعيد ؟
وكيف يتم اتصال عقيدة التوحيد لجميع البشر دون استبعاد وجهاد وبطلولة
وفداء ومعارك لازالة هيكلان الباطل وجبروت الطغاة عن كواهل الناس حستي
يسمعوا صوت الحق والقوة والحزبة ؟

وكيف نفسير أمر الله تعالى للمؤمنين بمجاهدة أعداء الدين في كثير من سور
القرآن - وخاصة سورة التوبة* ، وهي من أواخر ما نزل من السور - لو كان الجهاد
دفاعياً غير هجومي ؟ .

قال الله تعالى : ((فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم واخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة
وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم . . . ألا تقتاتلون قوما نكثوا أيمانهم
وهموا باخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة أتخشونهم افالله أحق أن تخشوه

= والسعى في بعض حوائجهم وتكثير سوادهم ، فيكون منهم في استحقاق
الغنيمة في الدنيا والثواب في الآخرة .

انظر شرح هذا الحديث في شرح كتاب السير الكبير ١٦ / ١ - ١٨ .
* يقول فضيلة الشيخ علي السالم في ترجمته للإمام الشنقيطي (رحمه الله) بأن
الشنقيطي رجع في أواخر حياته عن القول في الأشهر الحرم بأنها منسوخة
وذهب إلى أنها محكمة ، وهو الحق الذي ينبغي اعتدائه والتعويل عليه .
انظر ترجمة الشيخ الشنقيطي في الجزء الأخير من الأقواء ص ٥٨ .

ان كنتم مؤمنين . قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم
ويشف صدور قوم مؤمنين . أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خير بما تعطون . .
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدعون
دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صافرون
(التوبة : ٥ و ١٣ - ١٦ و ٢٩) .

وكيف نفسرتح مصر لو كان الجهاد د قاعيا فحسب ؟

(من يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص كان بفلسطين على ربع من
أرباعها ، فتقدم بأصحابه الى مصر . فكتب الى عمر بن الخطاب فيه - وكان قد
سار بغير اذن - فكتب اليه عمر بكتاب أتاه وهو أمام العريش فحبس عمرو الكتاب
ولم يقرأه حتى بلغ العريش ، فقرأه فإذا فيه : من عمر بن الخطاب الى العاص
ابن العاص . أما بعد : فانه بلغني أنك سرت ومن معك الى مصر وبها جموع
الروم ، وانما معك نفر يسير . ولمعنى لو كانوا ثكلى أمك ماتت . فإذا
جاءك كتابي هذا فان لم تكن بلغت مصر فأرجع) . فقال عمرو : الحمد لله .
أية أرض هذه ؟ قالوا : من مصر . فتقدم الى جموع الروم فقاتلهم فهزبهم (١) .
وهل كان الخلفاء اتراشدون - رحمهم الله - سيتوقفون عن الفتوحات الاسلامية
وحمل هذه المقيدة الى من حولهم ، لو أن الفرس أو الروم التزموا جانبالصمت
ولم يعتدوا على المسلمين ؟ كلا والله .

وكيف نفسر قول ريعى بن عامر (رحمه الله) وهو يخاطب رستم قائلا : (. . الله
ابتمننا والله جاء بنا ، لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ،
ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام . فأرسلنا
بدينه الى خلقه لنذعوبهم اليه ، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ، ورجعنا عنه

وتركناه وأرضه يلهمها دوننا . ومن أين قاتلناه أبدا حتى نفضي إلى نعوذ

الله تعالى . . .) (١) لو كان الجهاد دفاعيا فحسب ؟

نعم لقد فهم الرعيل الأول المهمة الطقاة على عاتقه ، أحسن الفهم . ولكن

خلف من بعدهم : خفافيش أعماها النهار بضوءه ووافقها قطع من الليل مظلم . .

لقد فهم السلف الصالح - رحمهم الله - حقيقة الجهاد وبواعثه أكثر من كثير من

العلماء المحدثين . فيها هوذا ابن كثير - رحمه الله - يقول في تاريخه :

((استهلكت هذه السنة - سنة ثلاث عشرة من الهجرة - والصديق - رضي الله عنه -

عازم على جمع الجنود ليعمهم إلى الشام ، وذلك بعد مرجعه من الحج ، عملا

بقوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجندوا

فيكم غلظة وأطعوا أن الله مع المتقين " (التوبة : ١٢٣) .

وبقوله تعالى : " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون

ما حرم الله ورسوله ولا يدعون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا

الجزية عن يد وهم صاغرون " (التوبة : ٢٩) .

واقترأ برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ((٢) .

ويقول الاستاذ أحمد الأحمد ساخرا من الكتاب المهزومين : ((لماذا لم

تظهر فكرة الحرب الدفاعية قبل وقوعنا تحت ضغط الاستعمار الغربي وتخاذلنا

أمام مخططات الرهيبة ومخططات المبشرين والمستشرقين ؟

((لماذا لم يقل بهذه الفكرة أحد من علماء هذه الأمة - سلفها أو خلفها - ؟

أجهلوا جميعا هذا التفسير العميق للحرب في الإسلام حتى جاء صحايا المخططات

فاكتشفوه ، وقد موه غدا عصرنا للفكر الإسلامي ؟ .

(١) الطبري : تاريخ الأمم ١٠٢/٤ ،

وابن كثير : البداية والنهاية ٣٩/٧ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٢/٧ .

((لماذا خلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الحاسمة في وجوب

القتال من هذه البدعة - بدعة الحرب الدفاعية - ؟

((ان هذه البدعة تشبه أن تكون مقدمة للقول بما ذهبت اليه القاديانية (١)

من إلغاء الجهاد بالسيف والاكتفاء بالجهاد عن طريق البيان . (٢)

ويقول العالم الرياني الشهيد سيد قطب (طيب الله ثراه) :

((ان الحرب التي يخوضها الاسلام هي حرب التحرير البشرية : الحرب

على النظم الاقطاعية والاستبدادية وعبودية البشر للبشر ، وعلى الظغيان والظلم والشطط ، وعلى الخرافات والأوهام والأساطير .

حرب التحرير بكل معانيها وفي كل مهادينها . الحرب الخالصة من الهوى

ومن الدوافع الاقتصادية والمنصرية والتحكيمية . الحرب التي يشرف الانسانية

أن يخوضها : لأنها تقرير للصفات الانسانية وللحقوق الانسانية وللجهاد في
الانسانية .

انها الحرب التي تحمل معها المساواة والعدالة والكرامة لكل كائن بشري ،

وتحققها في عالم الواقع وعالم المثال . . تحققها في التشريع والتنفيذ . . تحققها

للأسود والأبيض والمسلم وغير المسلم . تحققها في صورة واحدة وبأداة واحدة وفي
مستوى واحد لجميع الناس .

ان الاسلام يستبعد من حسابه أن تقوم حرب أو أن يتم فتح بقصد اكسراه

أحد على الدخول في الاسلام ، أو بقصد سيادة عنصر أو تغليب جنس أو بقصد

جر المغنم . أو بقصد اكتساب أمجاد شخصية للطوك والقواد أو ارضاء نزعات

الاستعلاء والسيطرة والبروز التي تهيم على أولئك الرجال فيسخرهم من أجلها
الشموب لاضافة شارة الى تاج أو وسام الى رداء !

(١) انظر : أبو الحسن الندوي : القادياني والقاديانية .

وعبد الرحمن عميرة : القاديانية .

واحسان الهسي : القاديانية .

(٢) أحمد محمود الأحمد : ماهي علاقة الأمة المسلمة بالأمة الأخرى ص ٣٨ و ٣٩ .

ومن ثم يتعين باحث واحد وهدف واحد للفتح الاسلامى هو (لتكون كلمة الله هي العليا) ، فتحقيق كلمة الله وجعلها هي العليا يتضمن أن يصبح الاسلام لله هو دين البشرية كافة . الا أن الطريقة لأن يغيى الناس الى هذا الدين الأخير لا يجوز أن تخرج على القاعدة الكلية التي قررها " لا اكراه فى الدين " (البقرة : ٢٥٦) (١)

((والمهزومون روحيا وعقليا من يكتبون عن (الجهاد الاسلامى) ليدفعوا عن الاسلام هذا (الاتهام) يخلطون بين منهج هذا الدين فى النص على استنكار الاكراه على العقيدة ، وبين منهجه فى شحطيم القوى السياسية المادية التي تحول بين الناس وبينه ، والتي تمعد الناس للناس وتمنعهم من العبودية لله . . وهما أمران لاعلاقة بينهما ، ولا مجال للالتباس فيهما . . ومن أجل هذا التخليط - وقبل ذلك من أجل تلك الهزيمة . - يحاولون أن يخصصوا الجهاد فى الاسلام فيما يسمونه اليوم : (الحرب الدفاعية) . . . والجهاد فى الاسلام أمر آخر لاعلاقة له بحروب الناس اليوم ولا بواجبها ولا تكييفها كذلك . . ان بواعث الجهاد فى الاسلام ينهض تلحسها فى طبيعة (الاسلام) ذاته ودوره فى هذه الأرض ، وأهدافه العليا التي قررها الله ، وذكر الله أنه أرسل من أجلها هذا الرسول بهذه الرسالة وجعله خاتم النبيين وجعلها خاتمة الرسالات . .

أما محاولة ايجاد مبررات دفاعية للجهاد الاسلامى بالمعنى الضيق للمفهوم المصرى للحرب الدفاعية ، ومحاولة البحث عن أسانيد لاثبات أن وقائع الجهاد الاسلامى كانت لمجرد صد المدوان من القوى المجاورة على (الوطن الاسلامى) -

(١) انظر : دراسات اسلامية ص ٢٢٢ و ٣٨ و ٣٩ مقتطفات .

وهو في عرف بعضهم جزيرة العرب - فهي محاولة تنم عن قلة ادراك لطبيعة هذا الدين ولطبيعة الدور الذي جاء ليقوم به في الأرض . كما أنها تنسب بالهزيمة أمام ضغط الواقع الحاضر ، وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر على الجهاد الاسلامي .

ان الجهاد ضرورة للدعوة ، اذا كانت أهدافها هي اعلان تحرير الانسان اعلانا جادا ، يواجه الواقع الفعلي بوسائل مكافئة له في كل جوانبه ، ولا يكتفى بالبيان اللفظي النظري ، سواء كان الوطن الاسلامي - دار الاسلام - آمنا أم مهددا من جيرانه . . . (١)

((ان بعض المفرضين من أعداء الاسلام يرمونه بالشقاق ، فيزعمون أنسه فرض بالسيف في الوقت الذي قرر فيه : ألا اكراه في الدين . . أما بعضهم الآخر فيتظاهر بأنه يدفع عن الاسلام هذه التهمة ، وهو يحاول في خبط أن يخذل في حس السلم روح الجهاد ، ويهين من شأن هذه الأداة في تاريخ الاسلام وفي قيامه وانتشاره . ويوحى الى المسلمين بطريقة ملتوية ناعمة مأكرة - أن لا ضرورة اليوم أو غدا للاستعانة بهذه الأداة . وذلك كله في صورة من يدفع التهمة الجارية عن الاسلام . وهؤلاء وهؤلاء كلاهما من المستشرقين الذين يحملون في حقل واحد في حرب الاسلام وتحريف منهجه وقتل أحياء الله الموحية في حس المسلمين ، كي يأمنوا انبمات هذا الروح الذي لم يبقوا له مرة في ميدان . والذين آمنوا وطمأنوا منذ أن خدروه وكبلوه بشتى الوسائل ، وكالوا له الضربات الساحقة الوحشية في كل مكان . وألقوا في خلد المسلمين أن الحرب بسين الاستعمار وبين وطنهم ليست حرب عقيدة أبدا تقتضي الجهاد . انها هي فقط حرب أسواق وخامات ومراكز وقواعد . . ومن ثم فلا داعي للجهاد . لقد انتضى

الاسلام السيف وناضل وجاهد في تاريخه الطويل لا ليكره أحدا على الاسلام ولكن ليكفل عدة أهداف كلها تقتضى الجهاد (١) :

((ان العقيدة الاسلامية تعلم أصحابها - فيما تعلم - أن ليس لهم في أنفسهم شيء فكلهم لله تعالى . وأنهم حين يخرجون للجهاد في سبيل الله يخرجون لسه . . ويتحركون له . . ويقاتلون له . . بلا هدف آخر لذواتهم في هذا الجهاد)) (٢)

ويقول فضيلة الشيخ عبد المميز السلمان :

((والقاتل أن الكفار لا يقاتلون الا دفاعا فقط ما يخلو من أمرين :
١- أن يكون من أعداء المسلمين قصده تشبيطهم عن الجهاد ، على ما هم عليه من الوهن والكسل .
٢- واما أن يكون جاهلا بنصوص الكتاب والسنة وغزوات النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه وفتوحاتهم .

ولم يجهد في غزواته - صلى الله عليه وسلم - ويمشوه وسراياه - وكانت كلها بعد الهجرة في مدة عشر سنوات - أن المد و قصده وهاجمه فى بلده - المدينة وحواليها - قط ، بل هو الذى كان يهزؤهم حيثما كانوا مما يبلغه الخف والحافر ، الا غزوتى أحد والأحزاب .

((لقد أوجب الله تعالى على المسلمين أن يبدأوا بالقتال من أبى الاسلام من المشركين والكفار بعد دعوتهم الى الخضوع له أو الدخول فيه حيث كانوا ، وفرض على الأمة أن تهاجمهم وتبدأ هم به كل وقت سوى الأشهر الحرم .

(٢٠١) انظر الظلال ٢٩٣/١ و ٢٩٤ .

وأحمد فائز : طريق الدعوة فى ظلال القرآن ١١٨/٢ .

((وليس بد^١ أهل الكفر بالقتال بعد إياهم عن الانذان والدخول تحت سلطان الاسلام اعتدا^٢ عليهم وظلما ، بل ذلك لمصلحتهم* - كالسفيه - ، ولحق الاسلام - كقتل مانع الزكاة والعروة - ، ولمنعهم عن الظلم والهداؤون . يدل على هذا قتال النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه وبدؤهم المشركين والفرس والروم بعد رفض رؤسائهم كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - بغير اعتدا^٣ منهم على أحد من المسلمين .

((ولكنها مكيدة افرنجية ونزعاً أوربية ، أريد بها تأخير السلمين وموتهم على ما هم فيه من الضعف وما علاهم من ذل الاستعباد .

" فمدعى أن الاسلام لا يجيز بد^٤ عدوه بالقتال متقول عليه ما ليس فيه .

((ومن يظن بأن جهاد الكفار وإكراههم في دين الاسلام لاعلاء كلمة الله بدون أن يتعرضوا للمسلمين بسوء من الاعتدا^٥ المنهى عنه في القرآن فإنه خاطئ : لأن قتال الكفار واجب حيثما كانوا بعد عرس الدعوة عليهم ، لأن الشرك بالله - الذنوب هم فيه - هو بنفسه جناية واعتدا^٦ على الله تعالى وفساد كبير في الأرض ، والله تعالى أمر بإزالته بقوله : " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله " (الأنفال : ٣٩) .

((وجهاد الصحابة الكرام وفتحوا العراق والشام ومصر والروم . . قهرا لاعلاء كلمة الله .

* يقول الشيخ صالح اللحيدان (حفظه الله) في كتابه الجهاد في الاسلام ص ١١ .
 (من المعلوم أن الأطباء لو قهروا أن في الانميان عضوا خطيرا يشكل ضررا على بقية أجزاء الجسم فإنه يبتدأ . فكذلك يجب قتال الكفار ابتداء^٧ ، لأنهم يقودون أنفسهم - من حيث يعلمون أو لا يعلمون - إلى عاقبة وخيمته في الدارين) .

"ولاندري ما معنى الجهاد - عند من قصره على الدفاع . ٤

" فان كان الجهاد غزو الكفار بالمال والنفس لاعلاء كلمة الله - كما هو عرف الشرع وما يعرفه المسلمون - فقد أنكروه وخطأوا فاعله ، من حيث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يفعله - بزعمهم الخاطيء - انما قاتل دفاعا .
 " وان كان في عرفهم أن الجهاد هو دفع العدو عن النفس والوطن - فهو شئ طبيعي لا مزية لمن قام به ، حتى أضعف الحيوان يدافع عن نفسه الى أن يعجز . الا أن يقال في حق المؤمن اذا ما ثار دون ماله ونفسه ، فهو شهيد ((١) - .

هذا وقد رد الزميل عابد السفيناني في رسالته (دار الاسلام ودار الكفر) على هؤلاء المهزومين من ناحية فقهية ، وهذه خلاصة رده عليهم ؛ ان قول بعض المحدثين ان العلة في القتال هي الاعتداء وأن الجهاد لرد العدو ان الواقع أو المتوقع وأن الأصل في علاقة المسلمين بالكافرين هو السلم : قول مخالف للكتاب والسنة والاجماع .

وان مانسبه بعض المحدثين الى جمهور الفقهاء من أن العلة في القتال عندهم هي الاعتداء وأن الجهاد لرد العدو وأن الأصل السلم ؛ غير صحيح ومذهب الجمهور على خلاف مانسب اليهم دلت على ذلك كتبهم وشهد بذلك المحدثون أنفسهم .

(١) عبد العزيز السلمان : الأسئلة والأجوبة الفقهية ٦٩/٣ - ٨٠ باختصار وانظر : صالح اللحيدان : الجهاد من ص ٩٩ - ١٢٨ فقيسد أجاد وأفاد (شكر الله له) .

وان تخيير الكفار غير المعتمدين بقتال - بين ثلاث خصال ابتداء واجب .
 واعتراض المحدثين على ذلك وتقييده بشرط الاعتداء اعتراض باطل .
 وان القتال في الاسلام ليس اكرها على الاعتقاد بل هو لاختصاص الكفار
 لسلطان الاسلام . واعتراض المحدثين على وجوب الجهاد ابتداء بآية
 " لا اكره في الدين " (البقرة : ٢٥٦) اعتراض مردود .
 وان الكفار مطلقا يقاتلون للخضوع لسلطان الاسلام وأحكامه ، ويجوز
 أخذ الجزية منهم بشرط الخضوع لأحكام الاسلام الا المرتدين .
 وانه لا يجوز اقرار طائفة من المشركين مطلقا في جزيرة العرب لا بالجزية
 ولا بغيرها ، بل يجب اخراجهم منها .
 وان القرآن الكريم نهى عن ولاء الكفار ومودتهم أشد النهي في مواضع
 متكررة . فقول بعض المحدثين ان ولاء الكفار ومودتهم أصل قرآني يدل على
 أن الأصل السلم ، قول مناقض لصريح الكتاب والسنة (١) .

(١) عابد السفينى : دار الاسلام ودار الكفر ص ٢٥٧ بتصرف يسير .

بواعث الجهاد :

ان الغاية من الجهاد الاسلامي غاية عقديّة بحتة ، هي أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى (١) ، لئلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله تبارك وتعالى ، وهداية العالمين واخراجهم من ظلمات الشرك الى نسيور التوحيد ومن جور الاديان والاهواء والنحل الى عدل الاسلام ومن ضيق الدنيا وعذاب الآخرة الى سعادة الدنيا والآخرة وسعادة الدارين معا . . كل هذا هو باعث الجهاد الاكبر وغايته المثلى وأمله المنشود . وكل ما يتعلق بالجهاد الاسلامي يرتكز على العقيدة الالهية التي رضىها الله عز وجل لعباده وحث من أجلها الرسل عليهم الصلاة والسلام - وأنزل بسببها الكتب السماوية . " ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة " (الانفال : ٤٢) . وليس من بواعث الجهاد - كما تخرص بذلك الا فاكون ممن ردونا عليهم ودهضنا افتراءاتهم وكشفنا سوء طوابعهم بما يشقى الفليل ولله الحمد - حب القتال (٢) وسفك الدماء واكره الناس على الاسلام :

قال تعالى : " أفأنت تكفر الناس حتى يكونوا مؤمنين " (يونس : ٩٩) .
وقال تعالى : " فذكر انما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر " (الخاشية : ٢٢، ٢١)

(١) عن أبي موسى (رضي الله عنه) قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم - فقال : الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ قال (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) . البخاري ٢٦/٣ .

(٢) قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لا تتحذوا لقا العدو ، فاذا لقيتموهم فاصبروا " .

انظر مسلم ١٣٦٢/٣

وليست الغاية من الحروب الاسلامية - كما أشرنا الى ذلك مرارا احتلال الديار
أو نهب الأموال أو سبي الذرية أو اذلال الشعوب - كما هي الحال في الحروب
الجاهلية - وإنما الهدف منها تحرير الانسانية من كل عبودية - بشرية أو وثنية - وصون
كرامتها أفراد والمجتمعات ورفع الظلم عنهم بنقض النظر عن معتقداتهم ، وتركهم
بعد ذلك أحراراً في اختيار الدين الذي يريدون . ولم ير العالم - قديماً وحديثاً -
فاتحاً أرحم ولا أعدل من المجاهدين المسلمين . لأن هؤلاء المؤمنين لا يهتفون من
وراء جباههم مالا ولا مقاماً ولا جاهاً ولا ملكاً ولا استعباداً للآخرين ، بل كسل
أهدافهم محصورة في نيل إحدى الحسنين ، النصر أو الشهادة .

والعقيدة الاسلامية التي دفعت المجاهدين في سبيل الله للفتوحات الاسلامية
هي التي ربت أصحابها على قمة الاخلاق الكريمة والاداب المالية والقيم المثلى
والمبادئ السامية . والتي يظن من يسميها لأول وهلة أنها من الاساطير أو من المستحيلات
ولكن هذه المستحيلات في قواميس الجاهلية حقيقة ساطعة في تاريخ الاسلام :

شهد الانام بفضلها حتى المسداً والحق ما شهدت به الاعداء
وقد ربت هذه العقيدة - كما سنرى فيما بعد - بان نه تعالى - نفوس أتباعها على تلبية
داعي الجهاد ونداء الفلاح في حالة المسر واليسر والمنشط والمكره . وقد أثبتني
المولى تبارك وتعالى على هؤلاء المؤمنين ثناء عاطرأ أبد الدهر بقوله . و
" من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من
ينتظروا बदلو تبدلوا " (الاحزاب : ٢٣) .

ويقوله : " ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في
سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى
بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم "

(التوبة : ١١١) .

والعقيدة الإسلامية تعلم أصحابها - فيما تعلم - أن ليس لهم من أنفسهم شئ -
 فهم وما يملكون لمن يبد الخلق ولا مر عز وجل - وأن الله قد اشترى نفوسهم منهم
 ومن ذلك الجنة . ولذا فإن المؤمنين لا يرهبون أعداءهم - ولو كانوا أكثر منهم
 عددا وأحسن عدة - ولا ينكصون على أعقابهم فيفرون من الزحف ، لماذا ؟
طعنا في رضوان الله تعالى ورغبة فيما عنده ، ثم الفوز على الأعداء . وإزالة الطاغوت
 الذين ينعمون وصول هذه العقيدة إلى أسماع البشر .

وخوفا من سخط الله وعقابه - في حال ترك الجهاد - أما بالذل في الدنيا ، أو
 العذاب الأشد في الآخرة ، أو بهما معا (والعيان بالله) ، " يا أيها الذين
 آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا رجموا رجلا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يؤمئذ به إلا متحرفا
 لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير " .
 (الانفصال : ١٥ ، ١٦) ،

وهذه العقيدة تفرغ على أصحابها أن يعتمدوا أنفسهم فيما أخذوا بجميع الأسباب
 المادية ويستمدوا لمواجهة عدوهم بكل ما توصلوا إليه من وسائل حربية حديثة ،
 والقاعدة في ذلك الأمر الرهاني :

" وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة " (الأنفال : ٦٠) *

ويعد بذلك الجهد والأنصاف من الاستعداد - ماديا ومعنويا - عليهم مجابهة
 عدوهم والالتكال على الله عز وجل ، والحرص على نيل إحدى الحسنين (النصر
 أو الشهادة) ، وكلاهما سيان عند رجل العقيدة الرهانية .

* من الملاحظ : أن المولى عز وجل قال في الآية التي قبل هذه الآية
 " ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا أنهم لا يعجزون " فيبين أن الأعداء لا يعجزون
 ثم طمأن ذلك من المؤمنين الأعداد التام . . .

وهذه العقيدة تحملن للملا جميعا أنه لا يتقبل جهاد أحد إلا إذا كان صاحب

عقيدة يهدف من وراء جهاد ما علا كلمة الله .

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال :

(شهدنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال لرجل ممن يدعى الاسلام : هذا من أهل النار . فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فأصابته جراحة . فقيل : يا رسول الله . الذى قتلناه من أهل النار فانه قد قتل اليوم قتلا شديدا وقد مات .

فقال النبى (صلى الله عليه وسلم) : الى النار . قال : فكاد بعض الناس أن يرتاب . فبينما هم على ذلك ان قيل انه لم يمت ولكن به جراحا شديدا ، فلمسا كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه ، فأخبر النبى (صلى الله عليه وسلم) بذلك . فقال : الله اكبرا أشهد أنى عبد الله ورسوله ثم أمر بلالا فنادى بالناس : انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر)^(١)

وفى رواية أخرى : (فاستعمل الموت فوضع نصل سيفه بالارض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه . فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عند ذلك : ان الرجل ليحمل عمل أهل الجنة فيما بيد والناس وهو من أهل النار وان الرجل ليحمل عمل أهل النار فيما بيد والناس وهو من أهل الجنة)^(٢)

وطريقا لعقيدة الربانية فى تربية نفوس المؤمنين المجاهدين على حب الجهاد فى سبيل الله طريقة فريدة وهجينة : فهى أولا تنشى الايمان فى القلوب ، ثم تجعل هذا الايمان يزاد بالعمل الصالح والتقوى ومكارم الاخلاق .

ثم تعلم أصحاب الايمان : الطاعة المطلقة لرب العالمين ، وتقديم هذه الطاعة على كل ما فى الحياة الدنيا .

(١ ، ٢) البخارى ٣٤/٤

ومسلم ١٠٦/١

وابن هشام : السيرة ٣٤/٣

ثم تعلمهم : التسليم التام للقضاء والقدر - خير وشهره - ثم الصبر الجميل في كسل الاحوال - بـلـسـتـنـا الصبر على الذل والاستعباد - ثم تجعلهم يحبون لقاء الله ويحبون لدخول الجنة ، والاستراحة من نكد الدنيا .

ثم تفرس هذه العقيدة في نفوس معتنقيها : حب كل ما يؤدي لرضوان الله ، من نشر دعوته بين الناس ورفع رايته فوق أرجاء المعمورة ، واتباع أوامره واجتناب منهيته ، ولو أدى ذلك لفقد النفس أو الاموال أو الاهل أو المنصب أو الجاه . .

وأهم وسيلة تنتهجها العقيدة لتهيئة النفوس للجهاد - بعد الايمان بالله - هي تمحيق الايمان باليوم الآخر : وما فيه من نعيم مقيم وسعادة دائمة أعدها الله لعباده المؤمنين - وخاصة المجاهدين - . أو العذاب الاليم والشقاء الخالد والذل والهوان (والعيان بالله) في حالة النكوص عن الجهاد والاعراض عن تبليغ دعوة الله . وتؤكد هذه العقيدة على المؤمنين أن الغاية الكبرى من الجهاد (هي نيل احدى الحسنين (النصر أو الشهادة) وأن الوسيلة الى ذلك : بذل الوسع وافراغ الطاقة في سبيل تحقيق رضوان الله والفوز بالجنة والنجاة من النار . يقول الامام ابن القيم :

(لما كان الجهاد ذروة سنام الاسلام ، ومنازل أهله أعلى المنازل في الجنة ، كما لهم الرفعة في الدنيا ، كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الذروة العليا منه ، واستولى على أنواعه كلها ، فجاهد في الله حق جهاده بالقلب والجان ، والدعوة والبيان ، والسيف والسنان ، وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد ، ولهذا كان أعظم المعالمين عند الله قدرا . وأمره تعالى بالجهاد من حين بعثه فقال : " فلا تطاع الكافرين وجاهدوهم به جهادا كبيرا " (الفرقان : ٥٢) . فهذه سورة مكية أمره فيها بالجهاد بالبيان . وكذلك جهاد المنافقين انما هو بالحجة وهو أصعب من جهاد الكفار ، وهو جهاد خواص الامة ، وورثة الرسل ، والقائمون بسببه أفراد في العالم ، والمعاونون عليه - وأن كانوا هم الاقلين عددا - فهم الاعظمون عند الله قدرا .

(ولما كان من أفضل الجهاد قول الحق مع هذه المعارض - مثل أن يتكلم به عند من يخاف سطوته - كان للرسول (صلوات الله وسلامه عليهم) من ذلك الحظ الا وفرة . وكان له (صلى الله عليه وسلم) من ذلك اكمل الجهاد وأتمه . ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعا على جهاد النفس ، كان جهاد النفس مقدما على جهاد العدو بجهادهما ، ويليهما عدو ثالث لا يملكه جهادهما الا بجهاده ، وهو واقف بينهما يشيط العبد عن جهادهما وهو الشيطان . قال تعالى : " ان الشيطان لكسب عدو فاتخذوه عدوا " (فاطر : ٦) . والامر باتخاذ عدو وتنبيه على استفراغ الوسع في محاربتة . فهذه ثلاثة أعداء أمر العبد بمحاربتها ، وسلطت عليه امثلاثا من الله ، وأعطى العبد مددا وقوة ، وولى أحد الفريقين بالاخر . وجعل بعضهم لبعض فتنة ليبلوا أخبارهم (١)

ويقول شيخنا محمد قطب (حفظه الله) :

(انه لا شئ يمكن أن يقنع الانسان بالتنازل عن الطاع الزائد عن الحد المدفوع اليه بفطرته ، والا لتزام بالحدود التي رسمها الله لهذه الدواعي وأمر الناس الا يمتدوها لكي لا يمتطبوا ولا يهلكوا . . لا شئ يمكن أن يقنع انسان بذلك الا الايمان الجازم بأن ما يتركه هنا في الدنيا - من أجل طاعة الله - يلقاه في الآخرة مضاعفا لا في الدرجة فحسب . . بل في النوع كذلك ، حيث النعيم الخالد الذي لا يزول وأن ما يمضى الله فيه في الدنيا - اندفاعا وراء شهواته - يمسذب عليه هذا لا تطايقه النفوس والابدان . وتصبح الموازنة بين طاع هنا في الدنيا زائف زائل ، ليس أقل عيونه ما يشوبه من القلق الدائم على انتباهه ، وبين تمساع هناك خالد لا يزول . ومن نوع أجمل وأعق وأشنع وأصفى . . وموازنة كذلك بين ألم من عدو تحقيق القدر الزائد من الطاع - وهو محتمل في جميع أحواله - وألم فنى الآخرة يفوق طاقة الاحتمال

والمؤمن مكلف باقرار منهج الله فى الارض لتكون كعقاله هى العليا ، ويكون النظام الربانى هو القائم بين الناس . ولكن الجاهلية لا تترك هذا الامر يتم فى يسر لم تصنع ذلك مرة واحدة خلال التاريخ . ولا بد من جهاد لاقرار منهج الله . جهاد يحرم الاغسان حتى من المتاع المباح . . . ويعرضه لان يفقد ماله أو راحتته أو أمنه وأهله . . . بل قد يعرضه للتعذيب والتشريد . . . وقد يعرضه للموت بوسيلة من وسائل القتل . . . وذلك غير القتال فى سبيل الله وما يصاحبه من المشقة والحرمان الذى يصل الى الموت فى ساحة القتال . . .

فماذا يمحوق المؤمن عن ذلك كله ، ويضربه بتحمل العذاب فى الحياة الدنيا بشتى صنوفه ، الا ذلك الايمان الجازم بأن كل حرمان يتعرض له فى الارض - فى سبيل مرضاة الله - جزاؤه النعيم الخالد الذى لا ينفد ؟ وماذا يمنعه من التقاعس - خوفا من عذاب الارض - الا الايمان الجازم بأن عذاب الله عن هذا التقاعس هو العذاب الاشد ، والذى يجعل عن الاحتمال ؟

" قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها وسوا كن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فترهبوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين " (التوبة : ٢٤) .

لذلك كان التذكير الدائم - للمؤمنين - باليوم الاخر ، لكي يتقوا على الجهاد ولا تقعد بهم مشقاته وعذاباته وحرمانه عن الضى فيه ابتغاء مرضاة الله . . . ولهم على ذلك الجنة والنعيم القيم . . . (١)

وفيما يلي ننقل كلاماً قيماً لبعض علمائنا المعاصرين تحدثوا فيه عن طبيعة الجهاد
وغايته وبواعثه الثبوتية ؛
يقول الامام المودودي ؛

(غاية الجهاد في الاسلام ؛ هي هدم بغيان النظم المناقضة لهادته ؛ واقامة
حكومة مؤسسة على قواعد الاسلام مكانها . وهذه المهمة غير منحصرة في قطر دون
قطر ، بل هي شاملة لجميع أنحاء المعمورة .

(والاسلام لا يريد بهذه الحملة أن يكره من يخالفه في الفكرة على ترك عقيدته والايمان
بهادي الاسلام ، وانما يريد الحزب الاسلامي أن ينتزع زمام الامر من يؤمنون
بالمهادي والنظم الباطلة ، حتى يستتب الامر لجملة لواء الحق) (١)
ويقول العلامة الندوي :

(وجهاد المسلم انما هو لتنفيذ شريعة الله واعلاء كلمة الله ونفاذ احكامه . فلا
حكم الا لله ولا امر الا له . وغاية الجهاد ألا تبقى في الدنيا قوتان متساويتان
متنافستان تتجاذبان الالهواء والانفس . قال تعالى : " وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة ويكون الدين لله " (البقرة : ١٩٣)

(ومن مقتضيات هذا الجهاد أن يكون الانسان عارفاً بالاسلام الذي يحاهد لاجله
وبالكفر والجاهلية التي يجاهد ضدها ، فلا تخدعه المظاهر ولا تفره الالوان .
(ويجب أن يكون استمداد المجاهدين كاملاً وقوتهم تامة ، يقارعون الحديد بالحديد
ويقابلون الربع بالاعصار ، ويواجهون الكفر وأعله بكل ما يقدرون عليه وبكل ما امتدت
اليه يد عم ، وبكل ما اكتشفه الانسان ووصل اليه العلم في ذلك العصر ، من سلاح
وجهاز واستعداد حربي . لا يقصرون في ذلك ولا يمجزون) (٢)

(١) المودودي : الجهاد في سبيل الله ص ٣٥ و ٤٢

(٢) الندوي : ماذا خسر العالم ص ١٨٧ و ١٨٨

ويقول الشهيد سيد قطب :

(لقد جاهد الاسلام أولا : ليدفع عن المؤمنين الاذى والفتنة التي كانوا يسامونها . وليكفل لهم الامن على انفسهم وأموالهم وعقيدتهم . وقرر ذلك المبدأ العظيم " والفتنة أشد من القتل " (البقرة : ١٩١) فاعتبر الاعتداء على العقيدة والابناء بسببها وفتنة أهلها عنها أشد من الاعتداء على الحياة ذاتها . فالعقيدة أعظم قيمة من الحياة وفق هذا المبدأ العظيم . وإذا كان المؤمن مأذونا في القتال ليدفع عن حياته وعن ماله فهو من باب أولى مأذون في القتال ليدفع عن عقيدته . . . وقد كان المسلمون يسامون الفتنة عن عقيدتهم ويؤذون ، ولم يكن لهم بد أن يدافعوا هذه الفتنة عن أمر ما يملكون .

وجاهد الاسلام ثانيا : لتقرير حرية الدعوة - بعد تقرير حرية العقيدة - . فقد جاء الاسلام بأكمل تصور للوجود والحياة ، ويرقى نظام لتطوير الحياة . جاء بهذا الخير ليهدى به الى البشرية كلها ، ويبلغه الى أسماعها وقلوبها ، فمن شاء بمسار الهيمان والبلاغ فليؤمن ومن شاء فليكفر . ولا اكراه في الدين . ولكن ينهى قبيل ذلك أن تنزل العقبات من طريق ابلاغ هذا الخير للناس كافة ، كما جاء من عند الله تعالى . وأن تنزل الحواجز التي تمنع الناس أن يسموا وأن يقتنموا وأن ينضموا الى موكب الهدى اذا أرادوا . ومن هذه الحواجز أن تكون هناك نظم طاغية في الارض تصد الناس عن الاستماع الى الهدى ، وتقتل المهتدين أيضا . فجاهد الاسلام ليحكم هذه النظم الطاغية ، وليقيم مكانها نظاما عادلا يكفصل حرية الدعوة الى الحق في كل مكان ، وحرى بالدعاة . . .

وما يزال هذا الهدف قائما ، وما يزال الجهاد مفروضا على المسلمين ليبلغوه ان كانوا مسلمين .

وجاهد الاسلام ثالثا : ليقم في الارض نظامه الخاص ويقرره ويحميه . . وهو وحده النظام الذي يحقق حريته لانسان تجاه أخيه الانسان ، حينما يقرر أن هناك عبودية واحدة لله الكبير التّعال ، ويلغى من الارض عبودية البشر للبشر في جميع أشكالها وصورها . فليس هناك فرد ولا طبقة ولا أمة تشرع الاحكام للناس وتستذلهم من طريق التشريع . انما هنالك رب واحد للناس جميعا هو الذي يشرع لهم على السواء ، واليه وحده يتجهون بالطاعة والخضوع ، كما يتجهون اليه وحده بالايان والمباداة سواء . فلا طاعة في هذا النظام لبشر الا أن يكون منفذا لشرعة الله ، موكلا من الجماعة للقيام بهذا التنفيذ ، حيث لا يملك أن يشرع هو ابتداء ، لان التشريع من شأن الالهية وحدها ، وهو مظهر الالهية في حياة البشر ، فلا يجوز أن يزاوله انسان فيدعى لنفسه مقام الالهية وهو واحد من المعبود .

جاهد الاسلام ليقم هذا النظام الرفيع في الارض ويقرره ويحميه وكان من حقسه أن يجاهد ليحطم النظم الباغية التي تقوم على عبودية البشر للبشر ، والتي يدعى فيها المعبود مقام الالهية ، ويحاولون فيها وظيفة الالهية - بخير حق - ولم يكن بد أن تقاومه تلك الانظمة الباغية في الارض كلها وتناصره الممدا . ولم يكن بد كذلك أن يسحقها الاسلام سحقا ليعمل نظامه الرفيع في الارض . . ثم يدع الناس في ظله أحرارا في عقائدهم الخاصة . لا يلزمهم الا بالطاعة لشرائعه الاجتماعية والاخلاقية والاقتصادية والدولية ، أما عقيدة القلب فهم فيها أحرار . وأما أحوالهم الشخصية

فهم فيها أحرار يزاولونها وفق عقائد هم ، والا سلام يقوم عليهم يحميهم ويحمي
حريتهم في العقيدة . ويكفل لهم حقوقهم . ويصون لهم حرمانهم في حدود ذلك
النظام (١) .

ويقول فضيلة الشيخ كامل الدقسي :

(وقد وضعت هذه الآية الكريمة " يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
وليجدوا فيكم غلظة " (التوبة : ١٢٣) قاعدة من أهم قواعد الأصول العسكرية في
القتال . وخطة الحركة الجهادية التي تشير إليها هذه الآية هي (الهدء بالاقرب
فالأقرب) . وقد سار عليها النبي (صلى الله عليه وسلم) في جهاده ودعوته ، وسار
عليها خلفاؤه من بعده بصفة عامة ، وسارت عليها الفتوحات الإسلامية تواجه من يلون
(دار الاسلام) مرحلة فمرحلة . وذلك لان القتال شرع لتأمين حرية نشر الدعوة
الإسلامية وحرية الدين والدفاع عن المسلمين وعدم فتنهم أو التعرض اليهم . وتدرك
من هذا النص الذي يجمل (الانطلاق) بهذا الدين هو الاصل الذي ينبثق
منه مبدأ الجهاد ، وليس هو مجرد (الدفاع) كما كانت الاحكام المرحلية أول العهد
باقامال دولة الإسلامية في المدينة . ولهذا فقد أمر الله المؤمنين بالغلظة على
الكفار والشدة عليهم ، لا يكون ذلك أهيب وأوقع للفزع في قلوبهم . والغلظة تجمع
الجرأة والصبر على القتال وشدة المداوة .

" ولما كان الجهاد قد كتب على المسلمين لضمان الحرية في نشر الدعوة وصيانتها

وحماية متبعيها والداعين اليها ، فقد اقترنت الدعوة الى الجهاد بتحرير (سبيل
السياسة) .

والجهاد يشمل بذل المال والجهد مطلقا في سبيل نصرة دين الله ، ومجاهدة
النفس والشيطان ، لا نهما عدوان للانسان .
والدعوة الاسلامية دعوة عالمية تلبيح المسلمين تبليغها للناس كافة ، وازالة كل
المقبات التي تعترض طريق الدعاة بالقوة ، لتحرير كافة الناس من عبادة العباد
الى عبادة رب العباد وحده . (١)

(١) كامل الدقس : العلاقات الدولية في الاسلام من ص ٦٣٨ - ٦٤٠
آيات الجهاد في القرآن الكريم ص ٤٩٧

أمثلة على أثر العقيدة في تربية المجاهد

وأما لريح الجنة :

(عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : غاب أنس بن النضر عن قتال يوم بدر . فقال : غبت عن قتال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المشركين ، لئن أهدنى الله قتالا ليرى الله ما أصدع ، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون ، فقال : اللهم انى أبرأ اليك ما جاء به هؤلاء المشركون ، وأعتذر اليك ما صنع هؤلاء - يمسنى المسلمون - ، فمشى بسيفه ، فلقى سعد بن معاذ فقال : أى سعد انى لا جدد ريح الجنة - دون أحد . قال سعد : يا رسول الله فما استطعت أن أصنع ما صدع . قال أنس : فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم ، فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنائه . قال أنس : فكنا نتحدث أن هذه الآية " من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا " (الأحزاب : ٢٣) نزلت فيه وفى أصحابه (١) مع الذين أنعم الله عليهم .)

(مر المسلمون يوم القادسية على رجل من المسلمين وقد قدامت يداه ورجلاه وهو يفحص - يبحث - التراب بما بقى من أطرافه لشدة ألم القطع - ويقول : " مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك

رفيقا " (النساء : ٦٩)

(١) انظر : ابن المبارك : الجهاد ص ٦٧

والذهبي : التاريخ ٢٠٠ / ١

وابن كثير : الفصول ص ١٣١

وابن الاثير : الكامل ١٠٩ / ٢

والاصبهاني : حليقا لوليا ١٢١ / ١

وابن حزم : جوامع السيرة ص ١٦٢

وابن الجوزي : تلقيح فهم الاثر ص ١٤٣

فقال له رجل : من أنت يا عبد الله ؟

قال : امرؤ من الانصار (١)

حسبنا الله ونعم الوكيل :

(بعد انتهاء معركة أحد أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم - في الناس يطلب العدو ، وألا يخرج أحد الا من حضر يوم أمس . وإنما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرهبا للعدو وليبلغهم انه خرج في طلبهم ليخافوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم من عدوهم . فخرج (صلى الله عليه وسلم) والمسلمون معه حتى انتهى الى حراء الاسد - وهي من المدينة على ثمانية أميال - واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

عن أبي السائب :

أن رجلا من الصحابة كان قد شهد أحدا قال : شهدنا أحدا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنا وأخي ، ورجعنا جريحين . فلما أذن مؤذن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالخروج في طلب العدو قلت لأخي : أتفوتنا غزوة مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ - والله ما لنا من دابتركبها وما لنا الا جريح ثقيل - ، فخرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكنت أيسر جراحا منه ، فكان اذا قلب حملته على عقبه ، حتى انتهينا الى ما انتهى اليه المسلمون .

وندم المشركون لم لم يتمسوا على أهل المدينة ويحملوها الفيلة . قال الحسن البصري - رحمه الله - في قوله تعالى " الذين استجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرح " .

ان أبا سفيان وأصحابه أصابوا من المسلمين ما أصابوا ورجعوا فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ان أبا سفيان قد رجع ، وقد قذف الله في قلبه الرعب

فمن ينتدب في طلبه ؟ فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى
وناس من الصحابة فتبعوهم . فبلغ أبا سفيان أن النبي (صلى الله عليه وسلم)
يطلبه فلقى عيرا من التجار فقال : ردوا محمدا ولكنهم الجمل كذا وكذا وأخبروهم
أنى قد جمعت لهم جموعا وأنى راجع إليهم . فجاء التجار وأخبروا رسول الله (صلى
الله عليه وسلم) بذلك . فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنون :
" حسبنا الله ونعم الوكيل " أى قالوا : الله كافينا وحافظنا وتولى أمرنا ، ونعم
الطبا والنصير لمن توكل عليه جل وعلا (١)

وهذه العقيدة هي التي دفعت حنظلة الغسيل (رضى الله عنه) لتلبية نداء
الجهاد سريعا ، فترك زوجته - وهو جنب - ولم يرجع الا بالشهادة في سبيل الله . (٢)
لا كون أول من يرجع الا أن يقتل :

(كان أبو محجن لا يزال يجلد في الخمر ، فلما أكثر عليهم سجنوه وأوثقوا .
فلما كان يوم القادسية رأهم يقتلون ، فكانه رأى المشركين وقد أصابوا في المسلمين
فأرسل الى امرأة سعد يقول لها : ان أبا محجن يقول لك : ان خلعت سبيلك
وحملته على هذا الفرس ، ودفعت اليه سلاحا ، ليكون أول من يرجع الا أن يقتل .
وقال : كفى حزنا أن تلتقى الخيل بالقنا وأترك شذودا على وثاقي .
إذا شئت عناني الحديد وظلقت مصاريع من دوني تصم المنايا .
فأمرت زوجة سعد بحمل قيوده عنه ، وحمل على فرس كان في الدار ، وأعطى سلاحا
ثم جعل يركض حتى لحق بالقوم . فجعل لا يزال يحمل على رجل فيقتله ويدق صلبه .
فنظر اليه سعد فتعجب وقال : من هذا الفارس ؟ فلم يلبثوا الا يسيرا حتى هزم

(١) انظر الصابوني : مختصر تفسير ابن كثير ٣٣٨/١ وصفوة التفاسير ٢٤٤/١

وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٧٧ - ١٧١ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ١١٠/٢

واليعنى : شرح بهجة المحافل ٢٠٨/١

الله العدو ، فرجع أبو محجن ورد السلاح ، وجعل رجله في القيود كما كان . فجاء سعد . فقالت له زوجته* : كيف كان قتالكم ؟ فجعل يخبرها ويقول : لقينا ولقينا ، ، حتى بمشالله رجلا على فوس أبلق ، ولولا أنني تركتها محجن في القيسود لظننت أنها بعض شمائل أبي محجن . فقالت : والله انه لا يوم محجن . كان من أمره كذا وكذا ، فقصت عليه القصة . فدعا سعد به ، وحل عنه قيوده وقال له : لا تجلدك في الخمر أبدا . فقال أبو محجن : وأنا والله لا تدخل في رأسي أبدا .
انما كنت أنفان أدعها من أجل جلدك . (١)

اجتهد الا يراه أحد :

(لما توجه المسلمون الى بدر ، خرج عير بن أبي وقاص - وكان غلاما - وكان يخاف الا يقبله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لصغر سنه ، فكان يجتهد الا يراه احد ، وكان يتوارى ، فسأله أخوه سعد بن أبي وقاص عن ذلك ، فقال : أخاف أن يردني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا أحب الخروج ، لعل الله أن يرزقني بالشهادة . فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن يرده . فبكى عير . ورق له قلب النبي (صلى الله عليه وسلم) فأجازه . قال سعد : فكنت أعقد له حمائل سيفه - لصغره - فقتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة ، قتله عمرو بن عبدود . (٢)

(١) ابن أضم : الفتوح ٢٠٧/١ - ٢٠٩

وابن قدامة : كتاب التوابين ص ١٣٠

والبلاندرى : فتوح البلدان ص ٣٦

* يجوز أن نقول (زوجة) و (زوجته) ولكن الاول أصح وأشهر ، وهذا لا يعنى

عدم جواز قولنا (زوجته) فقد ورد في صحيح مسلم ٢١٧٩/٤ قوله (صلى

الله عليه وسلم) : (لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان . .) .

(٢) البهستى : الثقات ١٥٢/١ وابن الجوزى : صفقا لصفوة ٣٩٤/١

انى لا رجوان أطا بعرجتى هذه فى الجنة :

(كان عمرو بن الجموح أعرج شديد العرج ، وكان له أزيمة بتون يفزون من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . فلما توجه المسلمون الى أحد ، قال له بنوه : ان الله عز وجل قد جعل لك رخصة ، فلو قعدت فتجن تكفيك ، فقد وضع الله عنك الجهاد . فأتى عمرو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال : يا رسول الله ان بنى هؤلاء يمنعون أن أخرج معك . والله انى لا رجوان استشهد فأطأ بعرجتى هذه الجنة . فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أما انت فقد وضع الله عنك الجهاد . وقال لبنيه : وما عليكم أن تدعوه لعل الله يرزقه الشهادة ؟ فخرج مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقتل يوم أحد شهيدا (رضى الله عنه) (١)
ثلاثون يمترضون ثلاثمائة :

(بحث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عنه حمزة فى ثلاثين رجلا من المهاجرين ، يمترض غيرا لقريش جاءت من الشام ، وفيها أبو جهل فى ثلاثمائة . فالتقوا واصطفوا للقتال . . فشى مجدى بن عمرو - وكان حليفا لهما جميعا - بين هؤلاء وهؤلاء حتى حجز بينهم ، فلم يقتلوا) (٢)

(١) ابن المكارك : الجهاد ص ٦٩

وابن الجوزى : تلقيح فهوم الاثر ص ١٤٤

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ص ٦٢

والحسنى المكي : المقدم الثمين ٢٣٨/١

وأبو هلال العسكري : الاوائل ص ١٧٣

واليمقوي : تاريخ اليمقوي ٦٩/٢

والسمودي : التنبيه والاشراف ص ٢٠٠

والعصامي : سبط النجوم العوالي ٤/٢

والذهبي : التاريخ الكبير ٨٦/١

وابن الاثير : الكامل فى التاريخ ٧٧/٢

وابن سيد الناس : عيون الاثر ٢٢٥/١

وثلاثة آلاف يحاربون مائتي ألف . .

(ثم خرج القوم حتى نزلوا معان . فبلغهم أن هرقل قد نزل بحاب من أرض البلقاء بمائة ألف من الروم ومائة ألف من العرب . فأقاموا بمعان يومين . فقالوا : نبعث إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فنخبره بكثرة عدونا ، فاما أن يمدنا بالرجال واما أن يأمرنا بأمره . فشجع الناس عبد الله بن رواحة فقال : يا قوم . ان التي تكرهون للتي خرجتم لها اياها تطلبون الشهادة . واما نقاتل الناس بعدد ولا كثرة ، واما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فربما فعل . وان تكن الاخرى فهي الشهادة ، وليست بشر المنزلتين . فقال الناس : صدق والله ابن رواحة .

(١)

ثم لقى جمع الروم)

وثلاثون يحاربون مئتي الاف :

(كانت جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك بضعا وثلاثين ألفا في كل معسكر ، وجمع فارس مائة وعشرون ألفا بالقادسية ، وجمع هرقل اربعمائة ألف ، فهزمهم باذن الله) (٢)

لولا هذا البحر لمضيت أجاهد !

(قال عقبة بن نافع وقد وصل البحر : اللهم انك تعلم اني أطلب السبيل الذي طلبه وليك ذو القرنين ، الا يمهد الا الله . اللهم اشهد اني قد بلغت المجهود ، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كبريك ، حتى لا يمهد أحد دونك) (٣)

أيمن المفر ؟

(جاز طارق بن زياد إلى الاندلس في ألف وسبعمائة رجل ، وتحصن بجبل الفتح ووصل إليه الملك رذريق في تسمين ألفا . فلقبهم طارق واقتلوا ثلاثاً وأيام أشد قتال .

(١) بدران : تهذيب تاريخ ابن عساكر ١٤/١

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ٢٧/١

وابن الأزرقي : بدائع السلك ١٣٨/١

(٣) ابن أبي دینار : المؤنص في أخبار إفريقية وتونس ص ٣١

والدباغ : معالم الايمان في معرفة أهل القيروان ٥١/١

فراى طارق ما بالناس من الشدة ، فحرضهم على الصبر ورجعهم فى الشهادة ، وقال :
 أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم . فليس الا الصبر منكم والنصر من ربكم
 وأنا فاعل شيئا فافعلوا كفعلى . والله . لا قصدن ما غيبتهم فاما أن أقتله أو أقتل
 دونه . ثم حمل مع أصحابه عليه حملة رجل واحد ، فقتل رذريق ، وانهزموا لروم (١)
 نفى لهم بمشهدهم ؛

يقول حذيفة بن اليمان (رضى الله عنه) : ما منعنى أن أشهد بدرا الا أنى خرجت
 أنا وأبى حسيل ، فأخذنا كفار قريش ، قالوا : انكم تريدون محمدا ؟ فقلنا : ما نريده
 ما نريد الا المدينة . فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن الى المدينة ولا نقاتل معه .
 فأتينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأخبرناه الخبر . فقال (انصرفا . نفى
 لهم بمشهدهم ونستمين الله عليهم) (٢)

ان يكن فى الجنة أصبر :

(عن أنس قال : انطلق حارثة ابن عتي الربيع نظارا يوم بدر ، وما انطلق لقتال ،
 فاصابه سهم فقتله ، فجاءت عتي أمه الى النبى (صلى الله عليه وسلم) فقالت :
 يا رسول الله . ان ابنى حارثة ان يكن فى الجنة أصبر وأحتسب ، والا فسترى ما أصدع .
 فقال : يا أم حارثة . انها جنات كثيرة ، وان حارثة فى الفردوس الاعلى . (٣)
 ولكن قولوا : اللهم احقن دما منا ودماهم :

(بلغ عليا (رضى الله عنه) ان حجر بن عدى وعمر بن الحمق يظهران شتم
 معاوية ولعن أهل الشام . فارسل اليهما أن كلا عما يبلغن عنكما . فأتياه فقالا :
 يا أمير المؤمنين . ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ قال : بلى ورب الكعبة

(١) ابن الازرق : بدائع السلك ١ / ١٧٦

(٢) مسلم ٣ / ١٤١٤

(٣) ابن أبى شيبة : المصنف ٥ / ٢٩٠

وابن المبارك : الجهاد ص ٧٢

السدنة . قالوا : فلم تمنعنا من شئهم ولعلمهم ؟ قال : كرهت لكم أن تكونوا
شاميين لمانين ، ولكن قولوا (اللهم احقن دماءنا ودماهم وأصلح ذات بيننا
وبينهم واهدهم من ضلالتهم ، حتى يعرف الحق من جهله ويرعوى عن الغي من لجج
بسه) (١)

- ما أحسن حمرة الدم على البياض . .

(عن السري بن يحيى قال : كانوا في فزوة عليهم يحيى . فقال أحدهم : ما أحسن
حمرة الدم على البياض ، فسمع أبوه ذلك فقال له : أقسمت عليك لتنزلن . قال :
فنزل . ثم اعتزل عن الصف فقام يصلى ، فجعل يدعو ، فالتفت إليه أبوه ، فقال لمن
معه : هذا عمرو يستشفع على بره . اركب يا بني ان شئت . فركب . . فاستشهد .) (٢)

- أما جابيا فلا . .

(دخل عمر بن الخطاب رضى الله عنه - المسجد فبصر بالنعمان بن مقرن - رضى
الله عنه - يصلى ، فقعد عمر الى جنبه ، فلما قضى صلاته قال له : أما انى
سأستعطك . فقال النعمان : أما جابيا فلا . ولكن غايبا . قال : فأنت غايب
فأرسله .) (٣)

- حتى الظلمان !

(عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
يمرض غلمان الانصار في كل عام فيلحق من أدرك منهم . قال : فمرضت عاما فألحق
غلاما وردنى . فقلت : يا رسول الله . لقد ألحقته ورددتنى ولو صارته لصرخته .
قال فصارعه . فصرخته . . فألحقنى .) (٤)

(١) الدينورى : الاخبار الطوال ص ١٦٥

(٢) ابن المبارك : الجهاد ص ١١٤

(٣) السمودى : مروج الذهب ٢ / ٣٣١

والبلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٢٥ والرحبى : فقه الملوك ص ٢٤٩

(٤) الحاكم : المستدرک على الصحيحين ٢ / ٦٠

- انما تكثر الجنود بالنصر .

(لما أقبل خالد بن الوليد - رضى الله عنه - من العراق ، قال رجل من نصارى
المرب لخالد : ما أكثر الروم وأقل المسلمين . فقال خالد : وملك . أتخوفسنى
بالروم ؟ انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال .) (١)

- لوولى على امرأة لسمعت .

(لما جاء عزل خالد بن الوليد عن قيادة الجيش وتولية أبى عبيدة - رضى الله عنه -
القيادة مكانه ، قال خالد : والله لوولى على امرأه لسمعت وأطعت .) (٢)

- فركب البحر .. فمات .

(قرأ أبوطلحة - رضى الله عنه - هذه الآية : " انفروا خفافا وثقالا " (التوبة : ٤١)
فقال : أرى رينا يستغفرون شيوعا وشبابا . جهزوني أى بنى جهزوني .
فقال بنوه : قد شهدت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبى بكر وعمر - رضى
الله عنهم - ، فنحن نغزو عنك . فقال : جهزوني ..
فركب البحر ، فمات ..) (٣)

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ٩/٧

(٢) اليافعى : مرآة الجنان ٦٩/١

وابن العاصم : شذرات الذهب ٢٦/١

(٣) الحاكم : المستدرک ١٠٤/٢

والبيهقى : السنن الكبرى ٢١/٩